

تراث الشيخ الأوحدي

شيخ المشايخ الأوحدي
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأوحدي

١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ
مؤلف كتاب

تقديم
توفيق ناصر البوعالي

تحقيق ومراجعة
مجموعة من الفضلاء

مشروع الفوائد

الجزء الثاني

مؤسسة الإحفاقيات

© جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

تراث الشيخ الأوحدي ١٣

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

- اسم الكتاب شرح الفوائد - الجزء الثاني
- المؤلف الشيخ أحمد الأحساني
- الناشر مؤسسة الإحقيقي للطباعة والنشر
- تحقيق ومراجعة مجموعة من الفضلاء
- الإشراف الطباعي الأميرة للطباعة والنشر

مؤسسة الإحقيقي
للتحقيق والطباعة
والنشر



دار أميرة وكاتبون وفلاسفة
ببغداد - بغداد

هاتف: ٠٢/٩٤٦٦٦٦ - ٠٢/١٥٤٢٥٠ - فاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨

<http://www.Dar-Alamira.com>

e-mail: info@dar-alamira.com

شرح الشيخ الأوحدي

شرح المشايخ الأوحدي
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأوحدي

١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ
توفي في مكة المكرمة

الأوحدي

تقديم
توفيق ناصر البوعالي

تحقيق ومراجعة
مجموعة من الفضلاء
موقع الأوحدي
Awhad.com

شرح الفوائد

الجزء الثاني

مؤسسة الإحسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَشْرَفَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْجَبَلِ

شرح الفائدة الخامسة
في تعداد وأقسام العوالم
في تنمة الملحقات

شرح الفائدة الخامسة في تعداد وأقسام العوالم في تنمة الملحقات

قلت : الفائدة الخامسة في تنمة الملحقات : اعلم أنه قد ورد في الأحاديث عنهم تعدد العوالم والآدميين وأكثر ما ذكر أنها ألف ألف عالم وألف ألف آدم نحن في آخر العوالم وآخر الآدميين .

في بيان تعدد العوالم وأقسامها

أقول : رواه الصدوق رحمه الله^(١) في آخر الخصال عن الباقر عليه السلام^(٢) .

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق . ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة : (٣٠٥ هـ) توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسيني .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق ، وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، جدّد الله عز وجل عالماً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم =

والمستفاد من الأخبار أن المراد بها مراتب التنزلات والتطورات كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله :
(لقد دوّرتم دورات ثم كوّرتم كورات) (١) .

وقوله عليه السلام : (إنّ الله في كلّ يوم ثلاثة عساكر : عسكر ينزلون من الأصلاب إلى الأرحام ، وعسكر يخرجون من الأرحام إلى الدنيا وعسكر يرتحلون من الدنيا إلى الآخرة) (٢) .

= أرضاً غير هذه الأرض تحملهم ، وسماءً غير هذه السماء تظلمهم لعلك ترى أن الله عزّ وجلّ إنما خلق هذا العالم الواحد وترى أن الله عزّ وجلّ لم يخلق بشراً غيركم ، بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الأدميين) ، الخصال : ٦٥٢ ح ٥٤ .
(١) إلزام الناصب : ٢ / ٢١٢ . قال عليه السلام في الخطبة التنجية : (وايم الله قد كوّرتم كورات وكررتم كرات ، وكم من بين كرة وكرات ، وكم من آية وآيات ، وما بين مقتول وميت وبعض في حواصل الطيور وبعض في بطون الوحوش والناس ما بين ماض وراج ورائع وغاد ، لو كشف لكم ما كان مني في القديم الأوّل وما يكون مني في الآخر لرأيتم عجائب مستعظمت وأموراً مستعجبات وصنائع وإحاطات) .

(٢) روضة الواعظين للفتال النيشابوري : ٤٩ ، وشرح نهج البلاغة : ٢٠ / ٣١٨ ح ٦٥٧ ، وتفسير مجمع البيان للطوسي : ٩ / ٢٣٨ . ولفظ الحديث في الروضة : قال ابن عباس : إن مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء حافتاه ياقوتة حمراء كتابه نور وقلمه نور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله : ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرَّحْمَنُ : ٢٩] ويقال شأن الله سبحانه أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر : عسكراً من الأصلاب إلى =

وتصدق هذه العوالم على أجناس الموجودات وأنواعها وأصنافها من الذوات والصفات فعلى هذا يكون المراد بالعدد المذكور وغيره من الأعداد التي سنذكر بعضها على سبيل التنبيه^(١) مطلق الكثرة لا خصوص العدد مطلقاً أو خصوص العدد باعتبار خصوص مبادئها ، كما إذا قلنا : اثني عشر عالماً فإن ذلك باعتبار أسباب تكونها وتكوينها أعني البروج الاثني عشر ، ومع هذا وإن جاز الحصر باعتبار حصر أسبابها ومبادئها إلا أنه إنما هو في الكلليات ، وأما الجزئيات فلا يمكن لنا حصرها لدوام الإمداد والاستمداد ودوام الفيض فتمتنع الإحاطة بها إلا للذي خلقها ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٢) ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٣) .

قلت : ومراتب أعداد العوالم إنما اختلفت في الروايات لاختلاف المقامات كعالم الغيب والشهادة .

أقول : إنما لم نذكر الواحد لأنه معروف باسمه كما إذا قلت

= الأرحام ، وعسكراً من الأرحام إلى الدنيا ، وعسكراً من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون إلى الله جميعاً .

(١) في نسخة : التنبيه .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٩ .

(٣) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

العالم فإنك تريد به ما سوى الله تعالى وإذا أطلق الاثنان أريد به ما ينحصر في الاثنين كعالم الغيب وعالم الشهادة إذ لا ثالث هنا وكالوجوب والإمكان والظاهر والباطن وما أشبه ذلك .

قلت : والعوالم ثلاثة : عالم الوجوب وهو الأزلي تعالى ، وعالم الرجحان وهو عالم المشيئة والإرادة والإبداع ، وعالم الجواز وهو الوجود المقيد المعبر عنه بأنه وجود بشرط لا وبشرط شيء أوله الدرة وآخره الذرة .

في بيان العوالم الثلاثة

أقول : يعني إذا قيل : ثلاثة عوالم من الأمور الصادقة عليها عالم الأزل وعالم الرجحان وعالم الجواز :

١ - عالم الأزل والوجوب

فالأزل هو الله تعالى عز وجل ولا يتوهم متوهم أن الأزل ظرف والواجب تعالى حال فيه فيلزم تعدد القدماء ، بل الأزل هو ذات الحق عز وجل .

٢ - عالم الرجحان

وعالم الرجحان هو الفعل بجميع أصنافه لأنه راجح الوجود

حتى قال تعالى في شأن أثره اللازم له : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(١) أي يكاد أن يتحقق بنفسه قبل الإيجاد ، وهذا العالم هو عالم الأمر ، لأن الموجودات^(٢) كما تقدم بهذا اللحاظ ثلاثة :

أقسام الموجودات

أ - وجود حق

وجود حق : وهو الأزل عز وجل .

ب - وجود مطلق

ووجود مطلق : أي من غير شرط شيء يتوقف وجوده عليه غير نفسه ، فلذا سميناه بالمطلق في مقابلة المقيد .

ج - وجود مقيد

ووجود مقيد : وهو المفعول من الدرّة إلى الذرة وتمثيلي بالمشيئة والإرادة والإبداع لا غيرها من أسمائه ولا بأقل منها ولا بأكثر إنما هو تبع لكلام الرضا عليه السلام ، وقد تقدم ذكر بعض أسمائه وبعض أوصافه وأحواله وهذا هو الثاني في الذكر والتسمية .

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

(٢) في نسخة أخرى : الوجودات .

٣ - عالم الجواز

وعالم الجواز وهو الوجود المقيّد هو الثالث في الذكر والتسمية وهو جميع المفعولات التي أحدثها الله سبحانه بفعله ويسمى هذا الوجود بالوجود المقيّد لتوقف قبوله للإيجاد^(١) على شيء آخر وجودي أو عدمي أو هما^(٢) وأول هذا الوجود العقل الكلي المعبر عنه بالذرة ، ولذا قيل : (أول ما خلق الله العقل)^(٣) كما روي ، وآخره الذرة أي الثرى ويعبر عن جميع المصنوعات بهذا بأن يقال : الوجود المقيّد أوله العقل الكلي وآخره الثرى ، وأما قولي بأنه وجود بشرط لا وبشرط شيء فهو على ما اصطلحت عليه ، فإن قولك بشرط شيء وبشرط لا شيء بمعنى واحد إذ مآل العبارتين إفادة القيد المنافي للإطلاق فالعبارتان في مقابلة لا بشرط في إرادة الوجود الراجع .

في بيان العوالم الأربعة

قلت : وأربعة عوالم هي : عالم الخلق وعالم الرزق وعالم الموت وعالم الحياة .

(١) في نسخة أخرى : للإيجاد .

(٢) في نسخة أخرى : أو هما معاً .

(٣) شرح أصول الكافي : ١ / ٢٠٢ ، وعوالي اللآلي : ٤ / ٩٩ ح ١٤١ .

أقول : أيضاً إذا قيل : أربعة عوالم فمنها هذه الأربعة العوالم ، وذلك أننا لما تتبعنا أصول الخلق وفروعه مما أحاطت به عقولنا ووسعته أوهاطنا فوجدناه كلاً يدور على هذه الأربعة ، وقد ذكرها سبحانه في معرض الامتنان وإظهار القدرة فقال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) ولو كان شيء من الأصول التي يرجع إليها أمر من أمور ما سوى الله سبحانه لذكره عز وجل وعلى خصوص هذا العدد تفرّعت الأركان كترتيب الكلمات التي بُني عليها الإسلام : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) .

وكتربيع أركان العرش الذي هو مظهر فؤارة القدر والقضاء وعلل الأسباب وأسباب العلل .

وكتربيع الطبائع والعناصر التي منها جميع المواد العلوية والسفلية وما أشبه ذلك ، ولأجل مقتضى جميع التقوّمات الكونية من الأسباب والمسببات قامت الزوايا في المربع ولم تقم فيما زاد عليه ولا ما نقص عنه إشارة إلى تمام نظام الكون بذلك العدد لا بما سواه .

(١) سورة الروم ، الآية : ٤٠ .

في أن العرش محل جميع مبادئ الأكوان

ومن أجل ما أشرنا إليه كان العرش الذي هو محل جميع مبادئ الأكوان في الغيب والشهادة من الأعيان والمعاني مما دخل في الإمكان مربعاً ، فركنه الأحمر يستمد منه جبرئيل عليه السلام بمقتضى الحرارة واليبوسة للخلق في الجبروت والملكوت والملك ، وركنه الأبيض يستمد منه ميكائيل عليه السلام بمقتضى الرطوبة والبرودة للرزق في الجبروت والملكوت والملك ، وركنه الأخضر يستمد منه عزرائيل عليه السلام بمقتضى البرودة واليبوسة للموت في الجبروت والملكوت والملك ، وركنه الأصفر يستمد منه إسرافيل عليه السلام بمقتضى الحرارة والرطوبة للحياة في الجبروت والملكوت والملك ، وتتفرع الأشياء المربعة في الوجود في ذلك التربع .

في بيان العوالم الخمسة

قلت : وخمسة عوالم : عالم الأزل تعالى وعالم السرمد وهو عالم الرجحان ، وعالم الجبروت وهو عالم المعاني المجردة عن المادة والصورة والمدة ، وعالم الملكوت وهو عالم الصور المجردة عن المادة والمدة ، وعالم الملك أوله محدد الجهات وآخره الأرض .

١ - عالم الأزل

أقول: إن الأزل عزَّ وجلَّ لا يدخل في العدد لذاته بوجه من الوجوه ، وأما ذكره هنا فالمراد بما ما يُشار به إلى العنوان الذي يعرف به الأزل تعالى لا من حيث إنه عنوان ودليل ، فإنه من هذه الحيشية لا يجوز دخوله في مطلق العدد بوجه من الوجوه ، وإنما تكون العبارة عنه معدودة من حيث هو هو فإنه من هذه الحيشية خلق محدث كسائر المخلوقات لا يعرف به الله إلا أنه يحصل به التميز في الجملة ، لأن المراد به هنا ما هو غير المذكورات ، فإن الأزل تعالى غير سائر العوالم وإن كانت المغايرة في الحقيقة حدًّا لغيره .

٢ - عالم السرمد

وأما عالم السرمد فهو عالم الأمر والمشية ، وهو عالم الرجحان وسمي عالم الرجحان في مقابلة تسمية الأزل بالواجب وتسمية الحادث بالجائز ، لأن الأمر ليس بواجب الوجود^(١) ولا بممكن الوجود بالإمكان الخاص الملحوظ فيه تساوي الطرفين بل طرف وجوده راجح على عدمه وإن لم يكن واجباً .

(١) في نسخة : الوجوب .

٣ - عالم الجبروت

والثالث : عالم الجبروت وهو عالم العقول وهو عالم المعاني ، والمراد بالمعاني المعاني الاصطلاحية الخاصة وهي المجردة عن المادة العنصرية والصورة المثالية ، أعني المرتبطة بالمادة العنصرية والمدة الزمانية لا التجرد المطلق كما يتوهمه الأكثر من عبارات الحكماء المتقدمين ، فإنهم إنما أرادوا ما ذكرنا ، وما فهم المتأخرون من الحكماء والعلماء غلط فإنهم يريدون بالمجردات العقول والنفوس والأرواح ويريدون بتجردها التجرد مطلقاً ، يعني أنه لا مادة لها أصلاً ولا مدة أصلاً وهذا هو التجرد الواجب حتى أن بعض العلماء مثل الملا محمد باقر المجلسي رحمه الله^(١) في أول البحار حكم بكفر من قال بإثبات مجرد غير الله ، وكذلك غيره لفهمهم أن المراد بالتجرد التجرد المطلق ، وكذلك كثير من المتأخرين فهموا ذلك حتى أن الملا

(١) هو الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، الأصفهاني محدث ، فقيه ، مؤرخ ، مشارك في علوم . ولد وتوفي بأصفهان ، ولد سنة (١٠٣٧ هـ - ١٦٢٨ م) وتوفي سنة : (١١١٠ هـ - ١٦٩٨ م) . له تصانيف الكثيرة : كتاب بحار الأنوار ، كتاب التوحيد الاحتجاجات والمناظرات وحديقة المتقين ، ومرآة العقول في شرح أخبار الرسول ، والحق اليقين في أصول الدين ، والوجيز في أسماء الرجال . انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٤١٠ - ٤١٨ ومعجم المؤلفين لعمر كحالة : ٩ / ٩٠ .

صدرا في المشاعر قال : إن العقل وما فوقه كلّ الأشياء بناء على مذهبه أن بسيطة^(١) الحقيقة كلّ الأشياء والعقل عنده بسيطة الحقيقة وما فوقه هو الله تعالى ، ونحن قد بينا فساد ذلك كلّ في شرح المشاعر من وجهين :

الأول : أنه لا بسيط إلا الله سبحانه وكل ما سواه فهو مركب من مادة وصورة لا فرق في ذلك بين العقل والحجر إلا أن مادة العقل من النور الذائب أعني المادة المعنوية والحجر مادته من النور الجامد أعني المادة العنصرية المحسوسة ، لأن العقل مخلوق كالحجر وكل مخلوق فله اعتباران اعتبار من ربه وهو حقيقة^(٢) من ربه ، والمراد به الوجود فإنه أثر فعله تعالى اخترعه لا من شيء وهو مادته واعتبار من نفسه وهو ماهيته التي هي صورته وهي هويته وإنيته ، ولا يمكن أن يوجد ممكن إلا بهذين الاعتبارين ، نعم هما في كلّ شيء بنسبته .

والثاني : أن قول الملا صدرا : إن بسيط الحقيقة كلّ الأشياء غلط فاحش وشرك ظاهر فإن قوله كلّ الأشياء لا يصح إلا إذا كانت معه في رتبة ذاته ولا تكون معه في رتبة ذاته إلا إذا كانت قديمة والقدم منافٍ لكل لا استلزامها التعدد والتركيب والأشياء جمع متعدد الأفراد وحجته باطلة منقوضة بصحة مقدماته كما قررنا

(١) في نسخة : بسيط .

(٢) في نسخة : حقيقة .

هنا . فإن قوله : هو موجود بسيط ، فلو صحّ هو موجود سلب عنه غيره لكان مركباً من ذات ومن نفي الغير فيلزم بحكم عكس النقيض أنه موجود لا يسلب عنه شيء وهو قولنا بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وقوله هذا إذا صح بطل لأنه إذا صح أنه إذا قلت : هو موجود سلب عنه شيء لزم منه التركيب فبحكم عكس النقيض هو موجود لا يسلب عنه شيء يلزم التركيب منه أيضاً لأنه لم يقل : هو موجود بغير قيد ، بل قال : موجود لا يسلب عنه شيء وهو مثل قوله : موجود سلب عنه شيء .

فإن قلت : إنما أراد أنه موجود مطلق من غير أن يصفه بسلب فلا يلزمه التقييد .

قلت : يلزمه بإرادته من قوله : كلّ الأشياء فإنه إذا اعتبر لكلّ معنى يفيد الشمول لزمه إما التقييد بسلب ذلك الغير أو التقييد بعدم سلبه ولا ينفك من التركيب إلّا إذا لم يثبت هناك شيئاً غيره في رتبة ذاته أصلاً ، وحينئذ يبطل قوله : كلّ الأشياء ويصح التوحيد وإلّا يلزمه التركيب والكثرة بحكم كلّ على أي اعتبار كان فأين يذهب عن الحق .

والحاصل أن المجرد إذا استعمل في الحادث فالمراد به أنه مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية لا مطلقاً ، وهذا هو مراد المتقدمين من المجردات في الحادث لا كما توهمه

المتأخرون ، فكلام صاحب البحار وارد على هؤلاء لا غير ، ونحن إذا أطلقنا المجرد في الحادث نريد به هذا المعنى ولا يرد علينا كلام صاحب البحار على أن استدلاله ليس بصحيح وإن كان حكمه صحيحاً لأنه استدل على كفر من قال بذلك بعدم وروده في الأخبار ، وقد غفل عنه في الأخبار فإنه وارد فيها مثل ما رواه في الغرر والدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد سئل عن العالم العلوي فقال عليه السلام : (صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد)^(١) الحديث .

ومثل قوله عليه السلام في حديث كميل للأعرابي السائل عن النفس^(٢) .

(١) مصباح البلاغة : ٢ / ٢٤٤ ح ١٧٧ ، ومناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ١ / ٣٢٧ .

(٢) عن كميل بن زياد قال : سألت مولانا علياً أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين أريد أن تعرفني نفسي ، فقال : (يا كميل وأي الأنفس تريد أن أعرفك ؟) فقلت : يا مولاي هل هي إلّا نفس واحدة ؟ فقال عليه السلام : (يا كميل إنما هي أربع : النامية النباتية ، والحسية الحيوانية ، والناطقة القدسية ، والكلية الإلهية ، ولكلّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان . فالنامية النباتية لها خمس قوى : ماسكة ، وجاذبة ، وهاضمة ، ودافعة ، ومربية ، ولها خاصيتان : الزيادة ، والنقصان ، وانبعاتها من الكبد . والحسية الحيوانية لها خمس قوى : سمع ، وبصر ، وشمّ ، وذوق ، ولمس ، ولها خاصيتان : الرضا ، والغضب ، وانبعاتها من القلب ، والناطقة القدسية لها خمس قوى : فكر ، وذكر ، وعلم ، وحلم ، ونباهة ، وليس لها انبعاث ، وهي أشبه =

واعلم أنني أطلت الكلام هنا لعموم الحاجة إليه وإن كنت مستلزماً^(١) على نفسي عدم البسط في هذا الشرح ، لأن المطلوب منه بيان العبارة خاصة .

٤ - عالم الملكوت

والرابع : عالم الملكوت والمراد به عالم النفوس أعني الصور الجوهرية وعالم الأرواح متردد بين العالمين وبرزخ بين الاثنين الجبروت والملكوت يستعمل مع كلّ منهما باعتبارين وهذا العالم أهله جواهر مقدارية أي ذوات مجردة إلا عن الصورة وصورها نفوس الصور المثالية المحسوسة .

٥ - عالم الملك

والخامس : عالم الملك أعني عالم الأجسام وأعلاه محدد الجهات ومحدبه مساوق في الوجود للزمان والمكان لا يسبق

= الأشياء بالنفوس الملكيّة ولها خاصيتان : النزاهة والحكمة . والكلية الإلهية لها خمس قوى : بقاء في فناء ، ونعيم في شقاء ، وعزّ في ذل ، وفقر في غناء ، وصبر في بلاء ، ولها خاصيتان : الرضا والتسليم ، وهذه التي مبدؤها من الله وإليه تعود ، وقال الله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٨﴾ والعقل وسط الكلّ) . قرة العيون للفيض : ٣٨٥ كلمة بها يتبين أن للإنسان نفوساً عديدة وأن بعضها يختصّ بالخواص ، وبحار الأنوار : ٥٨ / ٨٥ .

(١) في نسخة : ملتزماً .

شيء من هذه الثلاثة الآخرين في كل مرتبة من مراتب الأكوان في الغيب والشهادة وهذا العدد إذا أطلق على شيء من العوالم يراد به هذه ونظائرها مثل المواليد الثلاثة في الجسم والروح أو في المادة والصورة أو في الغيب والشهادة .

بيان العوالم الستة

قلت : وستة عوالم : عالم العقول وعالم النفوس وعالم الطباع وعالم الهباء وعالم المثال وعالم الأجسام .

١ - عالم العقول

أقول : إذا ذكر ستة عوالم في الأخبار أو في كلام أهل الأسرار فيراد بها عالم العقول أعني عالم المعاني الجوهرية والذوات المجردة عن المادة العنصرية والصورة النفسية والمثالية والمدة الزمانية وهي الأكوان الجوهرية وقد أشرنا إليها قبل هذا .

٢ - عالم النفوس

والثاني : عالم النفوس أعني الهياكل الجوهرية وهي كلمات اللوح المحفوظ والكتاب المسطور .

٣ - عالم الطبائع

والثالث : عالم الطبائع وهو مقام الحّل والكسر بعد العقد والصوغ والإجمال بعد التفصيل الأولي وقبل التفصيل الثانوي ، ومعناه أن الأشياء بعد تمام تمايزها الأول كسرت وأذيت حتى تساوى عليها بسافلها وظاهرها بباطنها وقويّها بضعيفها ورطبها بيباسها وحرها بباردها إلى أن كانت الأجزاء المتخالفة جزءاً واحداً والقوى المتعددة قوة واحدة ، وهذا الواحد البسيط حقيقة للواحد المركب بحيث إذا فصل هذا الواحد إلى الأجزاء المتعددة المختلفة عند التركيب وركب الشيء منها كان مع أجزائه المتخالفة المتباينة في قواها وطبائعها الجزئية وصفاتها ، وكذلك طبيعة واحدة كما هي قبل التفصيل وإن اختلفت ظواهرها بحيث لو انفصل كل شيء من ذلك الشيء المركب وظهر بحياته الخاصة به من فعل الله سبحانه لم تفرق بين ذلك الجزء وبين الكل الذي هو الشيء إلا أن الكل يسند عن نفسه والجزء يسند عن الكل ، لأنها كلها بطبيعة واحدة لأنها طبيعة واحدة جمدت فتكثرت وذابت فاتحدت فلما جمدت ثانياً تكثرت فظهرت الكثرة وبطنت الوحدة ، فصح أن يقال : زيد مثلاً طبيعة واحدة مع اختلاف أجزائه ظاهراً ذاتاً وصفة ومعنى كونه طبيعة واحدة لحاظ جملة في هيكل التوحيد بعين الوحدة وعالم الطبائع دوحة كبيرة تنبت^(١) بأوراق كل ورقة طبيعة شيء .

(١) في نسخة : نبت .

٤ - عالم جواهر الهباء

والرابع : عالم جواهر الهباء والمراد بالهباء هو الذر الذي في الهواء الذي كان من جبل طور سيناء ، كما روي عن علي عليه السلام ، حين جعله تعالى دكًّا ، وهي الحصص الوجودية الجزئية كل ذرة مادة مخلوق^(١) من خلق الله عزَّ وجلَّ ، فهي في جعل الله سبحانه وبالنسبة إلى سعة ذلك الفضاء كالذر في الصغر ، ولذلك قيل لها هباء وذر .

٥ - عالم المثال

والخامس : عالم المثال وهو الصور القائمة في هواء البرزخ المختلفة من المواد وهي مثال وصفة للصور النفسية الجوهرية أبدان لا أرواح لها وهي برزخ بين الملكوت والملك ووجهها^(٢) إلى الدهر وخلفها إلى الزمان تتقوم في الأجسام بالمواد وهي أمهات المولدات وآبؤها المواد .

٦ - عالم الأجسام

والسادس : عالم الأجسام المركب من المواد العنصرية

(١) في نسخة : مخلوقة .

(٢) في نسخة أخرى : الملك ووجهها .

والصور المثالية وهذه الستة هي الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض لأنها في العالم الكبير كالنطفة والعلقة والمضغة والعظام ويكسى لحماً ثم ينشئ خلقاً آخر ونظائرها من العوالم المحصورة بهذا العدد ، كما رواه القمي رحمه الله^(١) في تفسيره للأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض ما معناه قال^(٢) : الفصول الأربعة والمادة والصورة ، ومنها أن الإنسان مثلاً ستة أشياء أربع طبائع : حرارة ورطوبة وبرودة ولبوسة ونفس وجسد ، وهذه ستة أيام هنا أيضاً وتحتها عوالم وكل عالم تحته أفراد لا يحصي عددها إلا الله .

بيان العوالم السبعة

قلت : وسبعة عوالم عالم النار وعالم الهواء وعالم الماء وعالم التراب وعالم الجسم وعالم النفس وعالم الروح وهذا معنى قولهم : كل شيء من الحوادث مثلث الكيان مربع الكيفية .

(١) هو الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي شيخ الكليني ، كان في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، وبقي إلى سنة ٣٠٧ هـ ، وهو صاحب التفسير ، انظر ترجمته في كتاب الذريعة رقم ١٣١٦ .

(٢) انظر تفسير القمي : ١ / ٣٢١ ، تفسير سورة هود عليه السلام .

أقول : وسبعة عوالم :

١ - عالم النار

عالم النار وهو الإسطقس الأعلى أعني الكرة الأثيرة .

٢ - عالم الهواء

وعالم الهواء المعروف الذي هو وسط العالم كله ومسكن بني آدم الذي هو^(١) أشرف الخلق .

٣ - عالم الماء

وعالم الماء الذي هو فوق الأرض محيطاً بجميع أعلاها ، وإنما كشف عز وجل محل الحيوانات البرية عناية منه تعالى .

٤ - عالم التراب

وعالم التراب وهو الأرضون السبع على اختلاف طبقاتها وما انعقد منها من الحجر وبعض المعادن .

٥ - عالم الجسم

وعالم الجسم وهو المركب من الحصص^(٢) من هذه العوالم التي قبله أعني عوالم العناصر الأربعة .

(١) في نسخة أخرى : الذين هم .

(٢) في نسخة أخرى : حصص .

٦، ٧ - عالما النفس والروح

وعالم النفس وعالم الروح وهما العالمان المشار إليهما سابقاً .

وقولي : (هذا معنى قولهم مثلث الكيان والكيان لغة في الكون) أي مثلث الكون مربع الكيفية يعني أنّ كل شيء في الجملة إنما يتم تركيبه إذا كان مشتملاً على الأكوان الثلاثة أعني الجسم والنفس والروح وعلى الكيفيات الأربع أعني الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكل شيء تام لم يخل من هذه الأصول الأربعة والأكوان الثلاثة وكل واحد من هذه السبعة تحته أفراد كثيرة ولهذا قد يقال : العوالم السبعة .

بيان العوالم الثمانية

قلت : وثمانية عوالم ، وإذا أطلقت يراد بها أحد وجوه كثيرة نذكر منها واحداً على سبيل التمثيل عالم الخلق في الدنيا عالم الخلق في الآخرة ، عالم الرزق في الدنيا عالم الرزق في الآخرة ، عالم الموت في الدنيا عالم الموت في الآخرة ، وهو الهلاك الأكبر نعوذ بالله من سخط الله عالم الحياة في الدنيا عالم الحياة في الآخرة وإليه الإشارة بقوله تعالى في التأويل : ﴿ وَيَجِلُّ

عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّنِّيَةً ﴿١﴾ .

أقول : إذا أطلق لفظ ثمانية عوالم احتمل إرادة أشياء كثيرة ونحن نذكر منها شيئاً على نحو التمثيل ليميز^(٢) به السبيل إلى معرفة البيان والدليل ، وذلك مثل ما ذكرنا سابقاً في بيان العوالم الأربعة ، فإننا ذكرنا هناك الخلق والرزق والموت والحياة وهذه الأربعة التي دار عليها الوجود إذا اعتبرت في الدنيا والآخرة كانت ثمانية كما أشار إليه في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّنِّيَةً ﴾ يعني في الآخرة لاجتماع حكم الدنيا والآخرة يوم القيامة باجتماع حملة العرش الأربعة في الدنيا وحملة في الآخرة .

وأما^(٣) حكم الخلق في الدنيا فظاهر .

وأما حكمه في الآخرة فيما^(٤) يتجدد فيها لأهل الجنة من أنواع النعيم الذي لا ينفد ولأهل النار من أنواع التعذيب والتأليم السرمد .

وأما حكم الرزق في الدنيا والآخرة فكما قيل في حكم الخلق .

(١) سورة الحاقة ، الآية : ١٧ .

(٢) في نسخة : ليميز .

(٣) في نسخة أخرى : فأما .

(٤) في نسخة : فيما .

وأما الموت في الدنيا فهو ظاهر فلأجل كونه ظاهراً معروفاً لم أذكره متبوعاً ببيان بخلاف موت الآخرة فإنه لما لم يكن معلوماً بل المعلوم عدمه إذ الآخرة لا موت فيها لأهل الجنة ولأهل النار ، فلأجل ذلك عقبته ببيان فقلت : وهو الهلاك الأكبر ، لأن الموت في الدنيا هو الانقطاع عن الأحباب والمفارقة للأصدقاء والأصحاب ومفارقة النعيم وأهل النار أشد ما يعذبون به فيها بذلك نعوذ بالله من النار ، والمفارقة في النار لا يرجى بعدها تلاقٍ بخلاف مفارقة الدنيا ، فلذا قيل إن الموت في الآخرة أعظم من الموت في الدنيا بأربعة آلاف رتبة وتسع مئة رتبة نستجير بالله من النار ومن غضب الجبار والحياة في الدنيا معروفة .

في بيان الحياة في الآخرة

وأما الحياة في الآخرة فهي الحياة الكبرى العظمى التي لا نهاية لها في البقاء ولا في العظم ولا في العموم ، وأما من جهة البقاء فلا انقطاع لها بل هي مستمرة أبداً لا آخر لها في الإمكان ، وأما في العظم فلأنها تستمر في البقاء متصاعدة في القوة والمضاعفة لا إلى نهاية فهي في كل آن أقوى منها فيما قبله وهكذا حكمها أبداً ، وأما في العموم فلأن جميع ما في الجنة من جميع الحيوانات والنباتات والجمادات حية بالحياة الحيوانية المقرونة بالشعور والإحساس المقرونين بالتميز والعقل لا يوجد فيها شيء

يصدق عليه اسم الشيئية إلا على ما وصفنا قال الله سبحانه :
﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(١) ولقد رأيت في المنام
كأنني أتيت إلى بستان من بساتين الجنة وفيه أشجار وزرع ورأيت
جميع أوراق تلك الأشجار والزرع تنظر كل واحدة إلي بعينين نظر
المتعقل وهي ورقة وهي حيوان ، وهذا مجمل الإشارة إلى حياة
الآخرة والأمر أعظم وأعظم .

والحاصل أن الثمانية العوالم بنحو هذا مما يتعلق بأفراد كل
واحد وأصنافه وأنواعه وأجناسه .

بيان العوالم التسعة

قلت : وتسعة عوالم وهي عالم محدد الجهات وعالم فلك
الثوابت وعوالم الأفلاك السبعة وهي عالم القلوب وعالم النفوس
وعالم العقول وعالم العلوم وعالم الأوهام وعالم الوجودات
الثانية وعالم الخيالات وعالم الأفكار وعالم الحياة .

١ - عالم محدد الجهات

أقول : أيضاً إذا قيل : العوالم التسعة فقد يراد بها آثار
الأفلاك التسعة مثل القلوب الجزئية ، فإنها ذرية القلب الكلي

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٤ .

الذي هو محدد الجهات ، فإن جسمه أبُّ للقلوب الجزئية التي هي الموجود في الصدور وهو اللحم (١) الصنوبرية ، وغيب المحدد أبُّ لغيبتها من القلوب المجردة النورانية وهي ذريته ظاهرها من ظاهره وباطنها من باطنه .

٢ - عالم النفوس الجزئية

والثاني : عالم النفوس الجزئية فإنها من فلك الثوابت الذي هو أرض أهل الجنة فباطنها من باطنه وباطنه كتاب الأبرار ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢) وظاهرها من ظاهره على نحو ما قلنا في القلوب .

٣ - عالم العقول الجزئية

والثالث : عالم العقول الجزئية وهي من فلك زحل ظاهرها من ظاهره وباطنها من باطنه والمعنى كما مرّ ، والمراد بها هنا التعلقات المدركة للمعاني الجزئية فإن العقل في نفسه هو القلب وهو الذي في الصدر إلا أن وجهه في دماغ الإنسان وهو التعقل ، والمراد بظاهره الذي هو من ظاهر فلك زحل هو الدماغ الذي هو محله .

(١) في نسخة أخرى : للقلوب الجزئية الموجودة في الصدور وهي اللحم .

(٢) سورة المطففين ، الآيات : ١٨ - ٢١ .

٤ - عالم العلوم

والرابع : عالم العلوم وهي صور المعلومات على ما هي عليه يعني أنّ ما كان من المعلومات ذا صورة فالعلم به صورته المنتزعة من خارجه وما لم يكن ذا صورة ، فالعلم به صورة خارجه بما تشخص به عند العالم ، وهذا معنى قولنا : إن العلم صورة المعلوم على ما هي عليه أي في كونه ومثاله الصورة التي تنتزعه المرأة ، فإنها إذا قابلت الشيء انتزعت صورته على ما هي عليه من التخطيط مثلاً وانتزعت بصورة^(١) الهواء والمسافة التي بينهما كما هو يعني بغير تخطيط بل بهيئته فصورة الشيء الذهنية على ما هو عليه في الخارج هو العلم به وهذا خزانة الخيال وهو من فلك المشتري ظاهره من ظاهره وباطنه من باطنه كما مرّ .

٥ - عالم الأوهام

والخامس : عالم الأوهام وهي مبادئ الإنشاءات النفسانية وهي من فلك المريخ ظاهرها من ظاهره^(٢) وباطنها من ظاهره ومن باطنه .

قولي : (من ظاهر ظاهره) ، أن المريخ ظاهره المرئي مثلاً

(١) في نسخة أخرى : صورة .

(٢) في نسخة أخرى : من ظاهر ظاهره .

حار يابس نحس وباطن ظاهره بارد رطب سعد ، فمرادي بالظاهر الذي مع الباطن هو صافي الجسم ومحض مادته وصورته الذاتيتين ، وظاهر هذا الظاهر هو ما لحق هذا الجسم من العوارض الخارجية غير الذاتية كما قلنا : إنه حار يابس نحس وذلك ما أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^(١) وبقوله : ﴿ وَظَهْرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾^(٢) وذلك الظاهر الذي هو الأصلي هو ما قلنا إنه بارد رطب سعد وذلك ما أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾ وبقوله : ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فالظاهر وظاهر الظاهر هاهنا في الجسم المادي والباطن المجرد عن المادة والمدة ، وأما قولي : وباطنها من باطنه فكما مرّ وهنا تفصيل يطول به الكلام .

٦ - عالم الوجودات الثانية

والسادس : عالم الوجودات الثانية وهي من فلك الشمس ظاهرها من ظاهره وباطنها من باطنه كذلك ، والمراد من الوجودات الثانية الوجودات الجسمانية المركبة من المادة والصورة ، لأن الشمس هي منشأ مبادئ الأجسام وذكر الثانية في مقابلة الوجودات الأولى أعني وجود العقول والأرواح والنفوس ونسبة الوجودات الثانية إلى الشمس لأنها المفيضة على الأسباب

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٤ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ١٣ .

العلوية إذ هي تستمد من نفس العقل الكلي فتفيض على زحل ومن صفته فتفيض على القمر وتستمد من نفس الروح والنفس ، وتفيض على المشتري ومن صفته فتفيض على عطارد وتستمد من نفس الطبيعة ، وتفيض على المريخ ومن صفتها فتفيض على الزهرة ، ثم إذا عملت الأسباب في مسبباتها عمل كل واحد من السبعة الأفلاك في مسبباته بنفسه وبواسطة الشمس فلذا نسبت الوجودات الجسمانية إلى الشمس .

٧ - عالم الخيالات

والسابع : عالم الخيالات وهي من فلك الزهرة ظاهرها من ظاهره وباطنها من باطنه ، كما أشرنا إليه سابقاً والخيالات مبادئ الصور العلمية وأوائل المنتزعات ونقشها في الألواح النفسانية وحكم هذا كما مرّ في الذي قبله .

٨ - عالم الأفكار

والثامن : عالم الأفكار وهي من فلك عطارد الكاتب ظاهرها من ظاهره وباطنها من باطنه على نحو ما مرّ في عالم القلوب وتأثير فلكه منه وتأثيره بالملائكة الثلاثة سيمون وشمعون وزيتون .

٩ - عالم الحياة الحيوانية الحسيّة

والتاسع : عالم الحياة الحيوانية الحسيّة وهي من فلك القمر .

بيان الحياة الحيوانية الحسية

ولا بأس بالإشارة إلى بيان الحياة الحيوانية الحسية التي تشترك فيها سائر الحيوانات على نحو الاختصار والاقتصار .

فاعلم أن الجسم الحيواني متقوم بالدم والدم متقوم بالعلقة أعني^(١) الدم المنعقد في تجاويف الفؤاد الصنوبري في الجانب الأيسر أكثر من الجانب^(٢) الأيمن والعلقة متقومة بدم أصفر فيها هو محل الحرارة الغريزية والدم الأصفر محل الطبائع الأربع بما تقومت به من الأجزاء البخارية ، فإنها أي الأجزاء البخارية الحاصلة^(٣) للطبائع الأربع على أربعة أقسام : جزء ناري حار يابس ، وجزء هوائي حار رطب ، وجزآن مائيان باردان رطبان وجزء ترابي بارد يابس فبحركة فلك القمر بطبيعته وبما لحقه من طبائع الكواكب تلطفت تلك الأجزاء وتكلفت تكلية صالِحاً حتى تساوت في اللطافة سماء الدنيا فلما ساوته تعلقت بها الروح الحيوانية الحسية ، من مجاورتها له ومشاركتها له في نوع التركيب ومساواتها في النضج الاعتدالي المقتضي لتعلق الحياة الحسية .

والحاصل أن كل واحد من هذه الأفلاك التسعة له ذرية لا

(١) في نسخة : أي .

(٢) في نسخة أخرى : جانب .

(٣) في نسخة : الحاملة .

تكاد تُحصى ، وإنما يُطلقون عليها عدد الألف ليس لحصور من (١) العدد بل إنما هو كناية عن الكثرة كما أشرنا إليه سابقاً .

بيان العوالم العشرة

قلت : وعشرة عوالم وهي هذه التسعة وعالم الأجساد .

أقول : والكلام فيه كغيره وظاهره ظاهر .

بيان العوالم الأحد عشر

قلت : وأحد عشر عالماً وهي ميادين التوحيد ستة منها كثيرة الحيات والعقارب مظلمة ذات أهوال منكرة هلك فيها خلق كثير ، وإليه الإشارة بتأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴾ (٢) فأدنى المراتب الست وأخسها الأجسام فمن الناس من يعبد جسماً والثاني المثال ، ومنهم من يعبد شبحاً ومنهم من يعتقد أنه مادة ، ومنهم من يعتقد أن معبوده طبيعة ، ومنهم من يعتقد أنه نفس وصورة مجردة وهذه الخمسة دركات الهالكين .

(١) في نسخة : لخصوص .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩ .

بيان ميادين ومراتب التوحيد

أقول : وقولي : (وهي ميادين التوحيد) ، يعني أنّ ميادين التوحيد مما يراد من ذلك في بعض الأحوال ، وإنما خصصتها بالذكر لما في التنبيه على ذلك من الفوائد ، فمنها خمسة كما يأتي هي مراتب التوحيد الحق ، أعلاها لأعلاه وأسفلها لأسفله ، والستة الباقية خمسة منها هي مراتب التوحيد الباطل ، وهي طرق النيران ولكلّ منها أهل وسكان ، وواحد متردد بين الخمسة الأولى الحق وبين الخمسة الأخرى الباطل ، فأما هذه الخمسة الباطلة :

مراتب التوحيد الخمس الباطلة

١ - أن الله جسم كالأجسام

فالأولى : منها من يعتقد أن معبوده جسم كالأجسام وذلك كالكرامية وبعض الحنابلة ومنهم من يعتقد أنه جسم لا كالأجسام والظاهر أنه كالأول إذا أريد به التجسيم اللفظي وإلا فلا إشكال في كونه من الأول .

٢ - أن الله صورة ومثال

والثانية : من يعتقد أنه تعالى صورة ومثال وآية وحدته

تشخص المتشخصات^(١) الجنسية والنوعية والصنافية والشخصية وهو باطل كأول .

٣ - أن الله مادة الأشياء

والثالثة : من يعتقد أنه تعالى مادة الأشياء كما ذهب إليه كثير من الصوفية ومثلوا له بالمداد بالنسبة إلى الكتابة .

٤ - أن الله طبيعة وحقائق الأشياء

والرابعة : من يعتقد أنه عزَّ وجلَّ طبيعة وحقائق الأشياء وطبائعها منه تعالى بالسسخ أو بالظل ومن قال بأنها في ذاته بنحو أشرف وكذا من قال إن معطي الشيء ليس فاقداً له في ذاته يلزمهم القول بهذا نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى .

٥ - أن الله تعالى نفس

والخامسة : من يعتقد أنه تعالى نفس ومن قال بأنه نفس الكل والعالم جسمه فهو منهم وهذه الخمس المراتب عوالم الضلالة وسلاك طرق النار لكلّ باب منهم جزء مقسوم .

وقولي : (كثيرة الحيات والعقارب) ، أشير به إلى أن هذه الاعتقادات أسباب المسخ التي من صورها الحيات والعقارب

(١) في نسخة : المشخصات .

وسائر الحشرات والحيوانات المنكوسة ﴿ فَكَيْسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(١) والأهوال المنكرة آثار اعتقاداتهم من الأقوال والأعمال والأحوال التي ينكرها كل من وقف عليها من المؤمنين العارفين بالله عز وجل فإنهم قد هلكوا بها وأهلكوا من اتبعهم وأصغى إليهم .

وقولي : (وإليه الإشارة بتأويل قوله تعالى) أي وإلى كون اعتقاداتهم ذات أهوال منكرة قد هلك فيها خلق كثير منهم ومن اتباعهم الإشارة بقوله^(٢) تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾^(٣) الآية ، ووجه الإشارة أنه عز وجل ذرأهم وعين طبائعهم وقدرهم بمقتضى إجابتهم المقرونة بإنكار دعوته ، فإنه تعالى خلقهم في الخلق الثاني أعني التقدير بمقتضى إجابتهم المقرونة بإنكار دعوته فحكم عليهم بما اتصفوا به من الإنكار بعد البيان وهداية النجدين وذلك على نحو قوله تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾^(٤) وإذا خلقهم بقابلياتهم من الإجابات العملية^(٥) والقولية كان ذلك الصنع والتركيب مؤدياً إلى جهنم بسلوكهم في أعمالهم طريق ما

(١) سورة السجدة ، الآية : ١٢ .

(٢) في نسخة أخرى : الإشارة بتأويل قوله .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .

(٥) في نسخة : العلمية .

خلقوا عليه والذي خلقوا عليه هو ما أجابوا إليه مختارين فحق عليهم حكم الله عزَّ وجلَّ في كتابه في هذه الآية وأمثالها ، فافهم . فكانت تلك الإجابة^(١) القبيحة موجبة لخلقهم كذلك فكانت ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الاعتقادات الحقَّة لهم ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الآية ، ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الموعظة ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ لما روي أنهم مساوون لهم لاشتراكهم فيها بالأرواح الثلاثة : روح المدرج وروح القوة وروح الشهوة فلا فرق بينها وبينهم إلا روح الإيمان وليست فيهم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنهم أعطوا الفهم والعقل والتميز ولم يعملوا بما أعطوا ، فسلبت عنهم التأييدات الإلهية ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٢) عما يُراد عنهم^(٣) .

وأما السادس : وهو طريق من يعتقد أن الله سبحانه معنى ، فهُم في ذلك على قسمين :

٦ - أن الله تعالى معنى كسائر المعاني

أحدهما : من يعتقد أنه عزَّ وجلَّ معنى كسائر المعاني^(٤)

(١) في نسخة : الإجابات .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩ .

(٣) في نسخة أخرى : منهم .

(٤) في نسخة : المعنى .

وهذا باطل ، لأن المعنى مميز عن غيره بمشخصات معنوية كما يتميز معنى البيت أعني ما يسكن فيه عن معنى الخاتم أعني ما يكون آلة الزينة ، فإن العقل يفرق بين أحدهما من الآخر بمميزات معنوية فهو محصور في العقل في جهة معنوية من جهات العقل يومىء إليها بإشارة عقلية وهذا^(١) وأمثالها صفات الخلق المحدث فلو عرف سبحانه بشيء من ذلك ونحوه لكان ذلك المعروف حادثاً .

٧ - أن الله تعالى شيء واحد

وثانيهما : من يعتقد أنه عزّ وجلّ معنى أي شيء فإذا نزه ذلك الذي عناه عن الجهات المعنوية والإشارة^(٢) العقلية ، ولو كان التنزيه حين يرجع إليه عقله كما هو حال سائر الغافلين دخل في زمرة الموحدين إلا أن هذه المعرفة أسفل مراتب التوحيد إذ لا يدخل في أهل الشهود الذين عناهم سيد الشهداء عليه السلام ، في بيان حال طريقهم بقوله عليه السلام : (أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الإشارة^(٣) هي التي توصل إليك عميت عينٌ لا تراك ولا تزال عليها رقيباً

(١) في نسخة : هذه .

(٢) في نسخة أخرى : الإشارات .

(٣) في نسخة : الآثار .

وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً^(١) ، وهذا ما ذكرته فيما يأتي وهو ما قلت .

٨ - أن الله تعالى معنى عند أهل العقول

وأما السادس : وهو من يعتقد أن معبوده معنى كما هو معتقد كثير من أهل العقول فإن عنى ما يشير إليه عقله فقد أبطل ، لأن الإشارة العقلية لا تقع إلا على محصور دهرى وذلك حادث .
وأقول : وأما الشق الثاني الذي ذهب إليه بعض أصحاب العقول من هذا السادس أعني الاعتقاد بأنه تعالى معنى فهو ما أشرت إليه .

قلت : وإن اعتقده بدون تخصيص إشارة عقلية فذلك موحد إلا أن توحيده أسفل مراتب التوحيد .

أقول : وهذا ما ذكرته قبل هذا فراجعه .

قلت : والخمس الأخر فهي مراتب الفعل الأربع الأول ، والدواة الأولى خامسة التي هي معرفة النفس التي هي معرفة الرب ،

(١) مستدرک سفینه البحار : ١٠ / ٢٦٠ ، بحار الأنوار : ٦٤ / ١٤٢ الباب الرابع ، وج ٩٥ / ٢٢٦ ، وفيه : (الآثار التي توصل إليك) ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٩٠٧ ، وشرح الأسماء الحسنی : ١ / ٥١ .

فأعلاها في التوحيد أن يظهر لعبده في الرحمة ثم في الرياح ثم السحاب المزجي ثم في السحاب المتراكم ثم في المداد الأول المسمّى بالدواة الأولى .

بيان معنى بقیة مراتب التوحيد

أقول : المراد بهذه الخمس المراتب المعرفة بالنسبة إلى العارفين ، لأن حقيقة معرفة العبد هي ما ظهر به الرب له من وجوده فحقيقة المعرفة حقيقة العارف من ربّه يعني ظهوره تعالى لعبده به وذلك الظهور هو أثر الفعل الظاهر والأثر مشابه لصفة المؤثر التي هي مبدؤه ومنشؤه وقد قال الرضا عليه السلام : (قد علم أولو^(١) الألباب أن الاستدلال على ما هناك^(٢) لا يعلم^(٣) إلا بما هاهنا)^(٤) ، فإذا اعتبرنا الأثر وجدناه في نفسه وظهوره له خمس مراتب أربع تنسب إليه وواحدة إلى أثره ، لأنه قبل الظهور يعتبر فيه البطون وهي الأولى ومن حيث البطون هي الثانية والظاهر هي المرتبة الثالثة ومن حيث الظهور هي الرابعة ، وهذه

(١) في التوحيد والبحار : ذوو .

(٢) في نسخة : هنالك .

(٣) في التوحيد والبحار : لا يكون .

(٤) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ٤٢ ، والتوحيد : ٤٣٨ باب بيان علّة إرادته

تعالى ، والبحار : ١٠ / ٣١٦ باب ١٩ ح ١ ، عيون أخبار الرضا عليه

السلام : ٢ / ١٥٦ .

الأربع مراتب للشيء قبل الظهور تنسب إليه بنفسه وإن كان اعتبارها إنما هو من جهة اتصافه بالظهور والخامسة هي الظهور الذي هو هيئة الفعل ، وهيئة الفعل منها ما هو متصل به وهو الذي تلبس الفعل به لا ينفك عنه ، ومنها ما هو منفصل عن الفعل وهو المعبر عنه بالأثر وبالمعلول ، ونظر المعلول إلى علته أعني الوجه المتصل بالفعل الذي لا ينفك عنه أعلى من نظره إلى نفسه من حيث كونه أثراً ومعلولاً ، وهذه الأربعة أعني الباطن ومن حيث الباطن والظاهر ومن حيث الظاهر التي هي أسماء الفاعل مركبة ومتقومة من الأثر الذي به الظهور ومن المؤثر الذي هو فعل الظاهر ، فيكون هذا المركب اسماً للظاهر يُعرف به ، ويتميز به عند العارف به ، وقد تقدّم أن هذا الفعل الذي قلنا إنه المؤثر له أربع مراتب : النقطة والألف والحروف والكلمة ، والمركب من الأثر والفعل الذي قلنا إنه المؤثر له أربع مراتب فالنقطة مع البطون وهو الأولى^(١) وهو أعلى الأسماء والألف مع حيثية البطون هو الثاني والحروف مع الظهور هو الثالث والكلمة مع حيثية الظهور هو الرابع وهذه الأسماء الأربعة هي المقامات والعلامات التي بها يعرف الله تعالى وهي ما ذكره الحجة عليه السلام في دعاء كلّ يوم من شهر رجب في قوله :

(١) في نسخة : الأول .

(ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك فتقها ورتقها بيدك بدوها منك وعودها إليك ، أعضاء وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورؤاد فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت) (١) الدعاء ، فالعارف بالأول أعلى من العارف بالثاني وهذا الثاني أعلى من العارف بالثالث والعارف بالثالث أعلى من العارف بالرابع ، فإذا اعتبرت هذا في الصفات العليا الكلية الكبرى العامة المطلقة تعين العارفون بها فلا يصل إلى الأول إلا محمد صلى الله عليه وآله ولا إلى الثاني إلا علي بن أبي طالب عليه السلام .

وهكذا وإن اعتبرت (٢) فيما دون ذلك من الصفات كصفات الصفات ، سواء كانت كلية إضافية أو جزئية تفاوتت فيها مراتب العارفين كالأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء و(قيمة كل امرئ ما يحسنه) (٣) .

(١) قال عليه السلام : (أسألك بما نطق فيهم من مشيتك ، فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ، ومقاماتك ...) مصباح الكفعمي : ٢ / ٧٢ ، ومصباح المتهجد : ٨٠٣ ، وإقبال الأعمال لابن طاوس : ٣ / ٢١٤ .

(٢) في نسخة أخرى : اعتبرت هذا .

(٣) نهج البلاغة : ٤ / ١٨ ح ٨١ .

وقولي : (ونظر المعلول إلى علته) إلخ ، أريد بالعلة الاسم المركب من الأثر والمؤثر لا خصوص المؤثر الذي هو الفعل إذ لا يوجد هناك عارف غير الفعل نفسه بنفسه ، فافهم .

وأريد بالمداد الأول المسمّى بالدواة الأولى الأثر نفسه المعبر عنه بالوجود الممكن الراجع الثبوت والعارف به ناظر إليه نفسه بمعنى أنه أثر وصفة^(١) وظل الفعل وما أشبه ذلك ، وهذا طريق عال من طرق المعارف ، إلا أن الأربعة الأول أعلى ، لأن العارف هنا ناظر إلى نفسه من حيث إنه أثر وصنع وهو المراد من قوله عليه السلام : (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٢) .

وفي الأربعة الأول ناظر إلى علته ونظره إلى علته أعلى من نظره إلى نفسه وأريد بالنظر إلى نفسه من حيث هو أثر هنا للاحتراز عن النظر إلى نفسه من حيث هو هو ، فإنه حينئذ جاهل لا يجد شيئاً ، لأنه سراب حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، واعلم أنك لو أردت بالمداد الأول والدواة الأولى أرض الجرز والقابليات جاز ذلك وصدق عليه الاسم إلا أن إرادة كونه الوجود الراجع الممكن أولى .

(١) في نسخة : وصفية .

(٢) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار :

٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير

الميزان : ٦ / ١٧١ - ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة - البحث الروائي .

واعلم أن هذا الوجود نور الأنوار وقد يذكر في الأخبار بالنور الذي تنوّرت منه الأنوار والحقيقة المحمدية .

وقولي : (فأعلاها في التوحيد أن يظهر لعبده في الرحمة) إلى آخره ، أريد به أنه سبحانه يظهر لعبده بفعله أو بمفعوله الذي هو عبده ونسبة مراتب المعرفة بعضها إلى بعض في القرب والشرف نسبة الظهور إلى مراتبه ، فالظهور في الرحمة أعلى من الظهور بالألف ، والظهور به أعلى من الظهور بالحروف والظهور بها أعلى من الظهور بالكلمة ، والظهور بها أعلى من الظهور بالوجود ، والظهور به أعلى من الظهور بأرض الجزر فالأربعة الأول والخامس الذي هو الوجود أعلى المعارف وهي المشار إليها بالهاء قال عليه السلام في تفسير الهاء من (هو) في : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(١) : (تثبيت الثابت)^(٢) .

قلت : فالأولى معرفة الباطن في النقطة ، والثانية معرفة الباطن من حيث هو باطن بالنفس الرحماني ، والثالثة معرفة الظاهر بالسحاب المزجى ، والرابعة معرفة الظاهر من حيث هو ظاهر بالسحاب المتراكم ، والخامسة معرفة الظهور بالماء وهي المقامات المشار إليها سابقاً .

(١) سورة الإخلاص ، الآية : ١ .

(٢) لم نجده فيما توقّر لدينا من مصادر .

أقول : هذا هو ما أشرت إليه في الشرح قبله ، وأريد بالماء ما ذكرته أعني الوجود ، وإن أردت به أرض الجزر كان المراد بالماء الماء الأجاج .

قلت : فهذه أحد عشر عالماً خمسة نور ونجاة ، وخمسة ظلمة وهلاك ، وواحد فيه ظلمات ورعد وبرق ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾^(١) وإذا أظلم عليهم قالوا : يا نور النور اهدنا من عندك وافض علينا من فضلك وانشر علينا من رحمتك وانزل علينا من بركاتك .

خلاصة العوالم الأحد عشر

أقول : فهذه أعني جميع طرق ما يُقال عليها اسم المعرفة من حق وباطل أحد عشر عالماً من خلق الله خلق سبحانه حقها بفضله على مقتضى عنايته وباطلها بمقتضى دواعي المبطلين في ألواح الثرى وهي كتاب الفجار المكتوب في السجّين .

وأما الواحد أعني طريق من يرى أنه عزّ وجلّ معنى ، ففيه ظلمات من العادات^(٢) والدواعي الشهوانية ورعدٌ من زواجر

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠ .

(٢) في نسخة أخرى : العادات وغواشي .

المواعظ والآيات في الأرض والسموات وبرق من داعي^(١) الفطرة التي فطر المخلوق عليها التي هي صورة الإجابة لدعوة الله .

بيان العوالم الاثني عشر

قلت : واثننا عشر عالماً من نار وتراب وهواء وماء في الجبروت ونار وتراب وهواء وماء في الملكوت ونار وتراب وهواء وماء في الملك .

أقول : إذا سمعت قول اثني عشر عالماً أو اثني عشر ألف عالم^(٢) ، فمن المراد به العوالم النارية والهوائية والمائية والترابية التي هي بسيط^(٣) أو مركبة وغلبت^(٤) عليها واحد من واحد^(٥) الطباع فإن لم تلحظ الأفراد قبل اثني عشر عالماً إذا أريد منها النوع أو الجنس أو الصنف وإن لحظت الأفراد قبل اثني عشر ألف عالم

(١) في نسخة : دواعي .

(٢) في مختصر البصائر عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إنّ لله تعالى اثني عشر ألف عالم ، كلّ عالم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ، ما يرى كلّ عالم منهم أنّ لله عالماً غيرهم ، وأنا الحجّة عليهم) . مختصر البصائر : ٥٥ والبحار : ٥٧ / ٣٢٠ ح ٢ والتخصال : ٦٣٩ ح ١٤ .

(٣) في نسخة : هي إما بسيطة .

(٤) في نسخة : غلب .

(٥) في نسخة أخرى : أحد .

وتقديمي التراب على الهواء في الجبروت والملكوت وتأخيرته في الملك إشارة إلى ترتيب البروج في عالم الغيب وترتيب العناصر في عالم الشهادة ، كما هو رأي بعض علماء الجفر^(١) حيث جعلوا ترتيب الحروف على ترتيب طبائع البروج فيما يتعلق بالنفوس وعلى ترتيب طبائع العناصر فيما يتعلق بالأجسام .

قلت : وهكذا كلّ عبارة في الروايات وكلام العلماء من ذكر العوالم فتصرف إلى اعتبار .

أقول : يعني أنّ كلّ عبارة دلت في ذكر العوالم على عدد في الأحاديث ، وكذا في عبارات أهل المعرفة إنما يُراد بها شيء من نوع ما أشرنا إليه ، فافهم .

بيان أن آدم أبو العالم

قلت : ثم اعلم أن آدم عليه السلام ، أبو العالم في كلّ عالم إلى ألف ألف عالم ، وأول آدم وُجد هو المشيئة وهو آدم الأكبر وفلك الولاية المطلقة والحقيقة المحمدية ومقام (أو أدنى) وعالم (فأحببت أن أعرف) .

(١) قال المجلسي : الجفر من أولاد الشاة ما عظم واستكرش ، أو بلغ أربعة أشهر ، والجفرة : الأنثى من الضأن تسمى جفرة في أوان طلوع قرنه .

أقول : هذا إشارة إلى ما ذكره الصدوق رحمه الله في آخر الخصال في روايته عن الباقر عليه السلام ، فإنه عليه السلام ، ذكر في قوله تعالى : ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾^(١) (إن الله قد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم ونحن في آخر العوالم وآخر الأدميين)^(٢) ، ويُراد منها تنزلات مراتب الإمكان والأكوان الوجودية وأول موجود في الإمكان هو الفعل أعني المشيئة خلقه الله بنفسه وهو آدم الأول الأكبر ، وقد تقدّم بعض الكلام عليه وأولاده المشيئات التي بها كوّنت جزئيات الأشياء وکلياتها من المكونات المقيدة ، فإن كلّ شيء كونه الله سبحانه بمشيئة خاصة به لا تكون لغيره^(٣) إلا ببعض المشخصات وكلها أولاد المشيئة الكلية الأولية التي هي آدم الأول ، وأول مكوّن بآدم الأول الوجود أعني الماء الكون الذي هو أصل كلّ

(١) سورة ق ، الآية : ١٥ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (يا جابر تأويل ذلك أن الله عزّ وجل إذا أفنى هذا الخلق ، وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، جدّد الله عزّ وجل عالماً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم ، وسما غير هذه السماء تظلمهم لعلك ترى أن الله عزّ وجل إنما خلق هذا العالم الواحد وترى أن الله عزّ وجل لم يخلق بشراً غيركم ، بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الأدميين) ، الخصال : ٦٥٢ ح ٥٤ ، والتوحيد : باب ٣٨ ذكر عظمة الله جل جلاله ح ٢ .

(٣) في نسخة أخرى : كغيره .

مكون محدث من الغيب والشهادة ، وقد ذكرنا أنه لا يمكن فيه من ذاته أكثر من أربعة عشر شخصاً إلا أن يشاء الله أن يغير ما أجرى في حكمته فإنه على كل شيء قدير .

وهذا آدم الثاني وأولاده تنزلاته وظهوراته بأشعته ومظاهره وهي مئة وأربعة وعشرون ألفاً وثاني مكوّن من المكوّن الأول العقل الكلي وأولاده العقول الجزئية ، وهي كلية إضافية وهي مئة وأربعة وعشرون ألفاً وهذا آدم الثالث وهكذا الروح والأرواح والنفس والنفوس والطبيعة والطبائع وهلمّ جرّاً إلى عالم الأجسام تترامى العوالم نازلة إلى التراب ثم ترجع صاعدة وكلها على نحو ما قلنا .

بيان معنى آدم الأكبر

وأما قولنا : وهو آدم الأكبر ، أعني المشيئة وفلك الولاية المطلقة والحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ففيه تسامح في العبارة ، لأن العبارة جارية على نمط اصطلاح القوم وهم يجعلون الوجود الراجح الذي هو المشيئة وما تعلق به ، وهو الوجود المطلق الذي هو أمر الله أعني الماء الذي به حياة كل شيء ، وهو أول صادر عن المشيئة لا من شيء ، ولازمه الذي هو أرض القابليات وأرض الجزر في رتبة واحدة وهي رتبة الإمكان الراجح والوجود المطلق وبعد هذه الرتبة الإمكان الجائز والوجود المقيد

الذي أوله العقل الكلي ، ونحن نجعل أول صادر عن الفعل ولازمه برزخاً بين المطلق والمقيد .

فإن شئنا قلنا الوجود المطلق الراجع هو المشيئة والمقيد هو العقل وما بعده إلى ما تحت الثرى وما بين المطلق والمقيد برزخ أعلاه مع المطلق وأسفله مع المقيد ، وإن شئنا قلنا ما بينهما مع المطلق وإن شئنا قلنا ما بينهما مع المقيد ، فعلى قولنا يكون فلك الولاية محتمل الوجهين فإن أريد به المشيئة فلا إشكال .

وإن أريد به نور الولي عليه السلام ، كان هو والحقيقة المحمدية الذي هو نور النبي صلى الله عليه وآله مادة للأشياء كلها ووجودها الذي هو أمر الله الذي به قام كل شيء قياماً ركنياً ، لأن الله سبحانه جعله عضداً لخلقه ، وليس المراد بذلك أن الأشياء أجزاء منه إذ ليس ينزل شيء عن مقامه ، وإنما الأشياء كوّنت موادها من أشعته وتنزلاته وآثاره ومقام أو أدنى وعالم فأحببت أن أعرف مثل فلك الولاية في الاحتمالين .

تقوم المشيئة بالحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله

واعلم أن تقوّم المشيئة بالحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله كتقوّم حرارة النار بالحديدة حال كونها محمية وكتقوّم الفعل بالقيام في قولك قائم ، ففعل القيام كالمشيئة والقيام كالحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله والقائم كالوجه الذي هو مقاماته

تعالى التي لا فرق بينها وبينه إلا أنها عباده وخلقه ، كما أنه لا فرق بين قائم وبين زيد الظاهر بالقيام في هذه الجهة ، إلا أن قائماً صفة زيد وصنعه ، لأنه سمّي زيد في حال ظهوره بالقيام بقائم فنحن نطلق الوجود المطلق على المشيئة وعلى أول صادر عنها لا من شيء وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله .

في أن المادة هي الأب والصورة هي الأم

قلت : وكل آدم فهو لم يخلق من أب وأمّ إلا الأب والأم المعنويين اللذين ذاته تركبت منهما على نحو ما سبق ، وهما الوجود والماهية أي المادة والصورة فالأب هو المادة والأم هي الصورة .

أقول : اعلم أن كلّ آدم من الآدميين الألف ألف آدم لم يكن مخلوقاً من أب وأمّ كما هو في سائر أولاده ، وذلك كما ترى في أبينا عليه السلام ، وقد أشار الرضا عليه السلام ، إلى نوع مطلق الدليل بقوله عليه السلام : (قد علم أولو^(١) الألباب أن الاستدلال على ما هناك^(٢) لا يعلم^(٣) إلا بما هاهنا^(٤)) انتهى .

(١) في التوحيد والبحار : ذوو .

(٢) في نسخة : هنالك .

(٣) في التوحيد والبحار : لا يكون .

(٤) شرح الأسماء الحسنی : ١ / ٤٢ ، والتوحيد : ٤٣٨ باب بيان علّة إرادته

تعالى ، والبحار : ١٠ / ٣١٦ باب ١٩ ح ١ ، عيون أخبار الرضا عليه

السلام : ٢ / ١٥٦ .

وهذا الدليل وأمثاله مثل قول الصادق عليه السلام : (العبوديةُ جَوْهرةٌ كُنْهها الرُّبوبيَّة)^(١) إلخ ، وغيره يفيد استدلالاً على نفي الأب والأم لكلّ آدم كما في أبينا عليه السلام ، واستدلالاً على ثبوت التركيب لكلّ مخلوق من مادة وصورة وأن المادة هي الأب والصورة هي الأم ، وهذا معنى قولي إلّا الأب والأم المعنويين ، إلخ .

وقولي : وهما الوجود والماهية ، أريد بهما المادة والصورة ولذا فسرتها بهما فالوجود هو المادة والصورة هي الماهية^(٢) ، سواء كان ذلك في عالم الأنوار كالعقول فإن وجودها هو مادتها وماهيتها هي صورتها وهما في العقول مجردان عن العناصر والصور والزمان إذ كلّ شيء بحسبه ، فمادته وصورته من نوع رتبته في الكون الدهري والجبروتي أم في المثال كالصورة في المرآة مثلاً فإن مادتها ظهور المقابل لها وصورتها هيئة المرآة ولونها وصقالتها ، وهذا من نوع رتبته في الكون البرزخي الظلي أم في الأجسام ، فإنها مركبة من مادة عنصرية وصورة مثالية ، وذلك من نوع رتبته في الكون الزماني الجسماني ، أما المادة فتشخص في

(١) مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسير الأصفى للفيض الكاشاني : ٢ / ١١٢١ ،

وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٧٩٨

ح ٢٤٩٠ .

(٢) في نسخة أخرى : والماهية هي الصورة .

الحس بالصورة المثالية ومقوماتها ، وأما الصورة وإن كانت من المثال فإنها إنما تظهر في الحس حال ارتباطها بالمواد العنصرية ، وسواء كان ذلك في الذوات كما مثلنا في الأجسام أم في الصفات كما مثلنا في الصورة في المرآة ، وسواء كان في الغيب كما مثلنا بالعقول أم في الشهادة كما ذكرنا في الأجسام ، وسواء كان في الخارج كما مثلنا أم في الأذهان كالأمر المنتزعة من المعاني والأعيان والهيئات وغير ذلك ، فالوجود على الحق التحقيق بأن تطلب معرفته فيما سوى الله سبحانه هو المادة وهو قول بعضهم ، وهو الصحيح خلافاً للأكثرين ، وهو الركن الأعظم من كل شيء محدث صدر كونه بمشيئة الله ، لأن الوجود هو الذي صدر عن فعل الله ، ومعلوم أن الشيء إنما هو في الحقيقة عبارة عن المادة والصورة ، فإن حدّ الإنسان الحقيقي التام هو الحيوان الناطق مثلاً ، والحصّة الحيوانية هي المادة والحصّة الناطقية هي الصورة ولم يكن له أصل غيرهما وإلا لما كان الحدّ بهما تاماً حقيقياً ، ولو كان الوجود غير المادة لَمَا كان الحدّ بدونه تاماً ولَمَا كان الوجود أظهر الأشياء لكنه هو المادة ، إذ هي أظهر الأشياء في كل شيء ، ولكنه لشدة ظهوره خفي على الأكثر حتى توهموه شيئاً موهوماً أو مفهوماً أو ذهنياً أو معنئاً مصدرياً أو هو الوجود الحق أو فعله وما أشبه ذلك ، وكل هذه الاحتمالات باطلة .

والحق أن الوجود المحدث هو المادة في كل شيء بحسبه ،

والوجود الحق لا يعلمه إلا هو لأنه هو ذات الله عزَّ وجلَّ ،
 ودعوى السنخية والظلية باطلة ، ودعوى الاشتراك المعنوي
 واللفظي أيضاً باطلة ، إذ لم تدخل الذات المقدسة مع غيره تحت
 حقيقة واحدة فلا يصح المعنوي ، ولا يكون بين ذاته عزَّ وجلَّ
 وبين غيره من كلِّ شيء مناسبة من جميع النسب الأربع فلا يصح
 اللفظي ، فافهم .

قلت : وهذا هو المستفاد من كلام أهل العصمة عليهم السلام .

أقول : يعني أن كلامهم عليهم السلام ، صريح لمن يفهم
 فيما ذكرته وأذكره بأن المادة هي الأب والصورة هي الأم كما
 يأتي بعد هذا^(١) .

بطلان قول المتقدمين والحكماء في المادة والصورة

قلت : وأما ما اصطلح عليه المتقدمون والحكماء من أن الأب هو
 الصورة والأم هي المادة وأن الصورة إذا نكحت المادة تولد عنهما
 الشيء توهماً منهم أن النشوء والتخلق في بطن المادة فهي الأم
 فبعيد من جهة المناسبة .

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم من
 رحمته فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه ، أبوه النور وأمه الرحمة) انظر محاسن
 البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وبصائر الدرجات : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ و ٢ .

أقول : المراد بما استفيد من كلام أهل العصمة عليهم السلام ، من كون المادة هي الأب والصورة هي الأم ما يأتي عن الصادق عليه السلام من قوله : (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبنهم من^(١) رحمته^(٢)) فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه ، أبوه النور وأمه الرحمة^(٣) انتهى ، ويأتي بيان وجه الاستدلال به على المطلوب .

ومثله قوله عليه السلام : (السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه)^(٤) انتهى ، ويأتي بيانه أيضاً .

وأما ما اصطلح عليه المتقدمون فدليلهم اعتبار ضعيف ، لأنك إذا وزنت الأشياء بالميزان الحق وجدت ذلك كما قلنا ، وذلك نحو قولك : إن المادة هي تدخل عليها لفظ من إذا أردت التعبير عنها فتقول : صغت الخاتم من فضة ، فالفضة هي مادة الخاتم لا الصورة وتحقق الخاتم إنما يكون في الصورة لا في المادة ، وإلا لكان كلّ فضة خاتماً كما يكون في الصورة ، فإن

(١) في نسخة : في .

(٢) في بعض المصادر زيادة : وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية .

(٣) محاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وبصائر الدرجات : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ و٢ .

(٤) شرح أصول الكافي للمازندراني : ١ / ٢٣٣ ، وشرح الأسماء الحسنی للسبزواري : ١ / ٢٦٢ ، وميزان الحكمة : ٢ / ١٤٧٨ .

كلّ ما هو بهذه الصورة فهو خاتم ، سواء كان من فضة أم من ذهب أم حديد أم نحاس أم خشب ، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأم خلقت من الأب كما قال تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾^(١) يعني حواء وهذا معلوم أن حواء خلقت من آدم عليه السلام .

وكذلك الصورة خلقت من المادة لا العكس وهذا يطابق تأويل قوله عليه السلام : (السعيد من سعد في بطن أمه) إلخ ، أي أن السعادة والشقاوة في بطن الصورة ، ألا ترى أن الخشب الذي هو مادة السرير والباب والصنم ليس فيه حُسن ولا قُبْح ، فإذا عمل باباً كان فيه حسن وإذا عمل صنماً كان فيه قُبْح فكان الحسن والقُبْح في الصورة لا في المادة فتفهم ما أشرنا إليه لتعرف الدليل والاستدلال ، ويظهر لك أن قولهم وإن كان اصطلاحاً بعيداً من جهة المناسبة خالياً من الفائدة .

قلت : وأما من جهة مجرد الاصطلاح والتسمية مع قطع النظر عن المناسبة فلا محذور ، ولكنه لا يفتح به كلّ باب إلا إذا أريد به هذا الاصطلاح الصواب ، بل ربما يقال أن ليس ذلك باصطلاح وإنما الواضع للغة العربية وهو الله سبحانه وتعالى وضع ذلك كذلك .

(١) سورة النساء ، الآية : ١ .

أقول : إن العادة جرت من أهل كلّ عرف على أنه إذا أرادوا الاصطلاح على شيء نقلوه من اللغة لتكون المناسبة بينهما مقرّبة لفهم ذلك الاصطلاح ، وقولهم : إن الصورة هي الأب والمادة هي الأم بعيد من المناسبة بدليل ما أشرنا إليه فيما ذكرنا من الروايتين والاعتبارين ، نعم لو قصدوا مجرد الاصطلاح غير ملاحظين للمناسبة جاز ، ولكن لا تتعدى فائدته فلا تستفاد منه فائدة ولا يستنبط منه دليل .

وأما ما ذكرنا بعد قيام الدليل الخاص عليه فإنه مشتمل على المناسبة التامة وعظيم الفائدة وإفادته الدليل على كثير من المعارف لو قيل إنه اصطلاح ، وأما على احتمال أنه حقيقة وضعه الواضع على هذا المعنى كما يستفاد من بواطن الأخبار فلا إشكال فيه .

قلت : فإذا ظهر لك ما قرّرنا سابقاً ونقرر لاحقاً ظهر الحال من غير حاجة إلى استدلال ، ولو سلمنا أن ذلك ليس من أصل وضع اللغة قلنا إن الاصطلاح المناسب للأمر الواقع أولى بالمصير إليه .

أقول : أريد بهذا الكلام أن ما أشرنا إليه غير خفي على كل من نظر في كلامنا إذا لم يلاحظ ما قالوا ، وأما إذا لاحظ^(١) في

(١) في نسخة أخرى : لاحظ .

فهمه لذلك بأن يجعل قولهم مسلماً عنده ، وإنما الإشكال في كلامي هل يمكن التوفيق بينه وبين كلامهم ، فلا ريب أنه يخفى عليه لأنه على عكس ما قالوا فكيف يوافقه ؟ .

وأيضاً قولي : (بينه وبين المعنى اللغوي) على فرض أن كلامي ليس حقيقة مناسبة تامة وذو المناسبة أولى من غير ذي المناسبة بالمصير إليه ، لأن المناسبة إذا حصلت ظهر للمنقول كثير من أحكام المنقول منه ، وتفتح للعالم بتلك المناسبة أبواب من العلم كثيرة ومن تتبع رسائلنا وقف على كثير منها والله سبحانه هو موفق .

قلت : وبيان الإشارة إلى المناسبة أن الأصل في المولود هو الأب والتخلّق والتقدير ظاهراً وباطناً إنما هو في بطن الأم وإن كان المولود مركباً منهما ، كما روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ما معناه أن الإنسان خُلِقَ من أربعة عشر شيئاً : أربعة من أبيه وأربعة من أمه وستة من الله ، فالتى من الأب العظم والمخ والعصب والعروق ، والتي من الأم اللحم والدم والجلد والشعر ، والتي من الله الحواس الخمس والنفس^(١) فإذا نظرت ما من الأب رأيته هو أصل الإنسان لأنه هو القسم الأقوى ، ولهذا

(١) لم نجده فيما توفر لدينا من مصادر .

كان جانب الأب أقوى وأدخل في أمر الميراث وفي الولاية وغير ذلك كالمادة لأنها هي الجانب الأقوى في الشيء والصورة هي الجانب الأضعف فيه كالأم ، فإن ما منها ظاهر المولود وقشره كاللحم والدم والجلد والشعر يتعلق بما من الأب كالصورة تتعلق بما من المادة بحلولها فيها .

أقول : هذا الكلام كله ظاهر لأنه أتى به بياناً فلا يحتاج إلى بيان مع ما يأتي من بعده فيه بيان أيضاً .

الدليل على أن الصورة هي الأم

قلت : لكن لما كان التخلّق الذي هو التصور إنما يكون في بطن الأم والأحكام لا تعلق لها بنفس المادة وإلا لتساوت جميع أشخاص النوع من الأحكام ، وإنما تتعلق بالصور لتختص كلّ صورة بما يناسب لها من الحكم كانت الأحكام منوطة بالصورة ، كما أن حكم المولود منوط بصورته ولا تكون إلا في بطن أمه ، ومن هنا قال عليه السلام : (السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه)^(١) ، لأن بطن الأم هو محل التخلّق والتصور وذلك هو مناط الأحكام .

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني : ١ / ٢٣٣ ، وشرح الأسماء الحسنی للسبزواری : ١ / ٢٦٢ ، وميزان الحكمة : ٢ / ١٤٧٨ .

في أن الصورة مناط الأحكام

أقول : الدليل على أن الصورة هي الأم أن المادة لا تلحقها الأحكام ، وإنما تلحق الصورة فإذا جعلنا المادة هي الأب والصورة هي الأم صح لنا ما ذكرناه سابقاً .

وذلك مثل الخشب الصالح للسرير وللصنم^(١) لا يلحقه من حيث هو حسن ولا قبيح ، فلا تقول هذا الخشب حسن وهذا الخشب قبيح وإن كان صالحاً لعمل الحسن وعمل القبيح فإذا صوّر سريراً كان ذلك بتلك الصورة حسناً وإذا صوّر صنماً كان بهذه الصورة قبيحاً ، [فإذا أردت]^(٢) مطابقة الظاهر والباطن والتأويل ونظرت إلى قوله عليه السلام : (السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه) .

وإلى ما قاله بعض المفسرين تبعاً للحكماء فيما قرّروا في الطبيعي أن السامري حين أخذ الذهب لما صنعه عجباً خار ، ولو صنعه كلباً نبج ولو صنعه إنساناً تكلم^(٣) ، مع أنّ المادة واحدة وهي الذهب .

(١) في نسخة : الصنم .

(٢) زيادة من نسخة أخرى .

(٣) في نسخة : لكلم .

وإلى ما قاله الفقهاء من أنه لو نزا كلب على شاة فأولدها ولدًا فإن كان بصورة الكلب فهو كلب نجس وحرام ، وإن كان بصورة الشاة فهو شاة طاهر وحلال^(١).

ومثله ما روي عن علي عليه السلام ؛ وجدت ذلك على ما قلنا مطابقاً وعلى ما قالوا^(٢) أولئك مخالفاً ، وهو من جهة أن الصورة هي الأم التي يتشخص فيها المولود بالصورة التي تلحقها الأحكام وتبنى عليها وهذا ظاهر .

قلت : فإذا ثبت أن الصورة مناط الأحكام ثبت أنها هي الأم لا المادة وإلا لتساوت أفراد النوع في الحكم لتساويها في المادة كما مرّ ، ونظير ذلك الخشب فإنه مادة للسريير وللصنم فإن عمل صنماً كان فعله حراماً ويجب كسره وإن عمل سريراً كان جائزاً فالحكم عليه بالحرمة والجواز إنما هو في الصورة ، فصارت السعادة مثلاً كالسريير والشقاوة كالصنم إنما هو في بطن الصورة لا في بطن المادة ، وذكر الأصحاب في الكلب إذا نزا على شاة فأتت بولد فإن كان كلباً فهو حرام ونجس العين وإن كان شاة كان حلالاً وطاهر العين والمادة واحدة ، وإنما الحل والحرمة في بطن

(١) انظر مصباح الفقيه للهمداني : ١ / ٥٤٥ .

(٢) في نسخة أخرى : قال .

الصورة وهي الأم وهذا ظاهر ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

أقول : هذا الكلام ظاهر وقد ذكرته قبل هذا مكرراً وهو في نفسه لا يحتاج إلى البيان .

قلت : وإلى ما ذكرنا ورد التصريح عن الصادق عليه السلام ، في قوله عليه السلام : (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة) (٢) فانظر إلى صراحة هذا الحديث في المدعى .

في أن النور هو المادة

أقول : قد ذكرنا قبل أن المادة في التعبير عنها لا بدّ وأن تدخل عليها لفظ من فتقول صنعت (٣) الخاتم من فضة ، لأن

(١) سورة ق ، الآية : ٣٧ .

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام لسليمان : (يا سُلَيْمَانُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نُورِهِ وَصَبَغَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ وَأَخَذَ مِيثَاقَهُمْ لَنَا بِالْوِلَايَةِ وَلِعَلِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ أَبُوهُ النُّورُ وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ) بصائر الدرجات : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ - ٢ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ٧٥ ح ٦ ، وتفسير الصافي للفيض الكاشاني : ٥ / ٥١ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وميزان الحكمة : ٣ / ٢٣٩٥ .

(٣) في نسخة أخرى : صغت .

دخولها في نحو هذا التركيب علامة أن مدخولها هو المادة إذ لا يقال صنعت^(١) الخاتم من الصورة ، فقله عليه السلام : (إن الله خلق المؤمنين من نوره) ، صريح في أن النور هو المادة أي الوجود ، وقد صرح عليه السلام بأنها هي الأب فقال : (أبوه النور وأمه الرحمة) يعني الصورة الإنسانية المستقيمة المنقوشة على هيئات الطاعات وصورها ، والدليل على أن هذا النور هو المادة ما ذكره عليه السلام ، في تفسير كلام جدّه عليه السلام ، حين قال : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)^(٢) قال عليه السلام : (يعني بنوره الذي خُلِقَ منه)^(٣) ، والذي خُلِقَ منه هو المادة وهو النور أي الوجود وهذا ظاهر لا غبار عليه .

المراد بالمادة هو الوجود الذي هو أول صادر عن فعل الله

والمراد بالرحمة الحصة الناطقية وبالنور الحصة الحيوانية في قولهم : الإنسان حيوان ناطق ، فإن حيواناً هو المادة وناطق هو الصورة ، والمراد بالمادة هو الوجود الذي هو أول صادر عن فعل

(١) في نسخة أخرى : صنعت .

(٢) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٧ / ١٥ ح ٢٢٤٣ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ .

(٣) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٧ / ١٥ ح ٢٢٤٣ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وبصائر الدرجات : ١٠٠ . في البصائر والمحاسن والبحار : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله الذي خلق منه) .

الله تعالى إذ لم يصدر عن فعل الله سبحانه إلا شيء والشيء لا يتقوم إلا بمادة وصورة والمادة هي الصادر عن فعل الله والصورة هيئة ذلك الصادر وانفعاله بفعل الله فاشرب صافياً ودع عنك الأوهام^(١).

قلت : لأن النور هو المادة والمراد به الوجود لقول الصادق عليه السلام في تفسير قوله عليه السلام :
(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) قال عليه السلام : يعني (بنوره الذي خلق منه) .

أقول : هذا هو ما ذكرنا قبل ، والمراد في هذا الحديث بنور الله هو الوجود ، ويعبر عنه تارة بالفؤاد وإنما سماه نور الله لأنه غير ناظر إلى نفسه أبداً ، وإنما ينظر إلى الله ، فمثاله في نظره إلى الله متوجهاً إليه سبحانه من جهة فعله ، أي متوجهاً إليه بواسطة توجهه إلى فعله الذي منه بدأه مثاله^(٢) نور السراج في عدم نظره إلى نفسه أبداً ، وإنما ينظر إلى السراج أعني النار بواسطة نظره

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) . قال ابن عباس : كيف ينظر بنور الله ؟ قال عليه السلام : (لأننا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من شعاع نورنا ، فهم أصفياء أبرار أطهار متوسمون نورهم يضيء على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء) بحار الأنوار : ٢٥ / ٢٠ ح ٣٢ .
(٢) في نسخة أخرى : مثال .

إلى الشعلة المرئية من السراج منتهياً إليها لأنها هي التي منها بدؤه النار ، فافهم ، وإنما لم يقل عليه السلام : لأنه ينظر بحقيقته أو بوجوده ، لأنه حينئذ بمدلول اللفظ ناظر إلى نفسه فلا يكون حينئذ نوراً بل هو ظلمة وعدم فلا تكون له فراسة أصلاً .

قلت : والرحمة هي الصورة ، لأن الصورة هي صبغ للمادة فالرحمة صبغ الوجود وهي الماهية الثانية ، لأن الماهية الأولى شرط لتحقيق الوجود في الخلق الأول قبل التكليف ، وأما في الخلق الثاني حين قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾^(١) فمن أجاب بلسانه وقلبه خلقه من صورة الإجابة وهي الصورة الإنسانية حقيقة وهي الصبغ في الرحمة ، فافهم . ومن عصى بقلبه خلقه من الصورة الشيطانية وهي الصبغ في الغضب ، فالسعيد من سعد في صبغ الرحمة قال عليه السلام : وهي الأم والشقي من شقي في صبغ الغضب .

في أن الرحمة هي الصورة

أقول : المراد من الرحمة في الحديث الشريف المتقدم الصورة بدليل قوله عليه السلام : (خلقهم من نوره) فالنور هو

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

المادة وقوله عليه السلام : (وصبغهم في رحمته) فالرحمة هي الصورة لأنه تعالى ركبهم في خلقهم من مادة وصورة فالرحمة صبغ الوجود ، لأنها صورة له في خلق المؤمنين والغضب صبغة^(١) في خلق الكافرين .

قولي : وهي الماهية الثانية ، أشير به إلى أن الخلق الأول هو خلق المادة النوعية فتكون مركبة من مادة بسيطة ومن ماهية أولى ، وهي انفعاله وقبوله الإيجاد بفعل الله تعالى كالخشب فإنه مركب من مادة بسيطة وهي الحصة من العناصر ، ومن صورة نوعية وهي الحصة الخشبية ، وهذا هو الخلق الأول للسريير وللصنم اللذين [هما] متساويين فيه في الصلوح ولم يظهر فيه الحسن والقبح ، لأن هذه الماهية شرط للتحقق^(٢) في الخلق الأول فلا تكون منشأً لظهور الأفعال الاختيارية ، لأن هذه متساوقة في الظهور للوجود الذي به تكون الشيئية فتكون الماهية الأولى قبل التكليف التفصيلي وإن كانت في الحقيقة هي إجابة التكليف والقبول والتحمل الذي هو علة الكون ، وأما الماهية الثانية فهي صبغ الرحمة في خلق المؤمنين كحصة صورة السريير في إيجاد السريير وهو^(٣) صبغ الغضب في خلق الكافرين كحصة صورة الصنم في إيجاد الصنم وصبغ الرحمة هو

(١) في نسخة : صبغه .

(٢) في نسخة : التحقق .

(٣) في نسخة أخرى : هي .

الصورة الإنسانية لاشتمالها على حدود الطاعات التي هي جنود العقل كما في حديث هشام في الكافي^(١) وصبغ الغضب من الصورة^(٢) الشيطانية لاشتمالها على حدود المعاصي التي هي جنود الجهل ، ونريد بحدود الطاعات العلم والحلم والإخلاص والرجاء واليقين والزهد والورع وما أشبه ذلك ، فإن كل واحد منها حدّ تميز به الطاعات وحدود المعاصي الجهل والخرق والرياء والقنوط والشك والطمع والخوف ، وما أشبه ذلك فإن كل واحد منها حدّ تميز به المعاصي عن الطاعات والهندسة والتخطيط الذي تميّزت به الصورة إنما هو هذه الحدود وأشباهاها ، لأن تلك الصور^(٣) معنوية والتصوير الوارد عليها أيضاً معنوي ، فافهم .

قلت : ونظيره من المعروف عند الناس في الإنسان أنه حيوان ناطق ، فالحيوان مادة تصلح للإنسان والكلب والصورة لمادة الإنسان الناطقية فالنطق هو الصورة ، وهي التي يميز فيها الإنسان من الكلب فهي الأم التي يشقى في بطنها الشقي ويسعد في بطنها السعيد .

(١) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور . كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر . توفي في بغداد في شهر شعبان سنة : ٣٢٩ هـ وقيل : ٣٢٨ هـ .

(٢) في نسخة : الغضب هي الصورة .

(٣) في نسخة : الصورة .

أقول : إنما قلت من المعروف عند الناس لأنهم في علومهم ومحاوراتهم ينظرون في معرفة الشيء إلى ما يفهمون منه ، ولا يفهمون من معنى الحيوان إلا أنه المتحرك بالإرادة ، فيجعلون مفهوم هذا جنساً شاملاً لجميع الحيوانات ، فيأخذون لكل نوع حصة ويميزون بينها بالصور النوعية أعني الفصول وينتقلون من ذلك المفهوم إلى الموجود المعلوم الخارجي فينظرون في حصة كل نوع خارجي بذلك المعيار ، ثم حكموا بأن تلك الحصص الخارجية متساوية في الرتبة لكونها من حقيقة واحدة وأخطأوا لأنهم إنما أدركوا الاتحاد من قبل المفهوم وتمشوا منه إلى الخارجي المعلوم ، وفي الحقيقة إنما اشتركت الحصص في جهة التسمية وأوقاتها وأمكنتها متفاوتة متفاوتاً يلزم منه أن الوضع على السابق قد تحقق واستعمل في وقت ومكان لم يوجد المسمى المتأخر ليريده الواضع فيضع اللفظ بإزائه ، ولم يدخل في حقيقة الأول ليكون فرداً منها . فإذا وضع اللفظ بإزائها دخل في جملة أفرادها ، وإنما هو من حقيقة مغايرة لحقيقة الأولى ، نعم لما كان بين الحقيقتين تقارب وتناسب وهو تناسب السببية والمسببية وتقارب الملزومية واللازمة حصلت المناسبة الذاتية التي هي علة الوضع بين اللفظ الموضوع للأول وبين الثاني اللازم فحسن الوضع عليه بعد وجوده ولم يكن وقته ومكانه وقت المسمى الأول ومكانه ليكون مساوياً له ، وليس الوضع عليهما وضعاً واحداً ،

لأن الوضع الواحد إنما يكون بإزاء موجود وحين الوضع على الأول لم يكن الثاني موجوداً وحين وجد الثاني ووضع عليه ما وضع على الأول لم يكن مجتمعاً معه في رتبة واحدة ، وإنما جمعهما مفهوم اللفظ والمفهوم غير المعنى المسمى .
فإذا قلت : إن الوضع على الثاني بالحقيقة .

قلت : يجوز ذلك ولكن بمعنى أنه حقيقة بعد حقيقة كما هو شأن المشتركة اللفظية في كونها بأوضاع متعددة ، نعم قد تتعدد^(١) حصص الحيوانية فتكون إذا كان في اللازم والمسبب حصة واحدة تكون في السبب والملزوم حصتان لأنه يشارك الأسفل في الحصة السفلى وينفرد بالحصة العليا ، ويأتي بيان هذا عن قريب إن شاء الله عند ذكره ، فيأتي أن الحصة الحيوانية المجامعة للناطقية من نوع لا يكون جنساً لها وللمجامعة للناحية والصاهلية ، ولما ثبت أن السعادة والشقاوة إنما هي في بطن الأم وأن الصورة الشخصية هي التي بها يتميز الشقي والسعيد كما مثلنا لك في الخشب والسرير والصنم ثبت أن الصورة هي الأم وقد تقدم ذلك ، ولما أردت الكلام بالإشارة إلى بيان تلك الحصص .

(١) في نسخة : تعدد .

مادة الإنسان والحيوان تجمعهما حقيقة واحدة في الظاهر

قلت : ثم اعلم أن الحصة التي في الإنسان من الحيوان التي هي المادة والحصة التي في الكلب من الحيوان التي هي مادته تجمعهما حقيقة واحدة في الظاهر بلحاظ أن الحيوان هو المتحرك بالإرادة المعروفة عند العوام ، وعليه جرى اصطلاحات العلماء في أكثر كتبهم ومحاوراتهم .

أقول : قد تقدم معنى هذا الكلام وبيانه فلا فائدة في إعادته .

ذكر اختلاف الحصة الحيوانية التي في الإنسان والفرس

قلت : وأما في الحقيقة فهل هما كذلك ، وإنما اختلفا بإضافة الصورة من جهة قابلية كل منهما واستعدادها .

أقول : إن هذا الكلام وما بعده في ذكر اختلاف الاحتمالات في الحصة الحيوانية التي في الإنسان والفرس على حسب ما تقتضيه ظواهر أدلة الحكمة أحدها أنها^(١) يحتمل أن تكون الحصتان من حقيقة واحدة تدخلان تحت جنس واحد ، إذ هو مقتضى اتحاد مفهوم المتحرك بالإرادة الصادق عليهما ، وعلى

(١) في نسخة أخرى : أنه .

هذا فلم اختلفا في القوة والضعف حتى كانت في الحيوان أضعف منها في الإنسان ، مع أنّ مقتضى الاتحاد المذكور أن يكون فيهما^(١) من باب التواطؤ؟ فأجيب بأن الاختلاف بين الحصتين مع تساويهما في أصل الهيولى إنما حصل من جهة قابلية الحصة التي كانت أقوى واستعدادها ، ويرد عليه أن القابلية والاستعداد المشار إليهما شرط التحقق وقبل التحقق لا شيء وبعد التحقق تكونان من التواطؤ إذ هما من ذات واحدة ، ولا تصح أن تكونا من المشكك ، لأن الأفراد المشككة إنما تتحقق من ذوات متعددة كالأبيض للإنسان والقرطاس والقمر أو من صفة منبسطة اختلفت رتب أماكنها كالبياض من الأبيض وكالنور من السراج بخلاف الحصة الذاتية من ذات واحدة ، فإنها لا تصح إلا من المتواطئ وإلا لاختلفت رتب أماكنها فلم تكن من ذات واحدة .

تفاضل حصص الإنسان والحيوان دليل على اختلاف أصلهما

قلت : أم لا ؟ بل كلّ حصة من حقيقة ، لأن مراتب الوجود متفاوتة ولا ينحصر تفاوتها في مراتب المشكك بالقوة والضعف ليقال إن ما اختلف من المشكك تجمعه حقيقة واحدة ، بل منه المشكك ومنه الأعراض كالأضواء والأنوار والصفات والأفعال

(١) في نسخة أخرى : بينهما .

والنسب ، وذلك لا تجمعهم مع معروضه حقيقة واحدة ، وإن قلنا إن كلّ أثر يشابه صفة مؤثره ، لأن جهة المشابهة هي الهيئة في الصفة والأثر .

أقول : هذا ثاني الاحتمالات وهو أن كلّ حصة من حقيقة غير الحقيقة التي منها الحصة الأخرى ، واختلافهما دليل على اختلاف أصلهما ، لأن التفاوت الذاتي لا يتحقق في الذات الواحدة المتحدة الرتبة والمكان ، ولا ينحصر التفاوت في مراتب المشكك بالقوة والضعف على فرض دعوى أن المشكك تجمع أفراده حقيقة واحدة ، لأنا نقول :

أولاً : إن التشكيك إنما يكون من أنواع المفاهيم المحصلة من الألفاظ أو من الحقائق المختلفة المتعددة بسبب وصف اجتمعت فيه أو من الأعراض المنبسطة لاختلاف أماكن تلك الحصص ورتبها ، وهو معنى قولني : بل منه المشكك أي من الوجود إذا^(١) أخذ بالمفهوم المعبر عنه في الفارسية بهستي فإنه يشمل بهذا المعنى كلّ ما هو شيء ، فإن المشكك وإن اختلفت أفراده دخل في الوجود بهذا المعنى وهو حقيقة واحدة ، وإن اختلفت في القوة والضعف وذلك كالأبيض والبياض مع اختلاف حقائق الأول وهو الأبيض والأضواء إذا أريد منها المنيرات

(١) في نسخة : إذ .

واختلاف أماكن الثاني وهو البياض والأنوار المنبسطة إذا لم ترد منها المنيرات ، [ومثل] الثاني الصفات القارة الذاتية وغير القارة الفعلية والأفعال والنسب ، فإن الأفعال تختلف باختلاف متعلقاتها والنسب كذلك .

والثاني : وما يلحق به لا تجمع حقيقته واحدة مع معروضاتها ، فإن الصفة ليست في رتبة الموصوف والفعل ليس في رتبة الفاعل والنسبة ليست في رتبة المنسوب ، ومع ذلك تجمع الكل حقيقة الوجود بمعنى هستي بالفارسية ، وإن كانت مختلفة الحقائق فيكون من الوجود المشكك ومنه غير المشكك وهو مختلف الأفراد كالمشكك .

وقولي : وإن قلنا : إن كلّ أثر يشابه صفة مؤثره ، أريد به أن الأشياء مختلفة الحقائق وإن قلنا : إن كلّ واحد منها أثر لعلته والأثر يشابه صفة مؤثره ويلزم من هذا اتحادها لاتحاد المشابهة في جهة التشبيه فلا يكون مختلفة الحقائق بل نقول : هي مختلفة الحقائق ، والمشابهة إنما هي في الصفة والأثر وذلك لا يقتضي الاتحاد في الذات .

وأجيب بأن دليلكم يصح بين حصص الأنواع في أنفسها أما على إطلاق كلامكم فلا ، فإنه يتناول الحصاص الشخصية فإننا نجد بين أفراد النوع الواحد تفاوتاً عظيماً مع الاتفاق في الحقيقة ، على أن أفراد هذا النوع من المتواطئ الذي مقتضاه التساوي فإن خصص الدليل بالحصاص النوعية صح وإلا فلا .

تفاضل حصص الإنسان والحيوان بما تكتسب من الصورة

قلت : أم هما من شيء واحد تتفاوت الحصص بما تكتسب من الصور لا بقابليتها واستعدادها ؟ .

أقول : هذا ثالث الاحتمالات وتقريره أن الحصص الحيوانية الموجودة في أنواع الحيوانات وأشخاصها كلها من شيء واحد أي^(١) من حقيقة واحدة متحدة الرتبة والمكان والهيئة واختلافها في الحيوان الناطق والحيوان الصاهل والناحق ، وفي أفراد كل نوع إنما هو بما تكتسب تلك الحصص من الصور اللاحقة لها أعني الحصص الفصولية^(٢) ، وفي الأفراد بما تكتسب كل حصة من الصورة الشخصية واختلافها لاختلاف ذلك الاكتساب ، والفرق بين هذا الاحتمال والاحتمال الأول أن هذا نسب فيه الاختلاف وتفاوتها في القوة والضعف إلى ما يصل إليها من الصور ، وهي في أنفسها متساوية تساوي تواطؤ والأول نسب الاختلاف والتفاوت في القوة والضعف إلى نفس الحصة^(٣) المادية وإن كان ذلك إنما ظهر بانضمام الصور ، لأن التفاوت من

(١) في نسخة : أو .

(٢) في نسخة : النوعية .

(٣) في نسخة أخرى : الحصة .

أصل استعداد ذات المادة فهو فيها بالقوة ويكون بالفعل عند ارتباط الصورة بها .

ويرد على هذا الاحتمال أن هذا التفاوت إذا كان في خصوص أفراد نوع واحد أمكن أن يسند التفاوت بينها إلى الاكتساب من الصور ، أما إذا كان في الأنواع المختلفة فإن كانت في رتبة واحدة من الوجود أمكن أن يتم فيها هذا التوجيه ، كما لو فرض بين الفرس والحمار والبغل والإبل والبقر والغنم والكلب وما أشبه ذلك ، ولكن إذا فرض بين أحد هذه المذكورات وبين الإنسان فإننا وإن سلّمنا أن للصورة تأثيراً عظيماً يحصل منه التفاوت العظيم إلا أن الصورة التي يكون منها مثل هذا التفاوت العظيم لا يصلح إلى^(١) الحكمة أن ترتبط بما لا يناسبها من المواد ، فإن لون الياقوت مثلاً وشفاءه لا يصلح أن يوضع في مادة كثيفة وسخة كالتراب غير الصافي ، فلو تعلق به ذلك اللون وذلك الصفا ضعف اللون والشفاء وكان لا يصلح واحد منهما أن ينسب إلى الياقوت ، وإنما يرتبطان بمادة صافية لطيفة نقية من الأوساخ والأعراض والكدورات ، فإذا فهمت التمثيل ظهر لك أن هذا التفاوت العظيم بين نوع الإنسان ونوع الحمار لا يكون من خصوص ما يكتسب من الصور إذ لا يبلغ ذلك بالمادة هذا المبلغ من التفاوت العظيم .

(١) في نسخة أخرى : في .

في تفاضل حصص الإنسان والحيوان في المادة والصورة

قلت : والحق في المسألة أن ما كان من شيء واحد منها كالحصص المتخذة من الذات الواحدة أو من العرض فهي في الحقيقة واحدة واختلاف الحصص إذا كانت من شيء واحد إنما هو باختلاف اكتسابها من الصور من الأعمال الظاهرة والباطنة الناشئة عن اختلاف مراتب الإجابة في عالم الذر ، واختلاف الصور في القابلية والاستعداد بسبب اختلاف انفعالها من الحصص بسبب تفاوت مراتبها ومشخصاتها ، فتفاضل إذا اجتمعت في الدرجات لكنها لا تتجاوز الحقيقة الجامعة لتلك الحصص .

أقول : هذا رابع الاحتمالات وهو التفصيل ، وهو الحق الذي تنصره الأدلة العقلية والنقلية ، وتقريره ما ذكرته في المتن ، وهو أنه إذا كانت الحصص من شيء واحد كما لو أخذت من ذات واحدة أو من العرض الواحد .

[فمثال] الأول كما إذا أخذت من جرم الشمس مثلاً فهي من حقيقة واحدة بسيطة متساوية الأجزاء والحصص المأخوذة منها يجب أن تكون متساوية وإلا لتفاوتت أجزاء تلك الحقيقة فلا تكون في نفسها بسيطة متحدة بل تكون مركبة متعددة وهو خلاف المفروض .

[ومثال] الثاني كما إذا أخذت من شعاع الشمس أو شعاع السراج ، فإنها من حقيقة واحدة متساوية الأجزاء بالنسبة إلى المنير في كونها ظهوره ، وإنما اختلف في الشدة والضعف لاختلاف مواقعها ومواضعها ، وإنما قوي ما كان أقرب إلى المنير في المكان وضعف ما كان أبعد لقوة قابلية الموضع بالقرب ، ولو كان الموضع البعيد شديد القابلية بأن يكون أشدّ من القريب في ذاته انعكس الأمر فكان مع بعده أشدّ استنارة ، وذلك كما لو كان البعيد صقيلاً كالمرآة ، فإنه يكون أشدّ استنارة من الأقرب إلى المنير إذا كان كثيفاً ، فدلّت هذه الآيات على أن المنير متساوي النسبة إلى القوابل عنه ، وإنما اختلفت نسبتها إليه من نحو ذواتها فتكون متساوية في نفسها كالتي من الذات ، وإنما اختلفت بما تكتسب من الصور والصورة تنشأ من الأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة والباطنة كالمعارف الحقّة .

واختلاف الاكتساب ناشئ من اختلاف مراتب الإجابة في التكليف الأول في عالم الذر ، فاختلفت الصور باختلاف الإجابة في السبق والتقدم الذي هو لازم الصدق مع الله سبحانه في جميع المواطن في كلّ شيء بنسبته ، وهو الذي عبّرنا عنه بالانفعال المنسوب إلى الحصص التي هي المواد ، فإنها تختلف في الاستعداد والقابلية ، لأنه عزّ وجلّ أعطى كلّ شيء خلقه فانبسطت العطية على مراتب أكوان الشيء فمنها ما يظهر بالوجود ومنها ما

يظهر مع الوجود ومن ذلك ما هو بالفعل ومنه ما هو بالقوة وما بالقوة منه ما هو ناقص يتم بانضمام الصورة إليه أو بما تكتسبه المادة من الصورة ومنها ما هو بالعين ، ومنها مع العين كما في الوجود .
ومنها ما هو بالقدر ومنها ما هو مع القدر كما في الوجود ،
ومنها ما هو القضاء ، ومنها ما هو مع القضاء كما مرّ .

والحاصل أن التفاوت نشأ من اختلاف الاستمداد والاستمداد مستمر مع الخلق من أول ما ذكر به^(١) في العلم إلى آخر ما ذكر به ما^(٢) في العلم .

واعلم أن ما كان منها من شيء واحد وحصل بينها التفاضل بسبب ما ذكرنا لا يتجاوز تلك الحقيقة ، سواء كان من ذات أو صفة فلا يكون للفاضل الذي من الشعاع مثلاً أن يتجاوز رتبة الشعاع فيلحق بالمنير فيكون من نوع المنير ولا الذي من المنير أن يلحق بعلمته ، نعم يمكن في حق الفاضل إذا بلغ في التكميل أن يشابه علمته وهو نهاية سيره قال أمير المؤمنين عليه السلام : (خلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابته جواهر أوائل عللها فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)^(٣) انتهى .

(١) في نسخة : ما ذكرته .

(٢) في نسخة : ذكرته .

(٣) مصباح البلاغة : ٢ / ٢٤٤ خ ١٧٧ ، وعيون الحكم والمواعظ : ٣٠٤ .

هذا كله في أصناف الإنسان والجان والملائكة ، وأما فيما سوى ذلك من جميع الحيوانات فيما يتعلق بها من التكاليف الظاهرة والباطنة التي هي منشأ تكوينها وتفاضلها فبنسبة حال كل نوع وكل صنف ، وكل شخص منها يعرف ذلك بالقياس إلى الإنسان كل في رتبته ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾^(١) ، ومرادي بقولي : إن ما كان من شيء واحد ، أن الحصص المتعددة في الأنواع المتعددة والأشخاص المتعددة إذا قيس بعضها إلى بعض وكانت هذه الحصص من رتبة واحدة كالفرس والكلب والطيور والطيور والطيور والفرس والفرس والفرس والفرس والفرس والمعصوم والمعصوم ، فافهم .

قلت : وما كان من شيئين مع ما كان من شيء واحد اجتماعاً في الرتبة الجامعة كالإنسان والفرس يجتمعان في الحصص الحيوانية الفلكية الحساسة ويتفارقان فيما فوقها ، فالإنسان فيه من الحيوانية حصتان ذاتية وعرضية وفي الفرس حصص ذاتية لها هي عرضية الإنسان والحصص الذاتية للإنسان هي حصص من الناطقة القدسية .

أقول : وما كان من شيئين يعني إذا قيس شيئان أحدهما إلى

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٦٤ .

الآخر وكان أحدهما من حصة والآخر من حصتين اجتمع الشيطان في حقيقة الحصة السفلى كالفرس مع الإنسان ، فإن الفرس فيه حصة واحدة حيوانية فلكية حساسة والإنسان فيه حصتان حصة حيوانية فلكية حساسة فيجتمع مع الفرس في حقيقتها ، وحصة ناطقة قدسية يفارق الفرس فيها ، وإنما يجتمع مع الفرس في السفلى ، ومرادي بالناطقة القدسية الحيوانية التي هي المادة لا الناطقة القدسية التي هي الصورة ، لأن التي هي الصورة لا إشكال في كونها متغايرة لصورة النوع الآخر لأنها هي الفصل وإنما الإشكال في حصة الجنس التي هي المادة .

وكذلك إذا كان أحد المتناسبين من شيء أو من شيئين والآخر من ثلاث فإنه يجتمع مع ذي الواحدة ويفارقه فيما سواه ، ويجتمع مع ذي الحصتين في الأولى وفي الثانية ويفارقه في الثالثة حيث كان متفرّداً بها ولم تكن عند ذي الحصتين ويأتي ذكره ، فما اجتمع فيه إن كان في المساوي كالفرس والطيور والفرس والفرس فالحصتان ذاتيتان ، وإن كان في التفاضل^(١) كالإنسان والفرس والحساسة الفلكية ذاتية في الفرس وعرضية في الإنسان ، بمعنى أن الإنسان ذاتية الحقيقي هو الحصة الحيوانية القدسية ، ولكنه إذا تنزل إلى الأجسام ليتحصل منها ما يتكامل به من العلم والعمل لا

(١) في نسخة أخرى : المتفاضل .

يمكنه إلا بالحصّة الحيوانية الحسية الفلكية ، فهي فيه لأجل
تحصيل ما يتكامل به ، فهي عرضية بالنسبة إلى الأولى بمعنى أن
تركبه منها ليس لنفس ذاتها بل لهذه الغاية .

وبمعنى ثان أنها شعاع الأولى والشعاع عرض فكونها عرضية
بهذين المعنيين ، وليس المراد بالعرضية أنها أجنبية غريبة لم تكن
منه ولا له ، بل هي منه وله إلا أنها مركب الأولى وقشرها
وظاهرها وكذا حكم الإنسان بالنسبة إلى المعصوم فإنه بحكم
الحيوان بالنسبة إلى الإنسان .

الحصّة حيوانية الفلكية الحساسة لا تقبل الصورة الإنسانية

قلت : فالحيوانية الفلكية الحساسة لا تقبل الصورة الإنسانية
وتقبل صور جميع الحيوانات ويلزم حكم الصورة تلك الحصّة
سواء قرت كما في سائر الحيوانات إلا نادراً أم تغيرت كما في
الإنسان فإنها إذا لم تكن نفسه مطمئنة تكون تلك الحصّة الحيوانية
الفلكية الحساسة أبداً تلبس صور الحيوانات فتلبس في الغضب
صورة سبع وفي الشهوة صورة خنزير ، وفي النيمة صورة عقرب
وهكذا .

أقول : هذا تفريع على ما تقدم في بعض أحكامه فإن منها أن
الحيوانية الفلكية الحساسة وهي الحصّة الحيوانية التي هي المادة

لا تقبل الصورة الإنسانية ، كما أن الحجر الكثيف الكمد حال كثافته وكمودته لا يقبل الشفافية لأنها تناقض صفته هذه وهي الكثافة والكمودة ، وإنما يقبل الشفافية الحجر الصافي الذي لا كثافة فيه ولا كمودة كالزجاج والبلور والياقوت ، ولكن تلك الحصة تقبل صور^(١) جميع الحيوانات ، فحصة الحيوانية الحساسة الفلكية تقبل صور^(٢) السبع والشاة والطيور والفرس وهكذا لأنها من رتبة واحدة ولا تنافيا كما يقبل الحجر الكثيف الكمد لون الحمرة والبياض والصفرة والخضرة ويلزم تلك الحصة الواحدة حكم كل صورة قبلتها ، فإذا قبلت صورة الكلب كانت نجسة وطبيعتها الحرارة واليبوسة وحالها الغضب ، وإذا قبل^(٣) صورة الشاة كانت طاهرة وطبيعتها الهون والاطمئنان وهكذا صور سائر الحيوانات .

وقولي : (سواء قرّت) ، إلخ ، أريد به أن الحصة الحيوانية تصلح لسائر صور الحيوانات ولكن أي صورة لبستها قرّت فيها ولا تتغير بأن تنتقل عنها ولو في بعض الأحكام إلا نادراً ، كما في^(٤) كلب أهل الكهف وناقاة صالح وعفير حمار النبي صلى الله

(١) في نسخة : صورة .

(٢) في نسخة : صورة .

(٣) في نسخة : قبلت .

(٤) في نسخة : هو .

عليه وآله^(١) ، وما أشبه ذلك من الحيوانات التي كان لها نوع من الإنسانية حتى كان يدرك الاعتقادات الحقّة التي عليها المهتمدي من نوع الإنسان لا مطلق الاعتقاد الحق ولو بالنسبة إلى المعتقد ، فإن ذلك لا ينفك عنه شيء من الحيوانات كما في النملة فإنها تعتقد أن الله سبحانه زبانيين أي قرنين ، لأن كمال نوعها في وجودهما فهي عند الله موحدة وإن كان حقاً في حقها ، ولكنه في حقنا باطل وكفر ومعرفة بعض الحيوانات لذلك لا يكون بنحو عقول الإنسان ولكنه نادر الوقوع والحصّة الحيوانية يستقر فيها حكم ما لبسته من الصور الحيوانية .

قولي : (أم تغيرت) ، أريد أن الحصّة الحيوانية الفلكية إذا جمعت الحصّة الحيوانية القدسية تكون مقهورة تحتها ليس لها اختيار إلا أن ذلك إذا كانت الحيوانية القدسية مؤيدة بالعلم والعمل ، وأما إذا لم تكن كذلك لم تكن الحيوانية الفلكية

(١) روي في الكافي : قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله : (. . .) يا بلال عليّ بالبغلتين : الشهباء والدلّيل ، والناقتين : العضباء والقصوى والفرسين : الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله صلى الله عليه وآله وحيزوم وهو الذي كان يقول : أقدم حيزوم ، والحمار عفير فقال : أقبضها في حياتي . فذكر أمير المؤمنين عليه السلام أن أول شيء من الدواب توفي عفير ساعة قبض رسول الله صلى الله عليه وآله قطع خطامه ثم مرّ يركض حتى أتى بئر بني خطمة بقباء فرمى بنفسه فيها فكانت قبره) . الكافي : ١ / ٢٣٦ ح ٩ .

مقهورة تحتها ، بل تكون مهملة الناصية فتلبس ما شاءت من الصور الحيوانية وتخلع وتلزمها أحكام ما لبست ، وأما ما خلعت فإن كانت عن توبة محا الله سبحانه ذلك الحكم يوم القيامة وإلا بقي لازماً لها لزوم الظل للشاخص : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) ﴿ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ (٢) فقد تلبس الصور المتعددة على التعاقب إلا أنها لا تظهر في الدنيا لحكم قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَى ﴾ (٣) فتكون ما لبسته مستوراً عن أعين الناس والمعصوم عليه السلام يشاهده ، وإن لم يتب عنه يُحشر يوم القيامة في تلك الصورة ، وهذه تكون في الحصة الحيوانية التي في الإنسان لأنه لما كان جامعاً كان ما لحقه بفاضل جامعته جامعاً ، فإذا غضب لبس صورة السبع أو الكلب وإذا سعى بين الناس بالنميمة لبس صورة العقرب أو الحية وهكذا ، فإن تاب محا الله سبحانه تلك الصورة وإلا حُشر فيها ، ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ﴾ (٤) ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٩ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .

(٣) سورة طه ، الآية : ١٥ .

(٤) سورة الانشقاق ، الآية : ٦ .

يَرُّهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴿١﴾ ، وأما إذا كانت مقهوة تحت الحصة الناطقية بأن تكون نفسه مطمئنة بالعلم والعمل على اليقين ، فإنها أي الفلكية الحساسة لا تلبس شيئاً من صورها إذ لا اختيار لها حينئذ وهو معنى قولي : إذا لم تكن نفسه مطمئنة .

الحصة الناطقة القدسية لا تقبل الحيوانية

قلت : والحصة الناطقة القدسية لا تقبل شيئاً من صور الحيوانات وإنما تقبل الصورة الإنسانية فقط ولا تقبل الصورة الجامعية الكلية ، والمعصوم عليه السلام فيه ثلاث حصص عرضيتان وهما ما في الإنسان ولكنهما فيه قرتا واطمأنتا فلا يخرجان عن حكم الثالثة أبداً .

أقول : يعني أنّ الحصة الحيوانية القدسية لا تقبل صور الحيوانات لعلو رتبته عن تلك الصور ، ولأن تلك الصور آثار صورتها والشيء لا يجري عليه لذاته ما هو أجراه ، وإنما تقبل ما هو منها أعني صورتها وهي حصة من الناطقية ، لأن الأولى نور والنور يقبل الحدود التي من نوعه ، كالعلم والحلم والتقوى

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ، ٨ .

والإيمان والأعمال الصالحة وما أشبه ذلك ، وهذه الحدود تكون الهندسة منها حصة ناطقية فتلائم الحيوانية القدسية ، وأيضاً هذه الحيوانية القدسية كما لا تقبل صور الحيوانات لتعالها عنها كذلك لا تقبل الصورة الجامعية الكلية لتعالها الصورة الجامعة الكلية عنها ، ولأن الحيوانية القدسية آثار صورتها والشيء لا يجري عليه لذاته ما هو أجراه ، والمعصوم وهو صاحب الحيوانية الجامعة الكلية التي تقبل الصورة الجامعية الكلية فيه (ثلاث حصص عرضيتان) بالنسبة إلى نوريته وهما اللتان في الإنسان .

بيان الحصص القدسيّة في الإنسان

أحدها : الحيوانية الفلكية الحساسة وهي نفس نفوس الأفلاك وهذه تؤخذ من شعاعها قبضة للإنسان والفرس ، فإذا فارقت نفس الإنسان الحساسة ونفس الفرس عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة وهو ظاهر الحيوانية الحساسة التي في المعصوم عليه السلام .

وثانيها : الحيوانية القدسية وهي التي أخذ حصته من شعاعها للمؤمن أعني الذاتية للمؤمن إلا أن هذه وإن كانت أصلاً لذاتية المؤمن لكنها عرضية المعصوم عليه السلام ، صحبتته في طريقه في هبوطه إلى عالم الأجسام .

وثالثها : الكلية الجامعة وهي ذاتيتها^(١) والأوليان العرضيتان في المعصوم عليه السلام ، قرنا فلا تلبس إحداهما صورة غير ما هي عليه من أكمل الصور بها^(٢) وأشرفها لأنهما مقهورتان تحت قوة الجامعة الكلية الإلهية فاطمأنتا على ما راضيتهما^(٣) عليه فلم تخرجا عن حكمها أبداً ، ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٤) ﴿ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٥) .

بيان الحصة الملكوتية الإلهية

قلت : وهي الحصة الملكوتية الإلهية تقبل صورة التوحيد وهي العصمة ومرتبة القطبية للوجود والصورة الجامعة الكلية .

أقول : اعلم أن الحصة الملكوتية الإلهية التي هي مادة حقيقته عليه السلام ، أعني بها في محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، الحقيقة المحمدية وهي أول فائض من مشيئة الله الكونية وهي كلّ الفيض من المشيئة الكونية بلا واسطة إذ لم

(١) في نسخة : الذاتية .

(٢) في نسخة : لها .

(٣) في نسخة : راضتهما .

(٤) سورة الحديد ، الآية : ٢١ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٠٥ .

يفض من المشيئة بلا واسطة غيرها وكل ما سواها إنما حدث بواسطتها ، وإنما نطلق^(١) عليها الحصة مع أنها الكل لأنها بالنسبة إلى فعل الله وقدرته على إحداث أمثالها حصة مما فاض من المشيئة الإمكانية ، ولأن هذا الإطلاق هو المتعارف ولأننا لما ذكرناها في بحث الحصاص ناسب التعبير عنها بما نعبر به عن الحصاص تقبل صورة التوحيد الأكمل ، وهذه الصورة هي الجامعة التي تفرعت عنها هياكل التوحيد يعني أن الحيوانات الملكوتية الإلهية هي الذات أي المادة التي تقبل صورة التوحيد الأعلى التي تنزلت بهياكل التوحيد ، وهذه الهياكل ظهرت آثارها على القواعد بل بالتوحيد^(٢) في قابلية القابل ، وبالشرك في قابلية الشرك ، وبالإيمان في قابلية المؤمن ، وبالكفر في قابلية الكافر وتنظيره للتفهم أن لفظ لا إله إلا الله وردت على سلمان بأن قل لا إله إلا الله فقالها فكان مؤمناً وعلى أبي لهب فأنكرها فكان كافراً وذلك تأويل قوله تعالى : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^(٣) وصورة التوحيد العليا هي العصمة أعني المنافية لوقوع الذنب مع التمكن منه والقدرة عليه ولإرادته^(٤) مع التمكن منه ، لأن الصورة إذا كانت في تمام

(١) في نسخة : تطلق .

(٢) في نسخة : اثارها على القوابل بالتوحيد .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٨٢ .

(٤) في نسخة : الإرادة .

الاستقامة بحيث تكون في تخطيطها وهندستها على طبق مقتضى المشيئة والإرادة ، فإن ما هو هكذا لا يكون مخالفاً للمشيئة والإرادة وإلا لما كان مطابقاً لهما ولا تكون هكذا إلا إذا كانت في مرتبة القطبية للوجود بأن يكون جميع شؤون الوجود الحق تعالى تدور عليها ، وأن تكون جميع الوجودات الإمكانية تدور عليها لأنها هي باب تكوينها وكونها وقيامها وبقائها وتكون حينئذ محل نظر الله من العالم .

الربط بين الحصة الحيوانية الفلكية والناطقة القدسية

قلت : فالحصة الحيوانية الفلكية مركب للناطقة القدسية وأثر لها خلقت من فاضلها والناطقة القدسية أثر للملكوتية الإلهية خلقت من فاضلها فلا تجمع هذه الثلاث حقيقة واحدة ، نعم إذا نظرنا بنظر آخر بأن الكل من مراتب الوجود وأنه حياة وشعور وإنما يختلف بحسب مظاهره جاز على هذا إطلاق الاتحاد في الجملة إلا أنك إذا عرفت ما ذكرنا لك من اختلاف الحقائق ظهر لك التباين .

أقول : هذا حاصل ما تقدم ومتفرع عليه ونريد به أن الحيوانية الفلكية الحساسة لما كانت آلة^(١) للقدسية الناطقية عند

(١) في نسخة : آية .

نزولها إلى عالم الزمان لاستخراج أسرارهِ وعلومهِ بحيث لا تتمكن بدونها ، لأنها من نوع هذا العالم نزلت إليه فيها فكانت مركباً لها يحملها إلى بلد لم تكونوا بالغيه^(١) إلا بشق الأنفس فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، فتوصل بها إلى ما فيه^(٢) من العلوم وتركبها إلى ما سواها لإدراك ما استتر فيه ، والحساسة أيضاً أثر للقدسية لأنها صفتها وظهورها بها خلقت من فاضلها أي من شعاعها فإذا نسبتها إليها كان نسبة النور إلى المنير ، وكذلك الناطقة القدسية بالنسبة إلى الملكوتية الإلهية فلا تكون هذه الثلاث من حقيقة واحدة كما أنّ الأثر لا يكون من حقيقة المؤثر .

وقولي : (نعم إذا نظرنا بنظر آخر) إلخ ، أريد به أنا إذا لم ننظر إلى حقائقها ونظرنا إلى ما يصدق عليها من معنى الوجود المعبر عنه بالفارسية بهستي وهو المعنى اللغوي ، أو الكون في الأعيان وأن كلّ ذلك من مراتب الوجود لا فرق فيه بين الذات والصفة والمؤثر والأثر والعين ، والمعنى فإن الوجود بالمعنى الذي ذكرنا صادق على الكل والوجود حتى بالمعنى المذكور كلّهُ شعور وحياة كما برهنا عليه في بعض مسائلنا ومباحثاتنا ، إلا أن ذلك في كلّ شيء بحسبه لأنه إنما اختلف حال شعور مراتبها

(١) في نسخة : لم تكن بالغة له .

(٢) في نسخة : فتوصل بها إلى ما فيها .

وحياتها لاختلاف مراتبها في القرب والبعد من المبدأ صح إطلاق الاتحاد عليها وأنها من حقيقة واحدة وهي الحقيقة المرادة من مطلق هستي أو الكون في الأعيان ، إلا أن القوم حين قالوا إنها من حقيقة واحدة ما يريدون به إلا أنها كلها داخلة تحت جنس واحد ، وقد بيّنا لك بطلان قولهم كما سمعت فانظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال .

شرح الفائدة السادسة
في الإشارة إلى القسم الثالث
وهو الوجود المقيد
أوله الدُّرَّة وآخره الذرَّة

شرح الفائدة السادسة في الإشارة إلى الوجود المقيد

قلت : الفائدة السادسة في الإشارة إلى القسم الثالث وهو الوجود المقيد أوله الدرّة وآخره الذرة .

أقول : هذا القسم الثالث من أقسام ما يعبر عنه بلفظ الوجود كما أشرنا سابقاً إلى أنها ثلاثة :

أقسام الوجود

١ - الوجود الحق

الأول : الوجود الحق ونريد به ما يعرف به الوجود الواجب الحق عزّ وجلّ وهو المسمّى بالوجه والمقامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان وبالعنوان وبالوصف الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

٢ - الوجود المطلق

والثاني : الوجود المطلق ونريد به الوجود الممكن الراجح الوجود وهو فعل الله ومشيتته وإرادته وإبداعه مع ما تقوم به من

أثره ومتعلقه من الحقيقة المحمدية وفلك الولاية المطلقة والماء الذي به حياة كل شيء .

٣ - الوجود المقيّد

والثالث : الوجود المقيّد أي المتوقف في وجوده على شيء وأوله العقل الكلي أعني عقل الكلّ ، ومعنى هذا أن ما سوى الله عزّ وجلّ شخص واحد له عقل واحد وهو هذا العقل وهذا معنى قولهم : عقل الكلّ ، وليس المراد أن معنى الكلّ أن كلّ واحد واحد مما سوى الله تعالى فردّ من أفرادهِ ، وإن هذا العقل عقل تلك الأفراد على سبيل الانبساط عليها بحيث يكون كلّ منها له منه حصة تساوت الحصص أم اختلفت أو أنه على جهة البدلية بل هي كلها شخص واحد له عقل واحد ، وهذا العقل أول مخلوق من المخلوقات المقيّدة أي المتوقفة في وجودها على شيء وهو الدّرة المذكورة في المتن بل في كثير من الأخبار .

ولهذا روي : (أول ما خلق الله العقل)^(١) .

وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : (أول ما خلق الله عقلي)^(٢) .

(١) محاسن البرقي : ١ / ١٩٦ ، الكافي : ١ / ٢١ ح ١٤ ، وشرح أصول الكافي

للمازندراني : ١ / ٢٠٢ ، وغوالي اللّالي : ٤ / ٩٩ ح ١٤١ .

(٢) شرح الأسماء الحسنی : ١ / ٢٠٣ ، وبحار الأنوار : ١٥ / ٢٤ ، ومشارك

أنوار اليقين : ٤٢ (نوري) .

ورويانا : (إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلق من
الروحانيين عن يمين العرش)^(١) الحديث .

بيان أول الوجود المقيّد العقل وآخره الثرى

وآخره أي آخر الوجود المقيّد تقريباً الذرة وهي الواحدة من
الهباء ، ويراد بها الثرى أو ما تحت الثرى ، يعني أنّ الوجود
المقيّد أوله في البدء والعلو العقل وآخره في أسفل الثرى ، وهو
عبارة عن اللوح المكتوب فيه صور الباطل أعني الذي صدره
سجّين ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾^(٢) وسجّين تحت الملك
الحامل للأرضين السبع وفوق الثور والثرى تحت الطمطم
أعلى^(٣) الظلمة التي تحت جهنم التي تحت الريح العقيم التي
تحت البحر الذي تحت الحوت الذي تحت الثور والثرى في
مقابلة اللوح المكتوب فيه صور الحق أعني الذي صدره عليون :
﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلْتَيْنِ ﴾^(٤) وما تحت الثرى هو مبادئ
تلك الصور^(٥) الباطلة ، وهي في مقابلة الركن الأصفر الأسفل

(١) انظر أصول الكافي : ١ / ٢١ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٣٠٩ .

(٢) سورة المطففين ، الآية : ٧ .

(٣) في نسخة : أعني .

(٤) سورة المطففين ، الآية : ١٨ .

(٥) في نسخة : الصورة .

عن يمين العرش تحت العقل والعقل هو الركن الأعلى عن يمينه وفي هذا الركن الأصفر مبادئ الصور الحقّة فهي في مقابلة ما تحت الثرى .

فقولنا : (وآخره الذرة) جار على الجاري على الألسن في مكالماتهم وإلا ففي الحقيقة أنه إذا كان أول الوجود المقيّد العقل يكون آخره ما يقابل العقل وهو الجهل ، وهو تحت ما تحت الثرى لكن لما كان في كثير من المقامات لا يثبت للعقل مقابل بل ربما^(١) أطلق المقابل على ما تحت الثرى الذي هو مقابل للروح بلحاظ أن الروح كثيراً ما يطلق ويراد بها العقل كما في قوله صلى الله عليه وآله : (أول ما خلق الله روعي)^(٢) ، على أحد الاحتمالين :

بيان المراد بالروح

أحدهما : أن المراد بالروح العقل وأنه بمعنى قوله صلى الله عليه وآله : (أول ما خلق الله عقلي) .

وثانيهما : أن المراد بها هو معنى نفسها البرزخي وأن أولية الروح إضافية ، ويؤيد أن الآخر هو ما تحت الثرى مع القول بعدم المقابلة للعقل أن الذرة لم يرد بها النملة الصغيرة كما في أخبار

(١) في نسخة : مقابل ربما .

(٢) شرح أصول الكافي : ١٢ / ١٢ .

التكليف الأول وهم كالذر يدبون ، وإنما يراد بها واحدة الذر الذي هو الغبار الظاهر في شعاع الشمس المار من الرواشن في البيوت وذلك ليس مثلاً للثرى ، فإنه مقابل للنفس الكلية وفيه صور الباطلة المجتثة تامة الشكل كالصور^(١) في المرآة كما في النفس إلا أن ما في النفس أصلها ثابت لأنها صور الحق وما في الثرى أصلها مجتث فيكون مباديها التي فيما تحت الثرى المقابلة للروح مناسباً للآخرة في مقابلة أولية العقل ، فافهم .

قلت : وكيفية بدئه وهي أنه قد أخذ الله تعالى بفعله باسمه القابض من رطوبة هواء الجواز أربعة أجزاء قد صعدت من أرض الإمكان أرض الجرز ومن هباء أرض الجواز جزءاً فقدرهما في تعفين هاضمة اسمه البديع فانحلت البيوسة في الرطوبة وانعقدت الرطوبة بالبيوسة فاتحداً وذلك لما بينهما من المشاكلة .

كيفية تكوين الوجود المقيّد

أقول : هذا إشارة إلى كيفية تكوينه في بدئه ، وهو دليل إنّي نبّه الله سبحانه بعض عباده عليه في كتابه فقال تعالى : ﴿ سَأْتِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^(٢) وبين

(١) في نسخة : كالصورة .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

هذا الصادق عليه السلام بقوله : (العُبوديةُ جَوهرةٌ كُنْهها الرُّبوبيَّةُ فَمَا فُقد في العُبوديةِ وُجدَ في الرُّبوبيَّةِ ، وما خَفي في الرُّبوبيَّةِ أُصِيبَ في العُبوديةِ)^(١) الحديث .

ولا ريب أن هذا استدلال بالعبودية المعلومة على الربوبية العلة .

وبيّنه أيضاً الرضا عليه السلام بقوله : (قد علم أولو^(٢) الألباب أن الاستدلال على ما هناك^(٣) لا يعلم^(٤) إلا بما هاهنا)^(٥) انتهى .

فتوصلنا بكيفية ما هاهنا على كيفية ما هنالك ، وهو أن الصانع إذا أراد صنع شيء عمل مادته التي يصنعه منها وهو الخلق الأول كصنع المداد للكتابة فإنه الخلق الأول للكتابة ثم يأخذ منه فيصنع منه الكتابة وهو الخلق الثاني .

والإشارة إلى ذلك فيما نحن فيه أنه قد أخذ سبحانه بفعله

(١) مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسير الأصفى للفيض الكاشاني : ٢ / ١١٢١ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٧٩٨ ح ٢٤٩٠ .

(٢) في التوحيد والبحار : ذوو .

(٣) في نسخة : هنالك .

(٤) في التوحيد والبحار : لا يكون .

(٥) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ٤٢ ، والتوحيد : ٤٣٨ باب بيان علة إرادته تعالى ، والبحار : ١٠ / ٣١٦ باب ١٩ ح ١ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ .

يعني بمشيئته واختراعه باسمه القابض وهو وجه المشيئة وركنها الأعلى ، لأنّ أركان مشيئته واختراعه أربعة : البديع والرحمن والباعث والقابض فالبديع له استعمالان قد يستعمل في معنى البارد الرطب وقد يستعمل في معنى الحار الرطب ، فإذا استعمل في الحار الرطب كان بمعنى الرحمن ، وهنا استعملته بمعنى الرحمن الحار الرطب فلذا قلت في تعفين هاضمة اسمه البديع ، لأنّ التعفين يعني ما به الانحلال لا يكون إلا بالحرارة والرطوبة إذ بهما يحصل الهضم .

قولي : (باسمه القابض الذي هو علة الطبيعة الكلية) ، أعني الحار اليابس الذي بهما يحصل القبض قد أخذ سبحانه من رطوبة هواء الجواز أربعة أجزاء هي المادة البسيطة في الخلق الأول ، ونسبت تلك الأجزاء إلى الهواء الذي هو الرطب الحار كناية عن الحياة إذ الحياة مادة كما سمعت من حصة الحيوان أنها هي المادة وحصة الناطق هي الصورة وهي اليبوسة .

فإن قلت : إن الصورة عندك هي الأم وهي الباردة الرطبة فكيف قلت هنا هي اليبوسة ؟

قلت : هذه لها^(١) اعتباران فباعتبار حياة الكون في الخلق الأول

(١) في نسخة : قلت هذا له .

تكون المادة هي الرطوبة لأنها هي الذكر ، وإنما الصورة حدود وتخطيطات ليس لها تأصل في حياة الكون ، وباعتبار حياة العين في الخلق الثاني تكون الصورة هي الرطوبة .

وآية ذلك إنما هي في عمل المكتوم فإنه في التدبير الأول الذي هو عمل كونه وصنع مادته يكون الماء هو الذكر ، وهو النار التي تكلسه فإذا فرغ من تدبير المادة وأخذ في التزويج انعكست التسمية ، وكان الماء هو الأنثى الباردة الرطبة بالنسبة إلى الذكر ، وكان الثفل الذي كان يسمى بالأنثى وهو البارد اليابس هو الذكر الحار اليابس ، فكذلك هنا فإن المادة هي الكون ولا حياة بدونه فتنسب إليه الرطوبة والحرارة ، والصورة هيئة والهيئة إنما تتقوم بالمادة فحياتها من المادة لا من نفسها فتنسب إليها اليبوسة والبرودة .

نعم هي في الخلق الثاني تكون منشأً لحياة جنينها الذي في بطنها ، يعني أن أحكام السرير مثلاً إنما تلحقه في الصورة لا في الخشب فحياة السرير بها لا بالمادة ، يعني باعتبار خصوص لحوق الأحكام به وإلا ففي الحقيقة حياة السرير وحياة الصورة لا توجدان بدون المادة فافهم .

وكون الأجزاء من رطوبة هواء الجواز أربعة كما مرّ جار على مطابقة الوجود في كونه مربعاً منقسماً على طبق أركان العرش ، إذ لو زادت على ذلك بعدت عن نسبة المشاكلة لعدم مشاكلة التراب

ولو نقص عنها غلظ فخرج عن الإطلاق المعتبر^(١) في جزئية الغذاء قد صعدت من أرض الإمكان إنما صعدت بحرارة الاسم القابض وأرض الجرز اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾^(٢) يعني بها الأرض المتهيئة^(٣) للنبات يعني أرض القابليات ومن هباء أرض الجواز يعني به اليبوسة جزء لأنه كافٍ في الاستمسك وفي حصول المشاكلة .

أما الاستمسك فإن^(٤) المادة لا تتقوم إلا بصورة ولو نوعية أو جنسية وهذا الجزء الذي هو اليبوسة كافٍ في الاستمسك لأنه صورة للمادة التي هي الأجزاء الرطبة وكاف في حصول مشاكلة الماء للتراب لذوبانه في ذلك الماء فقدرهما في تعفين هاضمة اسمه البديع ، أي قدر الأربعة الأجزاء من الرطوبة أعني مادة النوع والجزء الواحد الذي من اليبوسة أعني صورة النوع والأربعة أثر المشيئة والجزء الواحد أثر الإرادة ، والتقدير أول الخلق الثاني وهو مراعاة نسبة الرطوبة واليبوسة كما ذكرنا ومراعاة مدة مكثها في الهاضمة وقدر حرارتها في أي درجة من درجات الحرارة فانحلت اليبوسة، أي الجزء اليابس في الرطوبة أي

(١) في نسخة : المعبر .

(٢) سورة السجدة ، الآية : ٢٧ .

(٣) في نسخة : المهيأة .

(٤) في نسخة : فلأن .

الأجزاء الأربعة لغلبة الرطوبة على اليبوسة في الابتداء وانعقدت الرطوبة يعني الأجزاء الأربعة باليبوسة أي الجزء اليابس بمعونة حرارة الهاضمة ، لأنه قد تألف منهما حرارة ويبوسة في الجملة فحصل بهما الانعقاد في الجملة الذي هو هنا عبارة عن حصول غلظ ما فيه بسبب ما انحلّ فيه من الجزء اليابس فاتّحدا بسبب انحلال اليبوسة بالرطوبة وانعقاد الرطوبة باليبوسة حتى كانا شيئاً واحداً يعني ماءً مشاكلاً أي له ملاءمة مع الأجزاء الأرضية بسبب الجزء الأرضي المنحل فيه وذلك لما بينهما من المشاكلة ، يعني أنّ الرطوبة اتحدت باليبوسة المنحلّة فيها لما بينهما من المشاكلة تعليل للاتحاد والمشاكلة الجامعة لهما هي كون الماء بارداً وكون التراب بارداً .

قلت : فارتفع من ذلك البحر سحاباً مزجى فتراكم تحت المشيئة فانحلّ من ذلك السحاب المتراكم بحرارة الإرادة ماء فدفعه باسم الباعث ، فوق على البلد الميت والأرض الجزر وهي أرض الجواز والعمق الأكبر ، فانحلّ منه جزآن بما يشاكلة من أرض ذلك العمق الأكبر بجزء فأخرج منهما تلك الزروع والثمرات .

أقول : فارتفع من ذلك البحر أي بحر البخار الذي صعد بحرارة الإرادة وجذبت المشيئة بالاسم القابض الذي هو روح الطبيعة الكلية سحاباً مزجى ، أي مرفوعاً إلى العلو بالاسم

القابض فتراكم يعني صار بعضه فوق بعض حتى كان سحاباً ثقالاً تحت المشيئة يعني في الأول^(١) الجبروت أو في البرزخ بين الجبروت وبين الإمكان الراجح ، أعني في عالم الأمر الذي هو أول فائض من الفعل الإلهي ، فلما تراكم تحت المشيئة انعقدت ببرودة المشيئة سحاباً فانحلّ من ذلك السحاب المتراكم بحرارة الإرادة ، أي توجه الطلب بإرادة الصنع والإيجاد ماء وهو المادة النوعية فدفعه باسمه الباعث أي بالاسم الذي طبعه البرودة والرطوبة أعني طبع الحياة ، لأن القوة الدافعة هي المركبة من البرودة والرطوبة فوق ذلك الماء المدفوع المساق على البلد الميت ، وهي الأرض التي لا نبات فيها والأرض الجرز المتهية للنبات وتلك الأرض هي أرض القابليات التي أشار إليها تعالى في تأويل آية بالبلد الميت وفي تأويل الأخرى^(٢) بأرض الجرز .

والمراد بهما أرض القابليات وهي أرض الجواز تحت الإمكان الراجح والعمق الأكبر الفضاء الذي لا نهاية له مقدرة ، وهذا العمق وصف بالأكبر بالنسبة إلى الأعماق التي دونه لا مطلقاً فإن العمق الأكبر حقيقة مطلق^(٣) هو الفضاء للإمكان الراجح ، وإنما أكبرية هذا العمق إضافية ، وقد تقدّم أنا نريد

(١) في نسخة : أول .

(٢) في نسخة : أخرى .

(٣) في نسخة : مطلقاً .

بالإمكان الراجح الفعل أعني المشيئة والاختراع والإرادة والإبداع وما تحتها من أفعاله عزّ وجلّ مكانها الإمكان الراجح المطلق والعمق الأكبر المطلق ووقتها السرمذ ، ويعبر عنها بالوجود المطلق أي غير المقيد ، بمعنى أنه لم يتوقف في وجوده وإيجاده على شيء غير نفسه ، لا كما يفهمه العوام من معنى وجوب الوجود الذي^(١) يصفون به المعبود تعالى الله عما يشركون وسبحانه وتقدس عما يصفون ، فإن الذي يشيرون إليه إنما يصدق في أعلى مراتب ما يشيرون إليه على عنوان فعله .

وأما الوجود المقيد الذي نحن بصدد بيانه فهو الذي يتوقف في وجوده وإيجاده على شيء غير نفسه يعني يتوقف في وجوده على مادة هي أثر للسابق عليها ، وهو المشيئة والأثر هنا هو أول صادر عن المشيئة المسمّى بالماء الأول والنفس الرحماني والحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، ويتوقف في إيجاده على المادة والقابلية التي هي الصورة وعلى الفعل والوقت والكم والكيف والرتبة والجهة والمكان فانحلّ منه جزآن بما يشاكلة يعني أنّ الماء الذي وقع على الأرض الميتة والأرض الجرز كان مركباً من أربعة أجزاء رطوبة ومن جزء يبوسة فاتحدا فكان^(٢) ماءً واحداً فلما وقع ذلك الماء الذي كان مركباً من جزئين على الأرض

(١) في نسخة : الذين .

(٢) في نسخة : فكانا .

انحلّ منه أي من الماء الواقع الذي كان مركباً من الجزئين
جزآن . انتهى .

ولهذا أتى بالثنائية في بعض العبارات يعني انحل من المجموع
جزآن بما يشاكلة من التراب .

ومعنى المشاكلة :

أولاً : أن ذلك التراب بينه وبين ذلك الماء مقاربة من جهة
البرودة الجامعة لهما ومن جهة أن في الماء جزءاً ترايبياً .

وثانياً : أنه حين كان الماء جزئين يجب أن يكون التراب الذي
ينحل فيه ليصير منهما المادة الغذائية جزء ، إذ لو تساويا لما كان
المجموع منهما مائعاً رقيقاً يجري في العروق ، ولو كان الماء ثلاثة
أجزاء مثلاً لرقّ الغذاء لقلة الترابية فيضعف المغتذي به ويدوب
لكثرة الماء وقلة الخليط^(١) فيضعف تماسكه ، فمعنى المشاكلة في
هذين الأمرين التقارب في الطبيعة والتقارب في الصفة فأخرج منهما
تلك الزروع والثمرات ، يعني أنه تعالى أخرج من الجزئين أعني
جزأي الماء وجزء التراب تلك الزروع والثمرات والزرع إشارة إلى
قوله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٢) والثمرات

(١) في نسخة : الخلط .

(٢) سورة السجدة ، الآية : ٢٧ .

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (١) .

قلت : وما فضل من رطوبته بعد تقديره وسقيه في ظلمات ثلاث يأخذه بالاسم القابض مع قدر ربعه من لطيف هباء أرض الإمكان ويعمل فيه كما مرّ ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٢) ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ (٣) .

بيان الظلمات الثلاث التي تسقي الوجود المقيّد

أقول : يعني وما فضل من رطوبة غذاء الزروع والثمرات المشار إليها بعد ما يؤخذ منه لتقدير الغذاء وهو جزآن من الماء ينحلان مع جزء من التراب ، وبعد ما يؤخذ منه لسقيه حتى يبلغ أوان تمامه في ظلمات ثلاث متعلق لسقيه ، والظلمات الثلاث ظلمة البطن وهي في النبات بطن الأرض ، وظلمة الرحم وهي في النبات بطن ساق الشجرة والنخلة وعود السنبل وما أشبه ذلك ، وظلمة المشيمة وهي في النبات أكامم الطلع وعصف السنبل وما

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٧ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٣٨ .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ١٩ .

أشبه ذلك ، وما فضل من تلك الرطوبة بعد هذه الأمور أخذه باسمه القابض الذي هو روح أشعة الشمس التي تصعد الأبخرة من الأرض من الأنهار والبحار والأرض الرطبة مع قدر ربعها من اليبوسة إلى طبقة الزمهريرية فتعقدتها سحاباً كما كان أولاً .

هذا في الشهادة ، وفي الغيب بهذا النحو إلا أنها هناك كلها معادن^(١) مجردة عن المواد الجسمانية والمدد الزمانية ، سواء كانت ذوات أم صفات ذاتية أم أفعالية ؟ لأن الأشياء كلها مشتركة في نوع الإيجاد والتكوين على وتيرة واحدة ولكنها في كل شيء بحسبه فيأخذ ذلك الفاضل عن التقدير والسقي في الظلمات الثلاث بالاسم القابض مع قدر ربعه من لطيف هباء أرض الإمكان ، لأن غير اللطيف لا ينحل في الرطوبة إلا بعد تلطيفه ولكنه وإن أمكن تلطيفه لكنه لا يمكن إصعاده بأشعة الاسم القابض مع بقاء مقتضى القوابل كما لا يمكن إصعاد الصخرة^(٢) الكبار والجبال بالأشعة الشمسية وإن أمكن في القدرة لكن مع تغيير مقتضى القوابل ، بأن يجعل الجبل في مقدار خفة الذرة وسهولة ذوبانها وانحلالها وهو سهل في القدرة ولكنه لم يكن الثقيل حينئذ ثقيلاً والصليب صليباً وقبض الشعاع قبض يسير^(٣) بل

(١) في نسخة أخرى : كلها معان .

(٢) في نسخة أخرى : الصخر .

(٣) في نسخة أخرى : قبضاً يسيراً .

لا بدّ من تغيير الأشياء عما هي عليه وذلك مناف لمقتضى الحكمة الإجراء^(١) الإيجاد على مقتضى الأسباب ليصح الاستدلال لأولي الألباب .

والمراد بهذا الإمكان الإمكان الجائز الذي هو محل الكائنات لا الإمكان الراجع الذي هو محل لمشيئة الإمكانات ، فإن الإمكان الراجع وإن كان محلاً لمشيئة الأكوان ولكنه ليس محلاً لمتعلقاتها من الكائنات ، لأن محل متعلقاتها من الكائنات هو الإمكان الجائز .

وأما الإمكان الراجع فهو محل لمشيئة الإمكانات ولمتعلقاتها من الإمكانات ، فإنها لا تخرج عن الإمكان الراجع ، فإذا ألبستها ثوب الكون نزل اللابس إلى الإمكان الجائز وبقي وجهه وأصله على ما هو عليه في المحل الأعلى ، فإذا اجتمع الرطب مع اليابس انحلّ اليابس في الرطب وانعقد الرطب باليابس ، وذلك في حالة الصعود ثم يتراكم وينعقد سحاباً على نحو ما ذكرنا سابقاً إلى آخر التقدير .

والسقي في الظلمات الثلاث وهلمّ جرّاً ﴿ ذَلِكْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^(٢) وذكر الآية الشريفة تنبيه على دليل ما ذكر من القرآن

(١) في نسخة : الأجزاء .

(٢) سورة يس ، الآية : ٣٨ .

مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ أي في الأرض ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾^(١) أي مقدر والتقدير كما سمعت مما أشرنا إليه فيما سبق وبراهين هذا من دليل المجادلة بالتي هي أحسن مذكورة في علم الطبيعي المكتوم من إرادته طلبه من أهله والله سبحانه ولي التوفيق .

بيان الحقيقة المحمدية

قلت : وهذا الماء النازل من السحاب المتراكم هو الذي ذكره الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(٢) وهو الوجود المقيّد وهو من بعد المشيئة إلى ما لا نهاية له من المشيئة وهذا الوجود المسمّى بالماء على هذا النحو المذكور يكون في كلّ شيء بحسبه .

أقول : هذا بيان للوجود المحدث الذي منه خلق الأشياء ، والمراد به هو المادة الأولى لكلّ مخلوق ، لأن الذي فاض من فعل الله سبحانه هو النور الذي خلق منه الأشياء كما دلّت عليه النقول عن آل الرسول الفحول صلى الله عليه وآله وأشارت إليه طامحات العقول ، وقد قدمنا سابقاً أن علامة المادة في صنع

(١) سورة الحجر ، الآية : ١٩ .

(٢) سورة الأنبياء عليهم السلام : ٣٠ .

الشيء أن تدخل عليها لفظة من عند التعبير عنها فتقول صغت الخاتم من فضة وصنعت الباب من الخشب وخلق الله ابن آدم من التراب ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، فالذي تدخل عليه من هو المادة وهذا بديهي لا يحتاج إلى تأمل فظهر لمن نظر أن أول فائض عن فعل الله هو المادة وهو الوجود ، والماهية هي الصورة ، لأن الصورة هي المعينة والمشخصة وبها تكون الإنية .

ألا ترى أن الخشب الذي هو مادة للباب لا يكون باباً ولا تلزمه أحكامه لأنه كما يصلح للباب يصلح للسرير وللصنم وما لا يختص بشيء لا يخصص وما لا يخصص لا تكون عنه الإنية ، كذلك الوجود فإنه مادة تصلح لزيد ولعمرو ولا يتعين لأحدهما إلا بالصورة المعينة وهذا الوجود هو الوجود الذي ذكره الله في كتابه على نحو الإشارة فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(١) وذلك حين أطلق تعالى الميت على القابلية التي هي الصورة فقال تعالى : ﴿ سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾^(٢) يعني به الماء .

وقال أيضاً : ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾^(٣) كان المساق

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٧ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤ .

الذي هو الماء الذي هو المادة التي هي الوجود إذ الشيء لا يتكوّن ولا يحيى إلا بمادة .

وهو أي الوجود المقيّد أوله العقل الكلي الذي هو أول مخلوق وهو الدّرة من بعد المشيئة يعني ابتداء كونه وتحققه مع اختلاف مراتبه ، وكون بعضها أثراً لبعض من بعد المشيئة ، وظاهر هذا دخول الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وأرض القابليات في الوجود المقيّد وهو أحد الاحتمالين .

والاحتمال الآخر أنّ الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وأرض القابليات برزخ بين الفعل الذي هو الوجود المطلق وبين المفعول الذي هو الوجود المقيّد ، ووقته مركب من السرمد والدهر أعلاه من السرمد ، فعلى الاحتمال الثاني كما هو أولى أنّ الحقيقة المحمدية وأرض القوابل لاحقتان بالفعل لتوقف ظهور الفعل عليهما وأنّ الوجود المقيّد أوله العقل الكلي وأن البعدية المذكورة أول ثبوتها وجود العقل وهو ما بعد المشيئة ، كما قلنا منبسطاً في مراتب تطوراته إلى ما لا نهاية له في رتبة^(١) من المشيئة ، لأنه تنزّل إلى أن وصل إلى التراب حين قال له : (أدبر فأدبر) فلما قال له : (أقبل فأقبل) ، أخذ يصعد في مراتب الإقبال فكان معدناً ثم كان نباتاً ثم كان حيواناً ثم كان ملكاً ثم

(١) في نسخة أخرى : رتبته .

كان جنّاً ثم كان إنساناً ثم كان جامعاً ، وهكذا إلى المشيئة أي إلى ما كان له من المشيئة ، لأن العقل لا يصل إلى المشيئة بغير واسطة ، وهذا الوجود أعني المقيد المسمّى بالماء كما تقدم في كلّ شيء بحسبه ففي العقول نور مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصور الجوهرية والمثالية وفي الأرواح نور مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصور النفسية .

وفي النفوس كذلك لكنه ليس مجرداً عن الصورة الجوهرية وفي الطبيعة نور أحمر بسيط ذائب مجرد عن متممات قوابل الأجسام وعن المواد العنصرية وفي جوهر الهباء أي المواد المجردة عن الصورة المثالية نور منعقد لم تلزمه الصور المثالية ، وفي المثال أبدان نورانية لا أرواح لها أي ليس لها مواد جوهرية ولا جسمانية ، وفي الأجسام والزمان والمكان أنوار منعقدة لزمته صورها ومدد مقدّرة وفراغات محدودة وفي العناصر طبائع متزاوجة ، وفي المعادن أصول من لطائف العناصر متألفة وفي النباتات لطائف أغذية نامية .

وفي الحيوانات شعلات فلكية حساسة ، وفي الصفات هيئات ذاتية وحركات فعلية وصور ظلّية وأمثال ذلك ، وكل هذه وما بينها من الوسائط والبرازخ والأسباب والأوضاع والنسب من الوجود المقيد لأنها مقيدة في إيجادها وتحققها بأشياء من بعضها لبعض أقامها عزّ وجلّ بأمره في سبعة أمور : مشيئة وإرادة وقدر وقضاء

وإذن وأجل وكتاب^(١) ، لو تخلّف عنها شيء لم توجد ، فلذا كانت من الوجود المقيّد .

قلت : ومثاله إذا أردت أن تخبر من تخاطبه بقيام زيد أخذت من الهواء الذي هو إمكان اللفظ هواء ، وهو مشتمل على أربعة أجزاء من الرطوبة الهوائية وعلى جزء من اليبوسة الهوائية بالقوة القابضة إلى جوفك الذي هو نقطة قلبك أي وجهه في الهواء فتؤلف منهما بعد التقدير بالضغط والقلع والقرع حروفاً مشتملة على الأجزاء الخمسة متصفة بصفات مادة مقصودك ، فتؤلف منها لفظاً هيئته كهيئة مقصودك فتدفعه إلى الهواء الذي هو مكان إمكانه فيقع جزآن من رطوبة لفظك وهي مادته المناسبة لمادة مقصودك وجزء من يبوسته وهي هيئته المناسبة لهيئة مقصودك على ما يشاكله من أرض هذا العمق والجرز وهو الهواء لأنه هو الذي يحفظ لفظك ويوصله إلى أذن مخاطبك .

أقول : قولي : (أخذت من الهواء الذي هو إمكان اللفظ) يعني به أن الهواء المعروف بالنسبة إلى اللفظ المعروف كالإمكان

(١) روي عن أبي عبد الله عليه السلام : (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع : بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل ، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر) انظر الكافي : ١ / ١٤٩ باب في أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة ح ١ .

بالنسبة إلى المواد ، فإن أصول المواد الكونية منبثّة في فضاء الإمكان كالهواء الذي هو أصل مواد الألفاظ الصوتية فإنه أي الهواء المنبثّة^(١) في فضاء الإمكان وهو يشتمل على أربعة أجزاء من الرطوبة الهوائية كما مرّ ذكره ، وهذه هي مادة وجود المادة النوعية للفظ وصورتها النوعية التي بها تقوم المادة النوعية هي هذا الجزء اليابس فكانت المادة النوعية للأشخاص التي تحتها من هذين الجزئين اللذين أحدهما الأربعة الأجزاء الرطبية وثنانها الجزء اليابس كما تكون المادة النوعية للكتابة من الزاج والعفص ، وأخذ ذلك بالقوة القابضة أعني به الجذب إلى جوفك ، وإنما أوصلته إلى جوفك بالجذب لتتمكن من إخراجه ودفعه إلى فضاء الهواء بالتدرّج ممتداً وتتمكن من تفصيله إلى ما تريد من الحروف فتقطع منه الحروف التي تريد تأليفها للدلالة على مقصودك لما بينها من المناسبة الذاتية والمطابقة الوصفية .

وبهذه الحروف التي هي مادة لفظك حياته أي قوامه وحصول الدلالة به لما بينهما أي بين المادتين أعني مادة لفظك ومادة مقصودك من المناسبة الذاتية والمطابقة الوصفية ، وبصورة لفظك حياته بالمعنى المذكور لما بين صورة لفظك وصورة مقصودك من المناسبة الذاتية والمشابهة الصورية فتؤلف منهما بعد التقدير يعني بعد تقدير الحروف بأن تشتق من الهواء ما يناسب المقصود من

(١) في نسخة أخرى : منبث .

الشدة واللين والجهر والهمس والإخفاء والظهور والقلقلة والتفشي وما أشبه ذلك ، وتؤلفها على هيئة المقصود في حركاتها وسكونها وتقديم بعض وتأخير بعض كما قال أهل العربية : إن مادة لفظ ضرب الفعل الماضي تدل على الحدث وهيئته تدل على الزمان ، وتقديرها في اشتقاقها بالضغط يعني تضيق المخرج كالشين والصاد والقلع كالطاء والقاف والقرع كالميم والنون .

فإذا ألفت حروفاً مشتملة على الأجزاء الخمسة أربعة المادة وواحدة الصورة متصفة بصفات مقصودك كما ذكرنا ، فتؤلف منها لفظاً هيئته كهيئة مقصودك فتدفعه إلى الهواء الذي هو مكان إمكانه ومحل تكوينه فيقع يعني من ذلك المؤلف جزآن من رطوبة لفظك رطوبة الأجزاء الرطبة وجزء من يبوسة يبوسة الجزء اليابس على ما يشاكله إلخ ، وفي بعض العبارات من الرسائل اقتصرنا على ذكر الجزئين من الرطوبة قلنا فيقع جزآن من رطوبة لفظك بدون قولنا وجزء من يبوسة يعني فيقع من ذلك المؤلف أي من مجموعة المركب من الخمسة المذكورة من رطوبة لفظك وإنما قلنا من رطوبة لفظك ، مع أن فيه جزءاً يابساً لأنه انحل في الرطوبة فكان ماء مشاكلاً كما مرّ .

وهي أن^(١) المادة الرطبة التي هي الجزآن مادته المناسبة لمادة

(١) في نسخة أخرى : أي .

مقصودك أعني الإخبار بقيام زيد على ما يشاكله يعني يشاكل هذا الواقع من أرض هذا العمق والجرز وهو الهواء كما مرّ مكرراً ، لأنه يعني الهواء هو الذي يحفظ لفظك ويوصله بدفعك وحماية العقل له عن التهافت والفناء عند البعد أو شدة الهواء أو الحجاب فيما لا يبلغ الإفراط الشديد ويوصله أي يوصله^(١) ذلك الهواء ، لأنه محله الذي يقوم به وينتقش فيه صورته ويتموّج به إلى أن يوصله بمعونة الدافع والحامي والحافظ إلى أذن مخاطبك الذي تريد إفهامه قيام زيد كما يأتي .

قلت : ليرتسم في الحس المشترك منه صورة مادة لفظك وصورة هيئته فإنه للفظك كالأم للجنين وكالأرض للماء الذي ينزل من السحاب فينبت به النبات ، فوق من لفظك ماء على أرض ذلك المعنى وهذا الماء وهو الوجود لذلك المعنى وهو دلالة لفظك بمادته وهيئته الواقعة في الحس المشترك الذي هو الأم فينبت المعنى ، في بطن تلك الأم وهو الخيال بذلك الماء الذي هو الدلالة ويحيى بها ولم يك ذلك المعنى قبل تلك الدلالة شيئاً ، لأن الشيء إنما سمي شيئاً لأنه مشاء والمشية هي أصل الإرادة فافهم .

(١) في نسخة أخرى : يوصل .

أقول : نريد أن الهواء يحفظ اللفظ ويوصله بواسطة العقل إلى أذنك ليرتسم من تلك الأصوات المصورة بالهيئة المخصوصة^(١) القارعة لطبل أذنك بأصوات حروف ذلك اللفظ في الحس المشترك الذي هو برزخ بين الشهادة والغيب صورة مادة لفظك وصورة هيئته ، وهي صورة برزخية مكانها من أرض الإقليم الثامن وأسفلها على محدب محدد الجهات وأعلاها في أسفل الدهر متصلاً بالجسم الذائب أعني جوهر الهباء والمواد الجسمانية قبل تعلق الصور بها ، فإن الحس المشترك بالنسبة إلى ما يقع فيه من صورة مادة اللفظ وهيئته بمنزلة الأم للجنين وبمنزلة الأرض بالنسبة إلى الماء النازل من السحاب لإنبات النبات ، فوقع من لفظك ماء وهو دلالته على المعنى على أرض ذلك المعنى وهي النفس التي هي لوح الصور صور المعلوم^(٢) ، والمراد بالمعنى هنا ليس هو المعنى الاصطلاحي الذي يكون في العقل وهو ذات نورانية مجردة عن المادة العنصرية والصورة النفسية والمثالية والمدة الزمانية .

وإنما المراد بهذا المعنى ما ينتقش في النفس من دلالة اللفظ وقابلية النفس وهو يحدث فيها بعد وقوع دلالة اللفظ عليه في

(١) في نسخة : بالهيئات المخصوصة .

(٢) في نسخة أخرى : العلوم .

النفس ، وليس هذا المعنى قبل ذلك شيئاً أصلاً كما قال الرضا عليه السلام للمأمون في بيان أن الحروف ليس لها معان إلا أنفسها قال عليه السلام : (لأنها^(١) لا يؤلف منها ثلاثة حروف أو أربعة أو أقل من ذلك أو أكثر إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك)^(٢) انتهى ، وذلك لأن النفس متهيئة لانتقاش الصور عند

(١) في نسخة أخرى : لأنه .

(٢) توحيد الشيخ الصدوق : ٤٣٧ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٥ . ولفظه من التوحيد عن عمران قال : يا سيدي ألا تخبرني عن الله عز وجل هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف ؟ قال الرضا عليه السلام : (إن الله المبدئ الواحد الكائن الأول لم يزل واحداً لا شيء معه فرداً لا ثاني معه لا معلوماً ولا مجهولاً ولا محكماً ولا متشابهاً ولا مذكوراً ولا منسياً ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره ولا من وقت كان ولا إلى وقت يكون ولا بشيء قام ولا إلى شيء يقوم ولا إلى شيء استند ولا في شيء استكن وذلك كله قبل الخلق إذ لا شيء غيره وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم . واعلم أن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسمائها ثلاثة وكان أول إبداعه وإرادته ومشيتته الحروف التي جعلها أصلاً لكل شيء ودليلاً على كل مدرك وفاصلاً لكل مشكل . وتلك الحروف تفريق كل شيء من اسم حق وباطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى وعليها اجتمعت الأمور كلها ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها يتناهى ولا وجود لأنها مبدعة بالإبداع . والنور في هذا الموضع أول فعل الله الذي هو نور السماوات والأرض والحروف هي المفعول بذلك الفعل وهي الحروف التي عليها الكلام والعبارات كلها من الله عز وجل علمها خلقه وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً فمنها ثمانية وعشرون حرفاً تدل على اللغات العربية ، ومن الثمانية والعشرين اثنان =

إدراك أسباب إيجادها فإذا أدركت اللفظ وهيئته بأن وقع عليها دلالته انتقش فيها صورة ما دلت عليه دلالة اللفظ المسموع من صورة مادته وصورته كما مرّ ، فاللفظ كالسحاب ودلالة مادته وصورته كالمطر النازل من السحاب والنفس هي الأرض الميئة .

فإذا نزل عليها الماء الذي هو الدلالة تنبت أرض النفس وقابليتها بثمرات الماء ، وهذا الماء هو الوجود الذي منه تكوّن ذلك المعنى ، لأنه هو دلالة اللفظ بمادته وهيئته على ذلك المعنى

= وعشرون حرفاً تدل على اللغات السريانية والعبرانية ومنها خمسة أحرف متحرقة في سائر اللغات من المعجم لأقاليم اللغات كلها وهي خمسة أحرف تحرفت من الثمانية والعشرين الحرف من اللغات فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفاً ، فأما الخمسة المختلفة فبحجج لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه . ثم جعل الحروف بعد إحصائها وإحكام عدتها فعلاً منه كقوله عزّ وجلّ ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [الأنعام: الآية ٧٣] وكُنْ منه صنع وما يكون به المصنوع فالخلق الأول من الله عزّ وجلّ الإبداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حس ، والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها ، والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوساً ملموساً ذا ذوق منظوراً إليه والله تبارك وتعالى سابق للإبداع لأنه ليس قبله عزّ وجلّ شيء ولا كان معه شيء والإبداع سابق للحروف والحروف لا تدل على غير أنفسها (قال المأمون : وكيف لا تدل على غير أنفسها ؟ قال الرضا عليه السلام : (لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً فإذا ألف منها أحرفاً أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها لغير معنى ولم يك إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئاً) .

وهذه الدلالة هي الواقعة في الحس المشترك ثم منه إلى الخيال ثم منه إلى النفس ، فالحس المشترك هو الأم أي أم ذلك المعنى المتولد في النفس من تلك الأم والخيال هو بطن تلك الأم الذي ينبت فيه المعنى بذلك الماء الذي هو تلك الدلالة ويحیی بها لأنه هو شأن الماء ، ولم يكن ذلك المعنى قبل تلك الدلالة شيئاً كما سمعت عن الرضا عليه السلام .

وكيف يكون شيئاً قبل أن يكون مشاءً ، لأن الشيء إنما سُمي شيئاً لأنه مشاء ، وقد أشار إلى هذا المعنى أمير المؤمنين عليه السلام ، في خطبة يوم الغدير والجمعة في الثناء على الله قال عليه السلام ، (وهو منشئ الشيء حين لا شيء)^(١) (إذ كان الشيء من مشيئته)^(٢) ، فأشار عليه السلام إلى جهة

(١) في خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير : (... له الإحاطة بكلّ شيء ، والغلبة على كلّ شيء ، والقوة على كلّ شيء ، والقدرة على كلّ شيء ، ليس مثله شيء ، وهو منشئ الشيء حين لا شيء دائم قائم بالقسط ...) الاحتجاج للطبرسي : ١ / ٧١ ، ومصباح المتعبد : ٧٥٣ ح ٨٤٣ ، خطبة الغدير ، والإقبال : ٢ / ٢٥٥ ، ومصباح الكفعمي : ٦٩٦ ، والبحار : ٩٤ / ١١٣ .

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام فيها : (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة بزغت عن إخلاص الطوي ونطق اللسان بها عبارة عن صدق خفي إنه الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ليس كمثله شيء إذ كان الشيء من مشيئته وكان لا يشبهه مكونه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله استخلصه =

اشتقاقه من المشيئة وإنما قال : من مشيئته ، ولم يقل : من إرادته ، لأن المشيئة هي أصل الإرادة .

= في القدم على سائر الأمم على علم منه بانفراده عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس ، وانتجبه أمراً ونهاياً عنه ، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه إذ لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ولا تمثله غوامض الظنن في الأسرار . . .) . انظر تحف العقول للحراني : ١١ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥١ ، وإقبال الأعمال : ٢ / ٢٥٥ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٩٤ ح ١١٣ .

الفائدة السابعة
لما نزل الماء الأول المسّمى
بالوجود المقيد

الفائدة السابعة

نزول الماء الأول على أرض الجرز

قلت : الفائدة السابعة : اعلم أنه لما نزل الماء الأول المسمّى بالوجود المقيّد على أرض الجرز تكوّن منه الشيء في ستة أيام : الكم والكيف والوقت والمكان والجهة والرتبة ، ليس شيء منها في الظهور قبل الآخر ، وإنما هذه مع المادة التي هي حصة الوجود ومع الصورة التي هي حصة الماهية هي الشيء ظهر الجميع دفعة ، لأن كلّ واحد من هذه الثمانية شرط لكلها في الظهور والشيء الموجود مركب من الوجود والماهية والستة قيود مقومات لها .

بيان تكون كلّ الأشياء في ستة أيام

أقول : لما أشرنا إلى تكوين الخلق الأول المعبر عنه بالهولى وبالمادة النوعية أشرنا في هذه الفائدة السابعة إلى تكوين الخلق الثاني الذي تلبس فيه الأفراد والحصص الصور الشخصية وهي رتبة القدر من الأفعال الإلهية وفيه التكليف الأول وعالم الذر والسعادة والشقاوة والإجابة وعدمها .

فقلت : إن كل شيء إنما يتكوّن في ستة أيام وذلك من قوله تعالى : ﴿ سَخَّرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١) وقول الصادق عليه السلام : (العبودية جوهرة كُنْهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية ، وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية) (٢) انتهى .

وقول الرضا عليه السلام : (قد علم أولو (٣) الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك (٤) لا يعلم (٥) إلا بما هاهنا) (٦) انتهى .

فلما نظرنا إلى الآفاق وإلى أنفسنا وإلى العبودية التي هي كناية عن الآثار والأعراض والأظلة ، وإلى الربوبية التي هي كناية عن المؤثرات والمعروضات وذوي الأظلة وإلى ما هاهنا وجدنا قول الله سبحانه : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (٧)

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٢) مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسير الأصفى للفيض الكاشاني : ٢ / ١١٢١ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٧٩٨ ح ٢٤٩٠ .

(٣) في التوحيد والبحار : ذوو .

(٤) في نسخة : هنالك .

(٥) في التوحيد والبحار : لا يكون .

(٦) شرح الأسماء الحسنی : ١ / ٤٢ ، والتوحيد : ٤٣٨ باب بيان علة إرادته

تعالى ، والبحار : ١٠ / ٣١٦ باب ١٩ ح ١ ، عيون أخبار الرضا عليه

السلام : ٢ / ١٥٦ .

(٧) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ .

يعني في ست رتب : العقل والنفس والطبيعة والمادة والمثال والجسم ، وقيل الفصول الأربعة والمادة والصورة^(١) .

ووجدنا الإنسان كذلك خلق في ستة أيام أي في ست رتب : النطفة والعلقة والمضغة والعظام ويكسى لحماً وينشأ خلقاً آخر بأن تنفخ فيه روح الحياة فعلمنا حيث كان الصانع عز وجل واحداً والصنع واحداً ، ﴿ مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٣) والحكمة في الكل واحدة علمنا أن ما هنالك كما هاهنا كما ذكر الرضا عليه السلام ، فلذا قلنا : فلما وقع الماء الذي نحن بصدد ذكره على أرض الجرز أي أرض القابليات تكوّن منه الشيء أي من الماء ومن الأرض إذ الصورة منها في ستة أيام يعني في ست رتب :

الأيام الستة لخلق السماوات والأرض

١ - يوم الكم

اليوم الأول : يوم الكم وأريد به القدر الجوهري أي قدر المادة قلة وكثرة لا الكم الاصطلاحي فإنه من الأعراض وإن كان

(١) انظر تفسير القمي : ١ / ٣٢١ ، تفسير سورة هود عليه السلام .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الملك ، الآية : ١ .

هو جسم نوراني لكن أهل البيت عليهم السلام ، يسمونه ظل النور وأنه عندهم بدن نوراني لا روح له أي لا مادة فيه .

٢ - يوم الكيف

واليوم الثاني : الكيف بجميع أنواعه .

٣ - يوم الوقت

واليوم الثالث : الوقت في كل شيء بحسبه فالأجسام وقتها الزمان ولطيفه للطيف الأجسام كمحدد الجهات ومتوسطه لمتوسطها كالأفلاك السبعة وكثيفه لكثيفها كالأرض والعقل والروح والنفس والطبيعة وجوهر الهباء ، أعني المادة قبل تعلق الصورة بها وقتها الدهر لطيفه للعقول أعني الجبروت ومتوسطه للنفس وكثيفه لجوهر الهباء والمشيمة والإرادة والقدر والقضاء وباقي الأفعال وقتها السرمد لطيفه للطيفه كالمشيمة ومتوسطه لمتوسطه كالقدر وكثيفه لكثيفه كالقضاء والإمضاء .

٤ - يوم المكان

واليوم الرابع : المكان وهو ظرف للحال فيه ويكون من نوعه فكان السرمديات سرمدي والدهريات دهري والزمانيات زماني .

٥ - يوم الجهة

واليوم الخامس : الجهة وهي وجه الشيء إلى أصله وإلى توجهه إليه وهي جهة الاستمداد من مبدئه .

٦ - يوم الرتبة

واليوم السادس : الرتبة وهي مكان الأثر من مؤثره في القرب والبعـد .

وهذه الستة المسماة بالأيام هي أطوار المحدث كما قال تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾^(١) وذلك جار في كل مخلوق وهي متممات للقابلية والصورة ، ولهذه الستة لواحق وتوابع ومتممات لها ومكملات وهي كثيرة .

وأصل اللواحق الوضع بأنواعه الثلاثة ، إلا أن النوع الأول وهو الكون في محل يدخل في المكان ، وأما الآخـران وهما نظم أجزاء الشيء المصنوع وترتيبها بالنسبة إلى بعضها من بعض ، والثاني نظمها وترتيبها كذلك بالنسبة إلى الأمور الخارجة عنه والإذن إذ لا يخرج المصنوع من كتم العدم الإمكانى إلى الوجود الكونى إلا بإذن من الله ، وإن تمت له جميع أسبابه بقي محبوساً على باب فؤارة القضاء الإلهي حتى يؤذن له بالخروج والأجل

(١) سورة نوح ، الآية : ١٤ .

بمعنى أنه يبقى محبوساً على الوقت المؤجل له ، وهو وقت الخروج من الإمكان إلى الكون ومدة بقاءه في الوجود الكوني ووقت خروجه عن الكوني إلى الوجود الإمكانى والكتاب .

بمعنى أنه منذ نزل من الخزانة الأولى إلى أن وصل إلى عالم الكون والظهور كلّ مقام مرّ عليه انتقشت فيه صورته من نوع ذلك المقام ورتبته ، وهذه الكتب هي خزائنه التي أشار تعالى إليها بقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾^(١) ومنها النسب الخارجية والإضافات وجودات المقارنات وغير ذلك ، وهذه الأمور المتممات واللواحق مع المادة والصورة كلّ واحد منها وجوده شرط لوجود كلها فتلزمها المساوقة في الظهور بحيث لا يتقدم شيء منها على الباقي ولا يتأخر .

والشيء بقول مطلق مركب من الوجود والماهية إلا أن الماهية التي هي القابلية صورة ذلك الشيء وهذه الصورة مركبة من حدود هندسية ، وتلك الحدود هي هذه الستة المذكورة ولواحقها المشار إليها ، وهذا ظاهر ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾^(٢) .

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(٢) سورة ق ، الآية : ٣٧ .

قلت : وإنما ذكرنا الستة خاصة ، لأن غيرها كالأوضاع والإذن في الظهور وأجل الفناء والكتب الحافظة لهذه المذكورة من حيث هي حافظة ومن حيث هي محفوظة ، وكالإمضاء الذي هو شرح العلل والأسباب وغير ذلك كلها راجعة إلى الستة .

أقول : وإنما ذكرنا الستة خاصة ، لأن غيرها يرجع إليها ولو باعتبار ، ولأجل أن بعضها لمّا كان قد لا يدخل ظاهراً فيها ، أي في المقومات نبهنا على بعض الذكر ليتوجه الأفهام إلى دخولها من غير أن نطيل الكلام بذكر الدخول إذ ربما استلزم^(١) التطويل ، أو ذكر ما يتوقف في بيانه على التطويل ونريد من الأوضاع ما هو أعمّ من الوضع الاصطلاحي المعروف من النسب والإضافات والإذن لها في الظهور كما أشرنا إليه سابقاً .

لأن الشيء إذا شاء الله كونه وأراد عينه وقدر حدوده وقضى تركيبه بقي على باب الوجود المقيد واقفاً حتى يؤذن له في الخروج من الإمكان إلى الكون ، وكذا كلّ جزء من أطواره فلا يخرج من كونه إلى عينه إلا بإذن ومن عينه إلى قدره ومن قدره إلى قضائه ومن قضائه إلى إمضائه إلا بإذن ، وأما الأجل فكما مرّ يعني أنّ الشيء له في كلّ طور من أطواره مدة من وقته من سرمد أو دهر أو زمان إذا

(١) في نسخة : يستلزم .

قطعها خرج منها إلى ما دونها في إداره وإلى ما فوقها في إقباله ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَحْزُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١) .

وقولي : (وأجل الفناء) ، شامل لكل مرتبة بمعنى أنه إذا فني أجل بقاءه في طور أذن له في الخروج منه إلى ما بعده صعوداً ونزولاً ، والكتب الحافظة للشيء في جميع أطواره عبارة عن نقش ذلك الطور في إظهار لوح رتبته ، وذلك النقش كتاب حافظ لما بعده محفوظ لما قبله ، ولذا قلنا من حيث هي حافظة ومن حيث هي محفوظة والإمضاء إظهار ما قضاه (٢) مبيّناً مشروح العلل والأسباب ليستدلّ به على ربّ الأرباب وغير ذلك كالكتب المشار إليها سابقاً وكالأوضاع والنسب وكلها راجعة إلى الستة المذكورة بنحو ما قلنا .

قلت : فلهذا اقتصرنا على ذكرها في ذكر البدء ، لأن الأوضاع لازمة للمكان والجهة والرتبة والإذن والأجل لا زمان للوقت والكتب لازمة للستة والإمضاء لازم لما سبق ومتفرع عليه ، لأن حصول هذه الستة للماهية والوجود ولوازمها المشار إليها يلزم منه الإمضاء في الحكمة ويتفرع عليها والباقي إن شاء الله تعالى نذكره فيما بعد .

(١) سورة يونس ، الآية : ٤٩ .

(٢) في نسخة : ما قضى .

أقول : الوضع لازم للمكان كالوضع في الجوهر الفرد لأنه بسيط فلا يكون فيه ترتيب بين أجزائه ، فالوضع فيه إنما هو المكان ويدخل القسمان^(١) الأخيران وهما الترتيب بين أجزاء الشيء بعضها إلى بعض وبين أجزائه وغيرها من الخارجة عنه كالقيام إنما يتحقق إذا استقامت فقرات ظهره وكان رأسه مما يلي السماء ورجلاه مما يلي الأرض ، ولهذا لو استقامت فقرات ظهره وهو نائم فإنه ليس بقائم إذ رأسه ليس إلى السماء ورجلاه ليس إلى الأرض في المكان والجهة ، فكان الوضع مستلزماً للمكان والجهة وكذلك الرتبة ويلزم الإذن والأجل للوقت .

أما الإذن فإنه يقع في انتهاء الوقت الأول وابتداء الثاني ، وأما الأجل فقد أُشير إلى لزومه له في الجملة سابقاً والكتب لازمة للسته ، لأن كل شيء فهو كلمة مكتوبة في محله ووقته بما هو وفي غيب محله ووقته بمثاله بما هو مثال وكلها من حروف اللوح المحفوظ وكلماته ، فالسته كتب في نفسها إذ الكتاب حقيقة هو النقش لا القرطاس كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ ﴾^(٣) في رَقٍّ مَنشُورٍ ﴿٢﴾ وأما الإمضاء فلازم لما سبق من

(١) في نسخة أخرى : قسماه .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٧ .

(٣) سورة الطور ، الآيتان : ٢ ، ٣ .

الكون والعين والقدر والقضاء إذ ما لم يمض لم يكن فلا يتحقق شيء إلا بالإمضاء ولأن كل شيء لا يخرج إلى الوجود الكوني إلا وهو علة لشيء ومعلول لشيء ودليل على شيء ومدلول عليه لشيء وظل لمؤثره ، وذو الظل لأثره فيكون في نفسه شارحاً ومشروحاً فيصدق عليه تعريف الإمضاء في حديث الكاظم عليه السلام ، وهذا معنى قلبي : (يلزم منه الإمضاء في الحكمة) ، لأن ما لم يمض لم يكن فكونه دليل إمضائه .

وقولي : (يلزم منه الإمضاء في الحكمة) ، إشارة إلى أن ما وجب بفعله لم يكن واجباً عليه إذ كل ممكن لا يكون عنده تعالى واجباً في حال ولم يخرج عن إمكانه أبداً نعم قد يجب في الحكمة كما إذا ترجح إيجاد الشيء في نفسه أو لشيء من معيناته ، فإنه تعالى أجرى حكمته أن يوجد له لطفاً لعبده ورحمة له لأنه إذا ترجح إيجاد نفسه أو بشيء من معيناته فقد سأل الكريم الوهاب بصدق قابليته فأتى الدعاء من بابه فوجب في الحكمة بجريان اللطف والرحمة أن لا يرد سائله لوعده في صادق كلامه : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(١) ، فهذا معنى لزوم الإمضاء في الحكمة لأنه فيما نحن فيه إذا قضى شيئاً فقد تمت قوابل أكوانه أعني الكون والعين والقدر والقضاء فحين تمت الأكوان وقوابلها بإمضاء كل منها استحقت إظهارها مبيّنة مشروحة العلل في الحكمة فلزم فيها

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .

الإمضاء لأنه في آخر مراتب الشيء متفرّع عليها . والباقي من المتممات والمعينات إن شاء الله نذكره فيما بعد لأنني كنت عزمت على ذكر أشياء من الأسباب حين كتابة الفوائد ثم عدلت عن ذلك ، لأن في بعضها ما تنحط عن نيله الأفهام .

بيان حقيقة الشيء وفرقه عن الوجود والماهية

قلت : ثم اعلم أنه قد اختلف في الشيء اختلافاً كثيراً ويرجع ذلك إلى أربعة أقوال ، ولا عبرة بذكر غيرها . الأول : إنّ الشيء هو الوجود والماهية عرض حال بالوجود . الثاني : إنّ الشيء هو الماهية والوجود عرض على الماهية . الثالث : إنّ الشيء هو الوجود والماهية إنما هي بتبعية الوجود . الرابع : إنّ الشيء هو الوجود والماهية فهو مركّب منهما .

أقول : اعلم أنّ الأقوال في أنّ الوجود والماهية ما هما وأنّ الشيء هل هو أحدهما وأي شيء هو أم هما معاً ، متكثرة جداً من أراد أن يعرف كلام أمير المؤمنين عليه السلام : (العلم نقطة كثرتها الجاهلون)^(١) أو (الجهال)^(٢) على اختلاف

(١) عوالي اللآلي للأحسائي : ٤ / ١٢٩ ح ٢٢٣ ، وأعيان الشيعة : ٢ / ٥٩٢ ،

وشرح إحقاق الحق : ٣٢ / ٥١ .

(٢) انظر سبل السلام : ٤ / ١٧٨ ح ٨ .

الرواية^(١) ، فليُنظر إلى تلك الأقوال في كتبهم والنقطة التي في هذه المسألة ما أخذ عن العلماء الذين لا يجهلون والذاكرين الذين لا ينسون والمعصومين الذين لا يخطئون صلى الله عليهم أجمعين ، والإشارة إلى ذلك على جهة الاختصار والاقتصار أن الوجود هو الفائض عن فعل الله سبحانه لا من شيء ، فيجب أن يكون جوهرًا إذ لو لم يكن جوهرًا لكان عرضاً للانحصار فيهما ولو كان عرضاً لاستلزم سبق معروضه والوجود منه خلق جميع المخلوقات وقد قدمنا أن مدخول^(٢) لفظة من في نحو هذه العبارات التي تبين بها المقاصد هو المادة ، كما تقول صنعت الخاتم من الفضة والباب من الخشب ، وقد صرح بذلك الصادق عليه السلام في الحديث الذي سبق ، ولأن السابق من أجزاء الشيء يجب أن يكون أقوى ذاتياته ولا يصح غير هذا ، فإذا تحقق أن كلّ ممكن زوج تركيبى وجب أن يكون الممكن المخلوق مؤلفاً ، والتأليف لا يكون بلا مادة يؤلف منها فهي سابقة على التأليف ، والتأليف هيئة تحدث للمؤلف فثبت أن كلّ ممكن مركب من مادة وصورة يحدثها الصانع في المادة والمادة هي أول ما يوجد بنفسها فهي الوجود عند من له وجدان ، والماهية هيئة ذلك الوجود .

(١) في نسخة أخرى : الروايات .

(٢) في نسخة أخرى : مدخوله .

أقسام الخلق

ثم الخلق قسمان : خلق أول وهو خلق المادة كعمل المداد للكتابة . وخلق ثان وهو عمل الكتابة ، وهذا هو العلم بالوجود ومعرفته وهو نقطة ، وأما أن الممكن زوج تركيبى فهو حق ، ولكن المطلوب معرفة ذلك .

والعلماء والحكماء اختلفوا في الشيء الممكن ما هو ؟ هل هو الوجود والماهية عرض حال بالوجود .

١ - الشيء هو الوجود والماهية عرض حال بالوجود

وهذا قول أهل التصوف ، وأكثرهم على أن الوجود هو الله وأنه تعالى يتطور بالأطوار الخلقية ويلبس الصور ويخلعها من غير أن يتغير في نفسه قال شاعرهم :

وَمَا النَّاسُ فِي التَّمَاثِلِ إِلَّا كَثَلَجَةٌ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعٌ
وَلَكِنْ يَذُوبُ التَّلْجُ بِرَفْعِ حُكْمِهِ وَيُوضَعُ حُكْمُ الْمَاءِ وَالْأَمْرُ وَاقِعٌ^(١)

وقال بعضهم : إن وجود الأشياء هو المشيئة وقد أشار الرضا عليه السلام إلى ذلك في الرد على سليمان المروزي قال عليه السلام : (هذا قول ضرار وأصحابه فإنهم يقولون إن المشيئة^(٢))

(١) شرح الأسماء الحسنی : ١ / ١٦٤ .

(٢) في بعض المصادر : (إن إرادة الله تأكل وتشرب . .) .

تأكل وتشرب وتنكح وتحیی وتموت) انتهى . نقلت بعض معناه^(١) .

وهذا القول بوجهيه باطل .

٢ - الشيء هو الماهية والوجود عرض

وقيل : الشيء هو الماهية والوجود عرض حال بالماهية وهذا قول المشائين والمتكلمين ، وهذا أيضاً باطل ، لأن الماهية هي هوية الشيء وإنيته ، ولا يصح أن تكون سابقة على الوجود لأنها إذا جعلت أصلاً والوجود عارضاً عليها وجب أن تكون سابقة على الوجود ولا تكون سابقة إلا بوجود فيلزم التسلسل .

على أنا إذا رجعنا إلى الضرورة وجدنا الماهية في السير لا تتحقق قبل مادته ولا توجد مع وجود المادة ، بل توجد المادة ولم يكن سريراً إذ لا يتحقق السير إلا بالصورة العارضة للماهية ، وهو على العكس مما قالوا وإلا لوجدت ماهيته التي بالصورة حدثت قبل وجود الخشب الذي هو المادة ، فيلزم أن توجد

(١) بصائر الدرجات : ١٤٥ ومسند الإمام الرضا عليه السلام : ٢ / ١٠٩ . قال الرضا عليه السلام ، في الرد على سليمان المروزي : (هذا الذي عيّنموه على ضرار وأصحابه من قولهم ؛ إنَّ كلَّ ما خلق الله تعالى في سماء أو أرض ، أو بحر أو برّ ، من كلب أو خنزير أو قرد ، أو إنسان أو دابة إرادة الله ، وإنَّ إرادة الله تحیی وتموت ، وتذهب وتأكّل وتشرب ، وتنكح وتلد ، وتظلم وتفعل الفواحش ، وتكفر وتشرك ، فيبرأ منها ويعاديها ، وهذا حدّها) .

الصورة قبل الخشب ، وأن تكون الصورة هي المعروض والمادة عارضاً والضرورة قاضية بوجود الخشب قبل السرير ، وبأن ماهية السرير إنما توجد بالصورة العارضة ، وبأن العارض مسبق بالمعروض وبأن أول صادر من فعل الله هو المعروض ، وبأن الإنية والماهية مسبوقة بالشيئية والشيئية مسبوقة بالمادة التي هي متعلق الصنع ، فبالصنع حدثت المادة وفي المادة حدثت الصورة التي بها الشيئية التي تلزمها الماهية والإنية ، فظهر لمن نظر أن الوجود هو المادة ، وأن الماهية هي الصورة وأنها تابعة للمادة والمادة سابقة عليها ولا تكون الصورة معروضة للمادة ، وتوهمهم أنّ الوجود والماهية زائدان على المادة ، والصورة توهم باطل لا يكون جارياً عن حكمة ولا هدى ولا كتاب منير ، وكيف يقولون الإنسان حيوان ناطق ويقولون هو حدّ حقيقي تام ، لأنه جامع لكلّ ذاتيات المحدود ويقولون حصة الحيوان هي المادة ، وحصة الناطق هي الصورة فأين الوجود وأين الماهية ؟ فإن كانا خارجين عن الذاتيات فالشيء ليس هو الوجود ولا الماهية .

وإن كانا هما المادة والصورة فالماهية ليست هي الشيء والوجود عارض عليها ، كما أن الصورة ليست هي الشيء والمادة عارضة عليها .

٣ - الشيء هو الوجود والماهية إنما هي بتبعية الوجود

والقول الثالث : إن الشيء هو الوجود والماهية إنما هي بتبعية الوجود أي إنما حدثت بتبعية الوجود وإلا فليست من الشيء بل ليست مجعولة ولا شمت رائحة الوجود ، فالشيء إنما هو الوجود وحده وهو قول لبعض الإشراقين وهذا القول مثل الأولين في البطلان ، لأن الماهية إذا لم تكن شيئاً لم يكن الممكن زوجاً تركيبياً وإن كانت شيئاً ولكنها غير مجعولة فأسوأ حالاً لأنه يلزمهم أن يكون الممكن بسيطاً وليس زوجاً تركيبياً وإن كانوا يقولون إنه هو مركب ولكنه من حادث وقديم فهو القول الأول ، أو مثله في الفساد ، لأن القديم ينافيه مطلق التركيب ومجامعة الحادث ، وإن قالوا إنها لم تكن بجعل مختص بها بل هي مجعولة بجعل الوجود ، فهذا باطل ، لأن الجعل في نفسه إن كان بسيطاً^(١) ليس له إلا جهة واحدة واعتبار واحد وحيثية واحدة فلا يصدر عنه شيان متضادان فليست مجعولة أصلاً فإما أن تكون قديمة وإما أن لا يكون شيئاً وكلا الأمرين باطل .

إذ القديم^(٢) ينافي التركيب وعدم كونها مجعولة بمعنى أنها ليست شيئاً ينافي كون الممكن زوجاً تركيبياً وينافي كون الشيء شيئاً

(١) في نسخة أخرى : ليس له في نفسه .

(٢) في نسخة أخرى : القدم .

إذ لا شيء لمن لا ماهية له ، والواجب تعالى ماهيته نفس وجوده لا أنه لا ماهية له ، وإثباتها اعتباراً وذهناً لا يثبتها خارجاً ، وإذا لم يثبت خارجاً لم يكن الشيء ذا ماهية ، وأيضاً الشيء يصدر عنه ميلان متضادان وذلك يدل على كونه مركباً من ضدين ، فإن زيداً يفعل الطاعة ويفعل المعصية ويقولون إن الطاعة تنشأ من الوجود والمعصية من الماهية ، فإذا لم تكن الماهية شيئاً كيف تصدر عنها المعصية ؟ والمعصية شيء فكيف يصدر الشيء^(١) من لا شيء ؟ .

٤ - الشيء مركب من الوجود والماهية

والقول الرابع : إنّ الشيء هو مركب من الوجود والماهية لأنه ممكن وكل ممكن زوج تركيبى .

وقد نصّ القدماء من الحكماء الإلهيين أن كلّ حادث فله اعتباران : اعتبار من ربّه هو حقيقة^(٢) من ربّه وهو الوجود ، واعتبار من نفسه وهو حقيقة^(٣) من نفسه وهو الماهية وهذا مما لا ريب فيه ، لأنه لو لم يكن هو^(٤) جهة من ربّه لاستغنى عنه سواء أريد بالجهة مادته وإيجاده أم أحدهما ولو لم يكن^(٥) جهة من نفسه لم يكن هو

(١) في نسخة : شيء .

(٢ - ٣) في نسخة أخرى : حقيقته .

(٤) في نسخة أخرى : له .

(٥) في نسخة أخرى : يكن له .

إياه ، بل لم يكن شيئاً أصلاً إذ جهته من نفسه هي شيئته وهويته وإنيته وكل ما يرد على الأقوال الثلاثة المتقدمة فهو دليل لهذا القول وهو الحق ، والجامع لثبوت التركيب هو أن الشيء المخلوق لا يتحقق إلا بفعل وانفعال والفعل من الفاعل والانفعال من نفس المخلوق ، وذلك مثل خَلَقَهُ فانخلق فالوجود الذي هو المادة من خلق وهو الذي من ربه والماهية التي هي الصورة من انخلق وهو الذي من نفسه ، وحيث لا يتحقق الفعل إلا بالانفعال كالكسر مع الانكسار لا يتحقق الوجود إلا بالماهية ، فإن فهمت الحق من هذه العبارات المكررة المرادة فأنت من الواصلين إليه في المسألة وإلا فلا تفهم من غيرها .

هل كل ممكن زوج تركيبى مركب من مادة وصورة؟

قلت : لأن الوجود شرط كونه صدوراً واستمراراً الماهية والماهية شرط تكونها انصداراً واستمراراً الوجود ، فما داما موجودين منضمين فالشيء موجود ولا شيئية للشيء مع فقد أحدهما ولا للآخر ، والوجود مادة لنفسه وصورته لنفسه ارتباط الماهية به ، والماهية مادة لنفسها وصورتها ربط الوجود بها قال الله تعالى : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(١) فهما الشيء فهو مركب منهما أبداً .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧ .

أقول : بعد أن ذكرت أن الشيء هو الوجود والماهية وأنه مركب منهما أبداً إذ لا يمكن تحقق أحدهما بدون الآخر ، لأن كلّ شيء ممكن زوج تركيبى ذكرت بعض ما يتفرع على ما ذكرنا وبعض أسباب ذلك وجواب اعتراض أُورد على قولنا : إن كلّ ممكن زوج تركيبى يعني أنه مركب من مادة وصورة ، وهو أنه إذا قيل كلّ ممكن مركب من المادة والصورة يعني الوجود والماهية ، فالوجود نفسه ممكن فهو إذاً مركب من المادة والصورة ، والماهية نفسها ممكنة فهي إذاً أيضاً مركبة من المادة والصورة ، بل والصورة في المرآة أيضاً مركبة من المادة والصورة ، ويلزم التسلسل .

والجواب : أما عن الأول يعني أن أحدهما لا يتحقق بدون الآخر لا في أصل صدوره ولا في استمراره ، فلأننا قد قرّرنا أنه لا يمكن تحقق الممكن المخلوق بدون الاعتبارين أي اعتبار من ربّه واعتبار من نفسه ، وهذا اللحاظ جارٍ معتبر في صدور الشيء واستمراره لأنه متقوم بفعله قيام صدور في الصدور وفي البقاء كما ترى من تقوّم النور بالمنبر والصورة في المرآة بالمقابلة .

وأما الجواب : عن تقوّم أحدهما بالآخر وأنه لا يمكن أن يكون المخلوق بسيطاً مطلقاً فلأن المخلوق لما لزم إيجاد الفعل والانفعال وهما متضادان ، لأن الفعل من الفاعل والانفعال من المفعول أو الفعل بالتكوين نازل من العالي إلى السافل والانفعال بالتكوّن صاعد من السفلى إلى العلو ، والفعل جهة الفناء الذي هو

البقاء والانفعال جهة البقاء الذي هو الفناء ، والفعل منشأ الفقر الذي هو الاستغناء والانفعال منشأ الاستغناء الذي هو الفقر والفعل مبدأ الموافقة والطاعة ، والانفعال مبدأ المخالفة والمعصية تعذر قيام الشيء المحدث بدون ما لا يتحقق إلا به من نحو ما ذكرنا إذ البساطة تنافي اختلاف الجهتين اللتين لا ينفك الحادث عنهما ولو شاء الله شيئاً كان ما شاء ، ولكنه بطور فوق طور ما تدركه العقول وإلى عدم إيجاد بسيط وإلى إمكانه في مشيئة الله أشار الرضا عليه السلام ، بقوله : (إن الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته دون غيره للذي أراد من الدلالة عليه)^(١) انتهى .

وأما أن كل واحد منهما مركب من المادة والصورة حتى الصورة في المرآة مركبة من المادة والصورة فلأنا قلنا : إن واحداً منهما لا يقوم^(٢) بدون الآخر ، فإذا اعتبرنا الوجود نفسه ليتحقق

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام : (واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدرّاً بتحديد وتقدير ، وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدور فليس في كل واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدرّكين بأنفسهما ، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده والله تعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ويعضده ولا يمسه ، والخلق يمسه بعضه بعضاً بإذن الله ومشيئته) التوحيد للصدوق : ٤٣٩ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ١٠ / ٣١٣ .

(٢) في نسخة : لا يكون .

في التعبير عنه وفي المفهوم وفي الذهن كانت مادته نفسه وصورته انضمام الماهية إليه ، أما في التعبير عنه فلأنك تقول وجود فتظهر بأفراده إنّيته وهي الماهية فلأنها لازمة له لا ينفك عنه^(١) إذا اعتبر له اعتبار من نفسه لأنه هو الماهية كما مرّ .

وإذا اعتبرنا الماهية نفسها كذلك كانت مادتها نفسها وصورتها ربط الوجود بها بمعنى^(٢) إذا ذكرت في العبارة عنها وفي مفهومها وفي الذهن لزمها نوع وجود ما تلبسه وتظهر به في كلّ ما ذكرت به وما ذكرت به هيئة لها فهو صورتها وإليه الإشارة في التأويل ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾^(٣) وهذا في تأويله والتمثيل به على حدّ ما ذكرنا في أمر الوجود والماهية ، والأصل في الأسباب والمسببات إذا ترامت صعوداً ونزولاً انتهت إلى التضاييف والتساوق في الظهور فينقطع الترامي المذكور ، لأنه إذا فقد أحدهما فقد الآخر وإذا وُجد أحدهما وُجد الآخر . هذا في الشيء التام المركب منهما فإنه إنما يكون الوجود مادة والماهية صورة ما داما موجودين منضمين يلحظ أحدهما مع الآخر في الشيء المركب منهما ، وإذا اعتبر أحدهما كان مادته نفسه ولزوم

(١) في نسخة أخرى : فإنها لازمة له لا يمكن انفكاكها عنه .

(٢) في نسخة أخرى : بمعنى أنها .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧ .

الآخر له صورته كما قلنا ، وإذا جرّدا في الذهن عن الرابط^(١) بينهما كأن يتصور الوجود وحده والماهية وحدها كان كلّ واحد منهما مادة نفسه وصورته هيئة^(٢) ذهن المتصور ولونه وصقالته ، ومثل هذا وآيته الصورة في المرآة فإنّ من عرف أحدهما عرف الآخر ومن جهله جهل الآخر ، فمادة الصورة في المرآة صورة المقابل المنفصلة ، أعني ظل صورته اللازمة له وصورتها هيئة المرآة في الاستقامة والاعوجاج ، ولونها في البياض والسواد وصقالتها في الصفاء والكدورة ، فلم يكن شيء من الممكنات إلاّ وهو مركب من المادة والصورة ، فالمادة هي الوجود والصورة هي الماهية فمن قال بغير هذا من المؤمنين فأسأل الله أن يصلح وجدانه ويعرفه مذهب ساداته عليهم السلام .

قلت : فالوجود جهة فقره إلى الله تعالى وهو جهة استغنائه ، والماهية جهة استغنائه وهو جهة فقره فافتقاره استغنائه ووجود ، واستغناؤه فقر وعدم ، فنظره بالفؤاد حق بالقلب حقيقة ونظره بالتراب باطل وبالنفس سراب ، وذلك لأن الوجود متقوم بالوجود المتقوم بالحق والماهية متقومة بالوجود نفسه من دون الوجود

(١) في نسخة أخرى : الترابط .

(٢) في نسخة : وهيئته .

المتقوم بالحق ﴿ وَجَدْتُمْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١) .

معاني الوجود

أقول : الوجود له معنيان :

١ - الوجود الأول الجنسي

أحدهما (٢) : الوجود الجنسي وهو الذي تؤخذ منه حصة وتضاف إليه من الصورة النوعية أعني الماهية حصة ، فيتكوّن منه ومن حصة الصورة النوعية مادة نوعية كالمداد المركب من الزاج والعفص ، ويسمّى (٣) هذا الوجود الوجود الأول وهذه الماهية الماهية الأولى والمتكوّن منهما الخلق الأول .

وإذا أخذ من هذا المتكون حصة من هذا الخلق الأول الذي ربما نطلق عليه الوجود الثاني وحصة من الصورة الشخصية يكون منهما الشيء الشخصي أو النوعي الإضافي أو الجنسي الإضافي كلّ في مقامه ، ويسمى هذا الوجود الذي أخذ منه حصة هي مادة للشخص بالوجود الثاني والذي أخذ منه حصة الصورة بالماهية الثانية والمتكوّن منهما بالخلق الثاني .

(١) سورة النمل ، الآية : ٢٤ .

(٢) زيادة من نسخة أخرى .

(٣) في نسخة أخرى : نسّمى .

٢ - المعنى الثاني

وثانيهما : أن الشيء سواء كان شخصياً أم نوعياً أم جنسياً إن لوحظ أنه نور الله وأنه أثر صنع الله فهو وجوده^(١) ولهذا يعرف به الله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٢) ، وإن لوحظ أنه هو فهو ماهية وظلمة لا يجوز أن يعرف به الله سبحانه وإلا لوقع التشبيه ، فالوجود حقيقة أنه نور الله وأثر فعله لأنه حقيقة الشيء من ربه ، سواء كان في الخلق الأول أم الخلق الثاني ، وهو معنى قولنا فالوجود جهة فقره إلى الله تعالى لأنه كالنور ليس له هوية إلا ظهور المنير به ، وإذا اعتبرت افتقاره إلى الله سبحانه بحيث لا يجد نفسه كان هو جهة استغنائه يعني بالله لقوة قابليته لفعله تعالى حتى^(٣) لم يشهد له إنية ، كنور السراج فإنه نور بالسراج وظلمة بنفسه ، والماهية جهة استغنائه يعني عن ربه بمعنى أنه ينظر إلى نفسه وهذا هو جهة فقره لعدم قبوله للمدد بنظره إلى نفسه وهو الماهية ، فافتقاره إلى الله سبحانه استغناء ووجود ، واستغناؤه عن الله لنظره إلى نفسه فقر وعدم .

(١) في نسخة أخرى : وجود .

(٢) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار :

٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير

الميزان : ٦ / ١٧١ - ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة - البحث الروائي .

(٣) في نسخة أخرى : حتى أنه .

قال صلى الله عليه وآله : (الفقر سواد الوجه في الدارين)^(١) ، فنظره أي نظر المرء مثلاً بالفؤاد حق ، لأن الفؤاد هو النور الذي ينظر به صاحب الفراسة من المؤمنين وأصحاب التوسم من الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين ، وهو الوجود الذي خلق منه وهو النفس أي الذات التي من عرفها عرف ربّه أعني حقيقته من ربّه وهو الوجود وهو الوصف الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٢) أي وصف الله سبحانه نفسه لخلقه ليعرفوه بها بمعنى أنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ولا شك أنّ النظر بهذه العين حق عياني ووجوب عنواني ، لأن الحق نريد منه ما يعرف به الله سبحانه ويوصف به من العلم والقدرة والسمع والبصر التي هي ذاته ونظره بالقلب حقيقة ، لأنه إنما يدرك ما كان من نوع المعاني المجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصورة الجوهرية والمثالية ، ونريد من الحقيقة ما دخل في الإمكان من الحقائق ونظره بالتراب أي بالأجسام والجسمانيات باطل بمعنى أنه لا يوصل إلى معرفة المعالم الإلهية ، وإنما يدرك نوعه كما لو أدرك بنظره وبسمعه وبلمسه وبذوقه وشمه ، أو بمعنى أنّ نظره بالماهية باطل ، لأن الماهية التي هي الانفعال خلقت من أكثف الإنيات وأغلظها وهو التراب الذي هو أسفل الأجسام والعناصر وأشدّها ظلمة فيدرك

(١) ميزان الحكمة : ٣ / ٢٤٣٨ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

فيها الباطل لا غير ونظره بالنفس سراب يعني أنّ النفس لا تدرك إلا الصورة التي لا تُعرف بها البسائط الحقيقية (إنما تحدد الأدوات أنفسها وتشير الآلات^(١) إلى نظائرها)^(٢) ، فإن كانت النفس هي الصدر فتتنظر إلى صور المعلومات الحقّة لأنها تستمد من العقل إذ هي مركبة وهذه النفس ليست مرادة^(٣) .

وأما النفس المرادة هنا فهي الأمانة بالسوء التي هي ضدّ العقل وهي وجه الماهية ووزيرها فلا تريد إلا المعصية ، فإذا نظرت إنما تنظر إلى الباطل ، ولذا قلتُ : إن نظر الإنسان بالنفس

(١) في المصدر : الآلة .

(٢) نهج البلاغة : ١ / ١٢ رقم ١٨٦ ، والاحتجاج : ١ / ٢٩٩ ، وتوحيد الصدوق : ٣٩ ح ٢ باب التوحيد ونفي التشبيه ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ضمن خطبة له ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٧ ورواه عن الإمام الرضا عليه السلام ، وتحف العقول : ٦٦ ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وانظر بحار الأنوار : ٥٤ / ٤٤ ح ١٦ . ولفظه في التوحيد عن علي عليه السلام : (. . . له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئ ، كيف ولا تغيّبه مذ ولا تدنيه قد ولا تحجبه لعل ولا توقته متى ، ولا تشمله حين ولا تقارنه مع ، إنما تحدد الأدوات أنفسها وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها ، منعته منذ القدمية وحمتهما قد الأزلية وجنبتهما لولا التكملة . . .) . ولفظه في الاحتجاج وشرح المشاعر : (. . . وتشير الآلات إلى نظائرها) .

(٣) في نسخة أخرى : ليست مرادة هنا .

سراب لأنها تموّه الباطل في صورة الحق كما توهم^(١) السراب الماء على الظمآن .

وإنما قلنا : إن نظر الإنسان بالوجود حق ، إلخ ، لأن الوجود الذي هو الفؤاد متقوم بالوجود الذي هو المشيئة المتقوم بالحق سبحانه أي متقوم بفعله ومشيته على ظاهر الحال تقوم صدور بفعله وعلى الحقيقة ، فالمراد بالحق مجموع الفعل وما تقوم به أعني المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، والماهية إنما قلنا بأن نظر الشخص لها باطل لشدة ظلمتها وبعدها عن النور الذي تدرك به الأشياء على ما هي عليه ، لأنها في تكونها متقومة بالوجود نفسه يعني حقيقته من نفسه وهي الإنية السوداء المظلمة فهي تنتهي إليه من هذه الحيثية لا من حيث كونه نوراً أو أثراً للفعل ، فيكون أصلها مجتثاً ومثالها في نفسها وفي قومها بالوجود بانتهائها إليه كمثّل الظل من الجدار ، فإنه في نفسه من كونه ليس من الشمس ولا يعود إليها ومن كونه في أصله من الجدار المظلم المكنى به عن نفس النور من حيث نفسه لا من حيث المنير فهو ينتهي إلى الجدار وإن كان بالشمس ، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ وَجَدْتُمْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٢) وقومها النفوس الأمارة بالسوء ، فافهم .

(١) في نسخة أخرى : يوهم .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٢٤ .

قلت : وهذا هو الهيولى للإنسان وهو بمنزلة المداد المركب من صمغ وسواد وزاج وعفص وملح وصبر ونبات وآس . فكما أن المداد من حيث هو صالح للاسم الشريف والاسم الوضيع وإنما تميّز بينهما الصورة الثانية أي الكتابة بهيئاتها وهي الماهية الثانية ، كذلك هذه الهيولى المركبة من الوجود والماهية صالحة للمؤمن والكافر ولا تميّز إلا بالصورة الثانية التي هي الخلق الثاني وهي الماهية الثانية .

معنى الهيولى المركبة من الوجود والماهية

أقول : المراد بالمشار إليه بهذا هو المركب من الوجود والماهية التي هي انفعاله عند أول تكونه وذلك في الخلق الأول ، وهذا الوجود مادة الأشياء كما أن المداد المركب من الثمانية مادة للكلمات المكتوبة ، فهو بمنزلته في التأليف وفي الإيجاد منه ، لأن الوجود المذكور مركب من ثمانية أشياء وجود وماهية وكم وكيف ووقت ومكان وجهة ورتبة ، كذلك المداد مركب من ثمانية أجزاء من صمغ ليربط بالقرطاس فلا ينمحي ، وسواد ليكون له جرم لطيف يسهل حركه لو احتيج إليه ويلطف المداد مع زيادة تسويد وزاج ليحصل بحرقه للعفص^(١) سواد يزيد المداد ثباتاً

(١) في نسخة : بحرقه العفص .

وعفص لتحرق^(١) منه فيحصل منه مع الزاج سواد قار وملح ليقطع لزوجته فيعينه على الجريان ، وصبر بكسر الباء ليمنع الذباب بمرارته من الأكل ، ونبات ليكون برّاقاً وآس ليكون شديد الجريان والوجود تؤخذ منه حصة لخلق الأنواع من الكلي ولخلق الأفراد من النوعي ، فكما أن المداد من حيث هو صالح للاسم الشريف والاسم الوضيع ما دام لم يكتب به ، سواء كان في الدواة أم في القلم كذلك الوجود المذكور صالح ، لأن يكون مادة للإنسان الشريف إذا ضم إليه طينة إجابته الحسنی ، وللمنافق الوضيع إذا ضم إليه طينة عدم إجابته وإنكاره السوأى ، والمراد بالطينة التي أشرنا إليها الطينة المذكورة في الأخبار وهي صورة إجابته وإنكاره ومنها داعي الخير إذا كانت مجيبة وداعي الشرّ إذا كانت منكرة ، ولهذا قلنا وإنما تميّز بينهما الصورة الثانية في الخلق الثاني مثل الكتابة التي بها تتميز الحصص المأخوذة من المداد بهيئتها^(٢) اللاحقة لها ، وكذلك الحصص المأخوذة من الوجود المشار إليه أعني الهيولى المركبة من الوجود والماهية ، فإن الحصص المأخوذة منها تتمايز بما يلحقها من الهيئات كما يتميز الكافر من المؤمن بالمشخصات التي هي الماهية الثانية فإن الله سبحانه

(١) في نسخة أخرى : لينحرق .

(٢) في نسخة : بهيئاتها .

يقول : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ ﴾ (١) الآية .

قلت : فسألهم لعلمه بهم حين سألوه أن يسألهم فقال لهم : ألسنت
بربكم ومحمد نبيكم وعليّ وليكم ؟ فقالوا بأجمعهم : بلى ، منهم
من قالها مصداقاً بلسانه وقلبه عن علم كما قال تعالى : ﴿ مَنْ شَهِدَ
بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) فخلقهم من صورة التصديق والمعرفة وهي
الصورة الإنسانية وهي هيكل التوحيد هي من فلك البروج وهم
المرسلون والأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون .

أقسام الخلق في عالم الذرّ

أقول : فسألهم بإيجادهم لعلمه الإمكانى قبل سؤالهم
باحتيالهم بقوابلهم حين السؤال أي حين سألوها بقوابلهم أن
يوجدهم وهو قولي أن يسألهم فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (٣) لإيجاد
جسده ، ومحمد صلى الله عليه وآله نبيكم نفسه وعليّ وليكم
لإيجاد عقله ، فقالوا بأجمعهم يعني الخلق : ﴿ بَلَى ﴾ منهم من
قالها مصداقاً بلسانه وقلبه فحين صدّق بلسانه خلق جسده وحين

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٨٦ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

صدّق بخياله ونفسه خلقت نفسه ، وحين صدّق بعقله وقلبه خلق قلبه إذ الشيء إنما يخلق بقبوله حين يخلق لا قبله ولا بعده ثم دعاهم كما دعاهم أولاً فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ؟ (فشهدوا : أن لا إله إلا هو ، (ومحمد نبيكم) فشهدوا أن محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله ونبيه (وعلي وليكم)^(١) فشهدوا أن علياً ولي الله ، وذلك بأعمالهم في المراتب الثلاث ، فكانت الدعوة الأولى بحكم ما بالقوة والدعوة الثانية بحكم ما بالفعل .

(١) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إن الله - تبارك وتعالى - حيث خلق الخلق خلق ماء عذباً ، وماءً مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ . ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وأن هذا محمّد رسولي ، وأن هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ ، فثبتت لهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ، ومحمّد رسولي ، وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولاة أمري ، وخزان علمي ، وأن المهديّ أنتصر به لديني ، وأظهره دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا ربّ وشهدنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، ومختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : (أنت الذي احتجّ الله بك في ابتداعه الخلق حيث أقامهم أشباحاً ، فقال لهم : ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى ! وقال : محمّد رسولكم ؟ قالوا : بلى . قال : وعليّ أمير المؤمنين ؟ فأبى الخلق جميعاً إلا استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلا نفر قليل وهم أقلّ القليل وهم أصحاب اليمين) أمالي الصدوق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

ولا شك أن ما بالقوة مسبوق في أصل الكون بما بالفعل كالسنبله فإن الحبة في العود الأخضر تكون بالقوة ثم تكون في السنبله بالفعل ، ولا شك أن الحبة الموجودة في العود الأخضر بالقوة مسبوقه بالحبة التي زرعت فنبت منها العود الأخضر مما بالفعل سابق على ما بالقوة ، لأن ما بالفعل أقوى وأشد مما بالقوة ولا يجوز أن يكون الفاض عن المبدأ الفياض أضعف مما يكون بعده ومن أثره ، فافهم .

العلاقة بين الوجود التشريعي والوجود التكويني

فإذا فهمت هذا فاعلم أن الوجود التشريعي روح الوجود التكويني لتوقف الإيجاد على القبول والقبول تشريعي يترتب عليه التكويني فخلق سبحانه المجيبين بإجابتهم المساوقة لكونهم عن علم بما أجابوا به وبصيرة قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) فخلقهم من صورة التصديق والمعرفة وهذه الصورة هي الصورة الإنسانية التي هي هيكل التوحيد .

وذلك لأن هذه الصورة من حدود تخطيط وتصورت خط التوحيد وخط العقل وخط العلم وخط العمل وخط التقوى وخط

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٨٦ .

الطاعة والرضاء بقضاء الله وقدره وأمثال هذه من حدود الخير وصاحب هذه^(١) إنسان موحد مؤمن عامل بعلمه مطيع لربه وهم^(٢) المرسلون والأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون وإنما كان لهم الصنع الجميل ، لأن الله تعالى حين فرق الحصص المادية من الوجود جعلهم صالحين لقبول الخير والشر وهو قول الصادق عليه السلام ، حين سئل عليه السلام : كيف أجابوا وهم ذرّ؟

فقال : (جعل فيهم ما إذا سُئلوا أجابوا)^(٣) انتهى .

والمراد بهذا المجمعول هو الصلوح للخير والشر والتمكين من فعل ذلك بما جعل لهم من الاستطاعة والقدرة والآلة وتخلية السرب ثم كشف لهم عن الكتاب الأعلى وهو الصور المنقوشة في عليين ، وعليون أعلى الجنة وهو باطن فلك البروج ، ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾^(٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وتلك الصور صور الطاعات وصورة العلم وصورة الصلاة الصحيحة وصورة الزكاة وصورة الصيام وصورة الحج وصورة الإيمان وصورة التسليم وصورة

(١) في نسخة : هذه الصورة .

(٢) في نسخة أخرى : وهو .

(٣) الكافي : ٢ / ١٢ ح ١ باب (كيف أجابوا وهم ذر) ، وبحار الأنوار : ٢ /

٢٥٧ ح ٥٧ .

(٤) سورة المطففين ، الآيات : ٧ - ٩ .

الرضا بقضاء الله وقدره ، وما أشبه ذلك من صورة الإجابة بالطاعات ، ثم كشف لهم عن الكتاب الأسفل أعني الصور المنقوشة في سجين وهي الصخرة تحت الأرض التي ذكرها لقمان وهي ظاهر الثرى الذي تحت الظلمة التي تحت جهنم ، ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْمُومٌ ﴿٩﴾ ﴾ وهذه الصور صور المعاصي صورة الجهل وصورة ترك الصلاة وصورة الصلاة الباطلة كصلاة المرائي .

وصورة منع الزكاة وإفطار شهر رمضان عمداً للمقيم ، وصورة ترك الحج مع الاستطاعة ، وصورة الجحود والإنكار والإلحاد ، وصورة الأغراض ، وصورة عدم الرضا وما أشبه ذلك ، فأوحى إليهم : يا عبادي إني أدعوكم إلى النجاة فمن أطاعني ألبسه صورة إجابته من الصور التي رضيته وجعلتها صور محبتي ورضائي التي بها يصل إلى رضواني ويسكن جناني ، ومن عصاني ولم يجب دعوتي ألبسه صورة جحوده وإنكاره واستهزائه واستكباره من صور معصيتي وسخطي التي بها يصل إلى دار غضبي جهنم ، فلما دعاهم سبق السابقون إلى الإجابة ظاهراً وباطناً فخلق كل واحد من المجيبين بإجابته إلى الدعوة وتفاضلوا بنسبة مراتبهم في السبق إلى الإجابة ، ومن لم يجب خَلَقَهُ من صورة عدم قبوله وأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مرزوق رزقه فتمت كلمته الحسنی عليهم أي على المجيبين بما أجابوا من العلم والعمل .

ذكر من أنكر التوحيد في عالم الدُّرّ

قلت : ومنهم من قالها بلسانه وقلبه منكر مكذب غير قابل فخلقهم من صورة التكذيب والإنكار والجحود ، وهي الصورة الحيوانية والشيطانية وهم الكافرون والمنافقون وأتباعهم ممن تبين له الهدى فأعرض عنه وهي من طينة خبال وهي سجين ، وإنما كانت في الدنيا صورهم صور الإنسان لإجابتهم باللسان الذي هو الأدنى وفي الآخرة تسلب منهم وتظهر صورهم الحقيقية التابعة للقلب .

أقول : من قالها أي كلمة الإجابة بلسانه وقلبه منكر مكذب مستهزئ خلق ظاهره في الدنيا على الصورة الإنسانية لإجابته بلسانه الذي يدل على ظاهره ، وأما قلبه فإنه لما كان منكراً مكذباً لما أجاب به بلسانه فخلقهم في بواطنهم بصورة التكذيب والإنكار والجحود وهي الصورة الحيوانية الشيطانية ، لأن حدودها التي تقوّمت بها كما ذكرنا قبل هذا لتقومها بحدّ الجحود ، وحدّ الإنكار ، وحدّ ترك الصلاة ، وحدّ ترك الزكاة ، وحدّ ترك الصوم ، وحدّ ترك الحج وما أشبه ذلك ، وهؤلاء هم الكافرون والمنافقون والمشركون وكل من أنكر الحق من الأولين والآخرين وأتباعهم ممن تبين لهم الهدى فأعرضوا عنه من الاتباع ، لأن

المتبوعين لا يكون من لا يتبين له الهدى منهم فلا نريد بالتقييد إلا الاتباع .

إذ منهم من لا يتبين له الهدى وهم من أهل القسم الثالث كما يأتي ، وهذه الصورة التي خلق منها هؤلاء أعني أهل القسم الثاني وهم الكافرون والمنافقون والمشركون وأتباعهم الذين تبين لهم الهدى ، وهي طينة خبال وهي سجّين التي تكتب فيها أعمال الفجار وهي أمثالهم في أعمالهم ، ومعنى كون كتاب الفجار في سجّين أنهم إذا عمل أحدهم شيئاً من المعاصي في السوق مثلاً فإنك إذا شاهدته لا تزال صورته ومثاله في غيب ذلك المكان من السوق ، ووقته قائماً كلّ ما التفت بخيالك إلى ذلك المكان ، وذلك الوقت رأيت بخيالك صورة ذلك العامل للمعصية ومثاله عاملاً بتلك المعصية أبداً ، ولو رأيت آخر في ذلك المكان ووقته أو قبله أو بعده عاملاً لشيء من الطاعات فإنك كلما التفت بخيالك إلى ذلك المكان وذلك الوقت رأيت مثال ذلك الآخر يعمل تلك الطاعة في غيب ذلك الوقت وذلك المكان ، ومثال عامل المعصية في غيب ذلك الوقت وذلك المكان الذي هو السوق هو^(١) من سجّين ، يعني أنّ المكان الذي فيه مثال عامل المعصية من غيب السوق هو مكان من سجّين الذي هو كتاب

(١) في نسخة : هو مكان .

الفجار ، والمكان الذي فيه مثال عامل الطاعة من غيب السوق هو مكان من عليين الذي هو كتاب الأبرار .

بيان سجّين وهو مكان كتاب الفجار

فالأول : هو تحت الظلمة التي هي تحت جهنم التي هي تحت ريح العقيم التي هي تحت البحر الذي هو تحت الحوت الذي هو تحت الثور الذي هو تحت سجّين ، أعني الصخرة التي قال لقمان فيها فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض ، فهذا الكتاب أصله في الثرى ووجهه في سجّين .

بيان عليين وهو مكان كتاب الأبرار

والثاني : أعني الذي فيه مثال عامل الطاعة فوق الطبيعة التي هي فوق المادة التي هي فوق المثال الذي هو فوق الجسم الذي هو فوق محدّد الجهات الذي هو فوق عليين أعني باطن فلك البروج ، فهذا الكتاب أصله في اللوح المحفوظ ووجهه في فلك البروج وأنت قد رأيتهما في مكان واحد من السوق ، هذا عامل بالمعصية وهذا عامل بالطاعة وإذا التفت بخيالك رأيت المثالين في مكان واحد ، وفي الحقيقة مثال عامل المعصية في سجّين تحت الملك الحامل للأرض السابعة وبينك وبينه أربعة آلاف سنة وخمس مئة سنة ، ومثال عامل الطاعة في عليين فوق فلك البروج

وبينك وبينه ثمانية آلاف سنة ، وإنما كانت في الدنيا صور المنافقين والكفار صور الإنسان لأنهم أجابوا بألسنتهم خاصة التي هم أدنى آلات المدارك والتبليغ ، فإذا كان يوم القيامة وانتقل الخلق عن الدنيا تخلف عنهم ما ينسب إليها فتسلب عنهم الصورة الإنسانية وتظهر صورهم الحقيقية التي هي عليها في نفس الأمر وفي الواقع ، لأن كل شيء يرجع إلى أصله وهؤلاء أعني الكفار والمنافقين الذين أنكروا من بعد ما تبين لهم الهدى ، حين قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (١) ، فخلق صورهم الظاهرة من صورة الإجابة وهي الصورة الإنسانية الظاهرية ، وحين قال لهم ومحمد نبيكم سكتوا حيث (٢) ظنوا أنه تعالى ما أراد بذلك خصوص طاعته بل انتقل منها إلى طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله والرسول له ولاية ما إلا أنه مبلغ فيرجع أمره وطاعته إلى الخالق سبحانه ، لكن له تفضل كما حكى الله في كتابه بقوله : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُفَضِّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٣) فسكتوا ليعلموا ما يستقرّ طلبه عليه فإن انتهى إلى المبلغ ربما يهون الأمر عليهم فيتداركوا الإجابة ، وإن تعدّى طلبه إلى أعظم من ذلك أنكروا الكل لأنه يكون أسهل من أن يكون بعد الإقرار بالكل ، فلما قال لهم :

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) في نسخة : حين .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٤ .

وعليّ وليكم ، أنكروا وقالوا : قد رضينا بما طلب منا أولاً حتى توصل به إلى أن يولّى علينا من يعمل بنا ما يراه فينا من الرأي ونحن لا نرضى بذلك أبداً فحكم عليهم بإنكارهم كما قال تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ (١) .

ذكر من آمن بالتوحيد بلسانه فقط في عالم الدّر

قلت : ومنهم من قالها بلسانه وقلبه واقف لم يقرّ ولم يجحد وهؤلاء خلقهم الله تعالى من الصورة الإنسانية ظاهراً لإقرار ألسنتهم ولم يخلق بواطنهم حتى يقرّوا ويجحدوا فيخلقهم من حالهم وهم مختلفون ، فمنهم في الدنيا ، ومنهم في البرزخ ، ومنهم في الآخرة فمن خلق باطنه إنساناً دخل الجنة ومن خلق غير ذلك دخل النار .

أقول : هؤلاء هم القسم الثالث وهم الذين لم يقرّوا بقلوبهم ولم يجحدوا ، سواء أجابوا عن غير معرفة بالكل أم أجابوا بالبعض عن غير معرفة ، إلا أنهم مجتمعون على وقف قلوبهم وهؤلاء عرضت لهم موانع في طينتهم وهذه الموانع العارضة لها هي عوارضها الذاتية والفعلية والنسبية ، وهذه العوارض مختلفة

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .

في الشدة والضعف فمنهم من موانعه ضعيفة فتضمحل في الدنيا فيقرّ في الدنيا بقلبه ويلحق بالسابقين أو ينكر في الدنيا به ويلحق بأضدادهم ، ومنهم من موانعه متوسطة في القوة والضعف فيقرّ بقلبه في البرزخ أو ينكر ويلحق كلّ بنوعه ، ومنهم من موانعه شديدة فيلهي عنه إلى يوم القيامة^(١) حتى تأخذ الأرض ما فيه من موانعه مع ما تعلقت به من الأجسام الظاهرية والتعليمية فيجدد له الخطاب التكليفي ، بمعنى أنه يقع عليه لا بمعنى أنه انقطع واضمحل ثم حدث ، بل لأنه بقي بعد انقطاع المكلفين على انبعاثه فلم يظهر لعدم وجود مظهر يتعلق به ، فلما قامت القيامة ووجد المكلفون وهم الذين لم يتعلق الخطاب إلا بظواهرهم إذ لا بواطن لهم ، وحينئذ زالت عنهم الحجب المانعة وقع عليهم الخطاب الذي لم تظهر صورته في الدنيا لعدم وجوده^(٢) القابل ولوجود المانع ، فلما زال المانع وجد القابل ولما وجد القابل وجد المقبول فيما مؤمن وإما كافر .

وقولي : فخلقهم من حالهم ، أي خلقهم من الحال التي وقع

(١) عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً ، ولا ينال الرجعة إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً) . قلت له : فسائر الناس ؟ فقال عليه السلام : (يلهي عنه) بحار الأنوار : ٦ / ٢٣٥ ح ٥٢ ، والرجعة : ٤٨ ح ٢١ ، والإيقاظ من الهجعة : ٢٧٥ ح ٨٥ .

(٢) في نسخة أخرى : وجود .

عليهم فيها السؤال وهي إجابتهم بألسنتهم لا اضطرارهم إلى الإيجاد ، فإذا كان يوم القيامة وأجاب منهم أحد بقلبه خلق الله باطنه بإجابته إنساناً فكان مع المؤمنين فدخل الجنة ، ومن أنكر منهم بقلبه خلق الله باطنه بإنكاره شيطاناً أو حيواناً فكان مع الكافرين فدخل النار .

بيان الطينة والأم في عالم الذرّ

قلت : فهذه الصور التي خلقت من الإجابة والإنكار هي الطينة وهي الأم التي يسعد في بطنها من سعد ويشقى في بطنها من شقى ، وذلك بعد أن أعلمهم بالطينة الطيبة التي هي الإجابة والطينة الخبيثة التي هي الإنكار ، وأنه سبحانه لا يخلقهم إلا على ما هم عليه ولو خلقهم على غير ما هم عليه لم يكونوا إياهم بل كانوا غيرهم .

أقول : يعني أنّ الصورة التي خلقهم فيها ومنها وعليها هي الطينة التي خلق الله تعالى المسؤولين منها فالإجابة لدعوة الله عزّ وجلّ هي الطينة الطيبة التي خلق الله المؤمنين منها وأقامهم فيها وأقرّهم عليها لميلهم إليها ، والإنكار لما دعا إليه هو الطينة الخبيثة التي خلق الكافرين منها وأقامهم فيها لمحبتهم لها وأقرّهم عليها لميلهم إليها ، والصورة كما تقدم هي الأم كما قال صلى الله عليه

وآله : (السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه)^(١) ، إذ الأم هي الصورة لأنها هي صورة عمله لأنه عزَّ وجلَّ لا يخلق الخلق إلا على ما هم عليه والذي هم عليه عملهم ووصفهم وهو سبحانه ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢) ولأجل أنه تعالى لا يخلقهم إلا على عملهم الاختياري كما قال : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾^(٣) خلقهم على ما هم عليه ، ولو خلقهم على غير ما هم عليه أعني بغير أعمالهم لما كانوا إياهم بل يكونون غيرهم ، لأن صورهم غير صورهم ، بل هي صور غيرهم فهم غيرهم كما لو خلق السعيد بصورة الشقي والشقي بصورة السعيد لم يكن السعيد سعيداً والشقي شقياً ، حيث أثبت للسعيد الشقاوة وللشقي السعادة فيمتنع الإيجاد لعدم جريانه على مقتضى الحكمة ولجريان عدمه حينئذ على مقتضى الحكمة والصنع على غير مقتضى الحكمة إنما يكون للحاجة إليه أو الظلم ، وإذا انتفيا عن الغنى المطلق عزَّ وجلَّ لم يحسن الإيجاد إلا على خلقهم على ما هم عليه لا على غير ما هم عليه .

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني : ١ / ٢٣٣ ، وشرح الأسماء الحسنی

للسبزواري : ١ / ٢٦٢ ، وميزان الحكمة : ٢ / ١٤٧٨ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٩ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .

في تنافي خَلْق المنكرين والمقرين في الذر

قلت : ولو لم يقبلوا وخلقهم من الإنكار وجعل لهم ما جعل للمقرين لوقع التنافي في خلقهم وخلقهم إياهم ، لأن خلقهم كما هم مناف لجعلهم كالمطيعين وجعلهم كالمطيعين مناف لخلقهم كما هم ، وخلقهم كما هم مناف لخلقهم لهم ليس كما هم ، ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (١) .

أقول : هذا من نحو ما ذكرنا قبله من البيان وإن كان فرضاً آخر ، لأن الأول راجع إلى الخلق الأول وهذا إلى الخلق الثاني ، وهو أنه تعالى ولو خلقهم من الإنكار لإنكارهم وعدم قبولهم وجعل لهم من الجزاء الوجودي والتشريعي ما جعل للمقرين (٢) من الجزاءين لوقع التنافي في خلقهم المقتضي لعدم خلقهم : إما لكونهم غيرهم وإما لكونهم إياهم لا إياهم ، ووقع التنافي أيضاً في خلقه إياهم الذي هو فعله فيكون فاعلاً لهم غير فاعل لهم ، أما كونه فاعلاً فلفرض كونه فاعلاً لهم ، وأما كونه غير فاعل لهم فلغناه عن الظلم والحاجة فلا يصدر عنه ما يخالف الحكمة وفي

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٧١ .

(٢) في نسخة : للمقرنين .

خلقه إياهم أي في الصنع المتعلق بإيجادهم حين إيجادهم ، لأن خلقهم كما هم أن يخلقهم بما أجابوا به دعوته من الإنكار والجحود وهذا مناف لجعلهم كالمطيعين وجعلهم كالمطيعين مناف لخلقه كما هم وخلقهم كما هم مناف لخلقه ليس كما هم كما تقدم فيقع التنافي في الفعل والمفعول قال الله سبحانه : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ يعني لو جرى فعل الله على شهوة كل واحد لأراد شخص دوران الفلك سريعاً ليذهب الليل والنهار على حسب شؤونه ، وأراد شخص أن يلبث ليبقى الليل والنهار على حسب شؤونه ، وأراد آخر أن يكون الأطول هو الليل والأقصر هو النهار أو لا يكون نهار أصلاً ، وأراد آخر بالعكس وأراد شخص أن يمطر على الأرض في الليل وينبت في النهار ، وأراد عدوه العكس وهكذا ، ففسد السماوات والأرض ولو أراد شخص أن يضعف ضده وعدوه أو يهلكه وأراد أن يضعف هو أو يهلك فيفسد من فيهن ، لأنه إن اتبع التكوين وما يتوقف عليه من الحق إرادة واحد دون آخر لزم الترجيح بلا مرجح ، وإن اتبع إرادات جميع الخلق وهي مختلفة لزم ما ذكرنا وأمثاله فرد سبحانه وتعالى عليهم بما فيه الحق الذي به قوامهم وقوام نظامهم فقال : ﴿ بَلْ أَلِينَهُمْ بِذِكْرِهِمْ ﴾ أي بما ذكرناهم أو بما ذكرنا به من السؤال قوابلهم^(١) من كونهم

(١) في نسخة : سؤالهم بقوابلهم .

مذكورين بما هم عليه أو ذاكرين لما هم عليه ، يعني أتيناهم بما هم عليه من التكوينات الوجودية وتشريعاتها ومن التشريعات الكونية ووجوداتها ، ﴿ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ ﴾ أي عن ذكرنا إياهم بما هم عليه ، وما يقتضي من التكاليفات وعن ذكرهم إيانا بسؤالهم بقوابلهم لما هم عليه وما يقتضي عليه^(١) ذلك من التكاليف ، وعن شرفهم وتشريفنا إياهم بما فيه نجاتهم مما يكرهون وفوزهم بما يريدون ويطلبون ولكنهم لا يعلمون ﴿ مُعْرَضُونَ ﴾^(٢) يعني عن ذكرنا لهم بما هم عليه مما فيه فوزهم بما يحبون ، وعن ذكرهم أنفسهم بما يشتهون وهم لا يعلمون لأنهم يشتهون ما تشتهيه^(٣) أنفسهم والذي ما تشتهيه أنفسهم على الحقيقة هو ما أتيناهم به وذكرناهم به ، وأما ما يشتهون الآن ليس شهوة لأنفسهم في نفس الأمر ، وإنما زين لهم بإغواء الشيطان حتى توهموا أنه مطلوب حسن وهو قبيح ، انظر مثلاً إلى الزنى فإنه في نفس الأمر ليس حسناً بل هو قبيح وكيف زين إبليس عند الزاني ، وإذا أردت أن تعرف قبحه فافرض وقوعه من الأجنبي بأحد من محارمك لتعرف قبحه ، وفي الآية أسرار يطول في ذكرها الكلام .

(١) في نسخة : يقتضيه .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٧١ .

(٣) في نسخة أخرى : والذي تشتهيه .

بيان الخلق الثاني في الذرّ تحت النور

قلت : فهذا هو الخلق الثاني تحت النور الأخضر في عالم الأظلة في ورق الآس فكانوا في الذرّ كما قال سبحانه : (للجنة ولا أبالي) و(للنار ولا أبالي)^(١) ثم كسرهم في النور الأحمر وهو معنى قوله عليه السلام (ثم رجعهم إلى الطين) أي طين الطبيعة .

أقول : يعني أنّ ما تقدم من ذكر ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾^(٢) إلى آخره ، هو الخلق الثاني وهو الخلق الذي ألبسهم فيه الصور الشخصية التي تمايزوا بها وتميزوا ، لأن الخلق الأول الذي هو المادة والصورة النوعيتان اللتان هما بمنزلة المداد للكتابة فيه أيضاً تكليف بشرع وجودي والخلق فيه مكلفون به ، ولكنه في المبادئ مخفي على أذهان المكلفين إدراكه فوجب أن يخفي عليهم التكليف به وإلا لكان عندهم تكليفاً بما لا يطاق ، ولكنه تعالى حيث أجرى حكمته بإخفائه عليهم لأنه من المبادئ الوجودية أخفى التكليف المترتب عليه ، وإذا كشف للمكلفين عن أبصارهم الأغطية وجدوا الطينة أي الصورة ووجدوا الرسل عليهم تترى بتلك التكاليف ويجري عليهم ما لهم وعليهم ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ

(١) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ٣٨ ، البداية والنهاية : ١ / ١٠٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

لِلْعَبِيدِ ﴿١﴾ ، ثم أخذ الخلق الأول للخلق الثاني حصصاً متساوية في الصلوح للإجابة والإنكار فأمرها ونهاها فخلقهم منها بذلك الأمر والنهي فيما شاء ، وهذا هو الخلق الثاني وقد كان الخلائق المكلفون تحت النور الأخضر والنور الأخضر هو اللوح المحفوظ والنفس الكلية وهي سدرة المنتهى وشجرة طوبى والخلائق أوراقها والأوراق تحت الشجرة في الرتبة ، وهذا معنى كونهم تحت النور الأخضر لأنه هو الشجرة وهم الأوراق في عالم الأظلة كما ترى ذلك في الشمس في ورق الآس ، لأنهم قبل أن يشملهم التكليف أوراق في النور الأصفر ، وهو الروح الكلية على هيئة ورق الآس ، وذلك لأنهم باعتبار تساوي جهات وجوههم إلى مبدأ لا جهة له توجهوا إليه من كلّ جهة فكانوا على هيئة الدائرة لتساوي جهاتهم وتوجهاتهم إلى كلّ جهة ، وهذا في النور الأبيض الذي هو في أول الدهر وهو العقل الكلي ، فلما نزلوا إلى النور الأصفر كانت أعاليهم متوجهة إلى العقل في الجهة العليا وأسافلهم مرتبطة بالنور الأصفر والروح الكلية فكانت أعاليهم أطف وأدق من أسافلهم لقربها من العقل والنور الأبيض ، وأسافلهم أغلظ وأكثر لقربها من النور الأصفر الذي هو الروح ، فانجذبت أعاليها إلى العالي وأسافلها متعلقة بالأسفل

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

فامتدت كالأوراق فكانت أعاليها أدق وأقَبَ^(١) للطافتها ودقتها^(٢) وكانت أسافلها أعرض وأغلظ لكثافتها وغلظتها فكانت في هيئتها أشبه الأشياء بورق الآس المعروف فأطلقوا عليها ورق الآس فلما نزلت إلى رتبة النفس تمّ تمايزها تحت النفس .

وقولي : (فكانوا في الذرِّ) يعني بعد أن قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾^(٣) ومحمد نبيكم وعليّ وليكم بعد النور الأخضر أعني اللوح لأنه هو الشجرة وهم أوراقها فحقت عليهم الكلمة فقال للمجيبين : (للجنة ولا أبالي) ، وقال للمنكرين : (للنار ولا أبالي)^(٤) ، أي خلقتُ أهل الجنة بإجابتهم للجنة ولا أبالي بعد

(١) في نسخة : أرق .

(٢) في نسخة : رقتها .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٤) روي في العلل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (إن الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده ثم ذكر ما قال الله للملائكة في أمر خلق آدم إلى أن قال : فاغترف ربنا عزّ وجل غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات وكلتا يديه يمين فَصَلَّصَلَّهَا فِي كَفِّهِ حَتَّى جَمَدَتْ ، فقال : منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمة المهتدين والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم القيامة ولا أبالي ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، ثم اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج فصلَّصَلَّهَا فِي كَفِّهِ فَجَمَدَتْ ثم قال لها : منك أخلق الجبارين الفراعنة والعتاة وإخوان الشياطين والدعاة إلى النار يوم القيامة وأشياعهم ولا أبالي ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون) علل الشرائع : ١ / ١٠٤ - ١٠٦ باب ٩٦ ح ١ .

أن قبلوا مني ما دعوتهم إليه مختارين ، وخلقت أهل النار بإنكارهم للنار ولا أبالي بعد ما^(١) أنكروا ما دعوتهم إليه مختارين ثم كسرهم في النور الأحمر في مدة أربع مئة سنة بعد ما^(٢) جاءهم الخطاب بـ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾^(٣) في خمسين ألف سنة والنور الأحمر نور الطبيعة لأنهم بعد أن تمّ خلق صورهم في خمسين ألف سنة تمايزت أجزاءهم ، فكان أبيض الشخص منهم غير أسوده ورطبه غير يابسه وحاره غير بارده ، فلما كلفهم وأجاب من أجاب وأنكر من أنكر كسرهم في النور الأحمر ، يعني أذابهم فكانوا طيناً صلصالاً وطبيعة ذائبة قد تساوت فيه الأجزاء كلها على طبيعة واحدة حارة وباردة ويابسة ورطبة ولذوبانها وامتزاجها بعضها في بعض في مدة أربع مئة سنة ، لأنه تعالى خلقهم من عشر قبضات وكل قبضة يتم كسرهما في أربعين سنة في أربعة أدوارها كلّ دورة في عشر سنين لانتساب كلّ دور إلى العشرة .

فصار لكلّ دور نسبة هي رتبته من الوجود اشتملت على الفصول الأربعة مثالها واحد من القبضات هو القلب من محدّد الجهات وتمت تلك القبضة في أربعة أدوار : دور عناصرها ،

(١) في نسخة : بعد أن .

(٢) في نسخة : أن .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

ودور معادنها ودور نباتها ، ودور حيوانها كلّ دور من هذه الأربعة ينتسب إلى كلّ قبضة من القبضات العشر برتبة من مراتب الوجود والرتبة تتم في الفصول الأربعة ، فتكون سنة فكلّ دور له سنة في نسبه إلى كلّ قبضة فله عشر سنين فتم قبضة القلب في أربعين سنة إذا أردت تحليل أدوارها الأربعة من القبضات العشر ، فيكون جميع تحليل الشخص الواحد الجوهري بعد تركيبه تحت النور الأخضر وتكليفه في عالم الذرّ أربع مئة سنة حتى تكون تلك الجواهر المتميزة المشخصة طيناً صلصالاً أو حمأ مسنوناً تبارك الله أحسن الخالقين ، وهذا الطين هو طين الطبيعة الذي يجمد ويكون مادة لا الطين الذي وردت الأخبار فيه أنه منشأ السعادة والشقاوة ، لأن المراد به الصورة التي هي صورة الإجابة وصورة الإنكار حين قال تعالى لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾^(١) ؟ فأخبار الطينة التي وردت وحصل^(٢) فيها لكثير من الناس الأشكال واردة في الطينة التي هي صورة الإجابة والإنكار .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) في نسخة : وتحصل .

الفائدة الثامنة

كل شيء لا يجاوز وقته

الفائدة الثامنة

كل شيء لا يجاوز وقته

قلت : الفائدة الثامنة كل شيء لا يجاوز وقته لأنه لا يوجد إلا فيه ، ولا ذكر له قبل ذلك وكل ذي وقت فوقته مساوئ لمكانه وكونه ، لأن الوقت والمكان والكون متساوية ، إذ كل واحد شرط للآخر وكذا باقي المعينات والمشخصات فيلزمها التضاييف كالمشيئة والسرمذ وكل الإمكان وكالعقل الأول والدهر وكل الممكن وكالجسم والزمان والمكان .

أقول : في هذه الفائدة أشرنا إلى أجزاء المحدث على جهة الإجمال فإن منها ما هو أجزاء للمادة ، ومنها ما هو أجزاء للصورة وأشرنا إلى مجملات تفصيل كل شيء من هذا النوع لمن عرف ما ذكرنا ، فقولنا : كل شيء لا يجاوز وقته فيه إشارة إلى بيان أجزاء الصورة ، سواء كانت الأولى النوعية أم الثانية الشخصية ، يعني أن الشيء من مقومات وجوده الوقت لأنه حد من حدود الماهية التي هي قبوله للإيجاد ، ولأنه لو وجد قبله أو بعده لمّا كان وقتاً له ولمّا كان موقتاً لو لم يوجد في غيره ، وما لم يكن موقتاً ليس مصنوعاً إذ

المصنوع لم يكن قبل الصنع شيئاً وإذا أخذ فاعله في صنعه كان في وقت لا محالة فالشيء لا يوجد إلا في وقته ، وإذا كان كذلك لم يجوز أن يجري له ذكر قبل ذلك لاستلزام الذكر الوجود فيما أن يكون الذكر في وقت أو لا في وقت ويأتي الكلام المتقدم ، وعلى كونه لا يوجد إلا في وقته^(١) يجب أن يكون مساوقاً لكونه أي وجوده ومكانه والكلام في المكان كالكلام في الوقت وكل واحد من الثلاثة لازم للآخرين ومساوق لهما حيث كان كل واحد شرطاً للآخرين ، وباقي المشخصات كالكم والكيف والجهة والرتبة والوضع والنسبة والإذن والأجل والكتاب ، وما أشبه ذلك مثل الوقت والمكان في كونها شرطاً ومشروطاً فيلزمها ما ذكرنا في الوقت والمكان ، ويلزم الكل التضاييف والتساوق وهو معنى المعية ، وذلك كالمشيئة والسرمد الذي هو وقت المشيئة ومعناه الوقت غير المتناهي لا الوقت الممتد بين الأزل والأبد كما هو مذهب أكثر المتكلمين ، فإنه باطل إذ ليس بين الأزل والأبد امتداد ، لأن الأزل هو الأبد وليس بين الشيء ونفسه امتداد وكل الإمكان فإنه هو مكان المشيئة ، وإنما قلنا كل الإمكان ، لأن الإمكان منه ما لبس حلة الكون وسينزعها ، ومنه ما لا ينزعها ومنه ما لم يلبس وكلها متعلق المشيئة ومحلها .

(١) في نسخة : وقت .

والمراد بالمشيئة ما هو أعم من الإمكانية والكونية لأنها ليست اثنتين وإنما هي واحدة تعلقت بالإمكان وتقوّمت به ، وقد تتعلق بالأكوان وإذا تعلقت بالأكوان لم تخرج عن تعلقها بالإمكان فلذا قلنا كالمشيئة والسرمد ، وكل الإمكان يعني ما نزع وما لبس وما لم يلبس فيكون المراد أن المشيئة يلزمها الوقت والمكان لأنهما المقوّمان لها وهي مقومة لهما وأحدهما مقوم للآخر فيلزم الثلاثة التساوق والتضاييف كما مرّ .

وكالعقل الأول أعني العقل الكلي لا أنا نقول بالعقول العشرة بل المراد العقل^(١) الكل والدهر وكل الممكن ، فإن هذه الثلاثة أيضاً متساوقة كلّ واحد يتقوّم بالآخر كما مرّ وأردنا بكلّ الممكن أن الممكنات المكونات كلها محل العقل ومتقومة به والدهر وقته كذلك ومعنى كون الممكنات كلها متقومة به أنه وجه الأمر الذي به قام كلّ شيء كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾^(٢) وقال عليه السلام : في الدعاء : (كلّ شيء سواك قام بأمرك)^(٣) .

(١) في نسخة أخرى : عقل .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٢٥ .

(٣) مصباح المتعبد : ٤٣١ ، وبحار الأنوار : ٨٧ / ١٤٨ ، مجمع النورين :

وكالجسم والزمان والمكان فإن كل واحد منها شرط لتقوم الآخرين وتلزمهما المساوقة والمعية .

ومن قال بأن الأجسام لا يمكن أن توجد إلا بعد وجود المكان والزمان قبلها فقد جهل حقائقها ، إذ لو وجد الزمان قبل الأجسام جاز أن يكون ظرف لا حال فيه ، وكذا المكان وقبل الأجسام ليس إلا المجردات ، فإن كانت حالة فيهما كانا ظرفين لها ولم يكونا ظرفين للأجسام ، وإن لم يكونا ظرفين للمجردات وكانا موجودين قبل الأجسام كانا فارغين وذلك ممتنع إذ كونهما ظرفين للمجردات ممتنع إذ لا يشغلها المجردات ، وكونهما فارغين أيضاً ممتنع إذ الظرف لا يوجد فارغاً فيلزم الخلا في المكان وفي الزمان ، أما في المكان فظاهر وأما في الزمان فلأن الزمان ظرف لا امتداد الحال فيه ، وإذا لم يحل فيه شيء لم يكن ظرفاً لا امتداد نفسه ، فافهم .

في بيان مراتب المشيئة

قلت : ومراتب المشيئة كما مرّ أربع والسرميد والإمكان يكون كل واحد منهما في كل مرتبة من الأربع بنسبتها ، فللرحمة بالسرميد والإمكان رتبة الذات من الشجرة ، وللألف بهما رتبة الأصل من الشجرة ، وللسحاب المزجى أي الحروف بهما رتبة الفرع من

الشجرة وللسحاب المتراكم أي الكلمة بهما رتبة الكل من الشجرة .

أقول : (ومراتب المشيئة كما مرّ أربع) : النقطة ، والألف ، والحروف ، والكلمة التامة وظرفاها السرمذ والإمكان يكونان في كلّ مرتبة بنسبتها كالزمان والمكان يكونان في الأجسام في كلّ مرتبة بنسبتها ، فمكان محدّب محدّد الجهات وزمانه لطيفان جداً حتى يكادان^(١) يلحقان بعالم المثال ، لأن الحال فيهما هو محدّب محدّد الجهات كذلك ، ومكان فلك البروج وزمانه دون كونهما ظرفين لمحدد الجهات في اللطافة والرقّة والشفافية وهما في السماوات السبع دون كونهما ظرفين لفلك البروج كذلك وهما في العناصر دون كونهما ظرفين للسماوات السبع كذلك ، فكذلك في مراتب المشيئة الأربع بنحو هذه النسبة فالسرمذ والإمكان في النقطة في غاية الرجحان حتى يكاد أن يتحقق قبل التحقيق ، وفي اللطافة والرقّة ما لا يكاد يوجد إلى معرفته طريق ، وهما في الألف المسمّى بالنفس الرحماني الأولي وبالألف الأول ، والرياح دون كونهما ظرفين للنقطة التي هي الرحمة في اللطافة والرقّة والتحقق ، وهما في الحروف دون كونهما ظرفين للألف المسمّى بالنفس الرحماني وبالرياح كذلك ، وهما في الكلمة الكلية دون كونهما ظرفين للحروف كذلك .

(١) في نسخة أخرى : جداً يكادان .

واعلم أنك إذا أردت تصوّر المراتب الأربع التي تنسبها إلى المشيئة مع ما هي عليه من الوحدة والبساطة فاعتبر الشجرة مع أنها واحدة فإن لها أربع مراتب : رتبة الذات ، ورتبة الأصل ، ورتبة الفرع ، ورتبة الكل ، فإذا قابلت المشيئة بها عرفت معنى المراتب فللرحمة التي هي النقطة وهي أول مراتب المشيئة في اعتبار الفؤاد بالسرد والإمكان ، أي للرحمة من النسبة التمثيلية بالسرد والإمكان مصحوبة لهما لكونهما طرفين لها ومقومين لها ، لأنهما من حدود قابليتها لإيجادها بنفسها نسبة رتبة ذات الشجرة من الشجرة ، وللألف بهما في نسبة رتبته إلى المشيئة نسبة رتبة الأصل أي أصل الشجرة من الشجرة ، وللسحاب المزجي بهما أعني الحروف في نسبة رتبته إلى المشيئة نسبة رتبة فرع الشجرة من الشجرة ، وللسحاب المتراكم بهما أي الكلمة التامة بعد تكونها بنفسها من الحروف التي هي في نسبة رتبته إلى المشيئة نسبة رتبة كلّ الشجرة من الشجرة ، ونسبة كلّ مرتبة من السرد والإمكان نسبته إلى كلّ رتبة منها نسبة كلّ منها إلى كلها .

في بيان نسبة الإمكان إلى المشيئة

قلت : فنسبة الإمكان إلى المشيئة بجميع مراتبها نسبة المكان إلى محدّد محدد الجهات يعني نهاية المساوقة بلا حاوية غير المساوقة إذ المساوقة هي التحاوي لا عدم مطلق الحاوية .

أقول : ونسبة السرمذ والإمكان إلى المشيئة تفريع على ما سبق وبيان له ، يعني أن نسبة السرمذ والإمكان إلى المشيئة بجميع مراتبها الأربع نسبة الزمان والمكان إلى محدّب محدد الجهات ، وذلك لأن المشيئة وإن اختلفت مراتبها وتعددت في الاعتبار بالنظر إلى أحوال آثارها لكنها في نفسها وفي نفس الأمر في كمال البساطة الإمكانية التي ليس وراءها رتبة في الإمكان مطلقاً بخلاف محدّد الجهات ، فإنه وإن كان بسيطاً في كمال البساطة الجسمانية إلا أن محدّبه هو المجرد عن الرتبة والمكان ، فالمناسبة التامة إنما تكون بين المشيئة وبين محدّبه لا بينها وبين كله .

والمراد من نسبة السرمذ والإمكان إلى المشيئة ونسبة الزمان والمكان إلى محدّب محدد الجهات هو نهاية المساوقة وكمالها بلا حواية غير المساوقة ، يعني أنّ الحواية قد تكون مع المساوقة كما قلنا ، فإن السرمذ مساوق للمشيئة وحاوٍ لها وكذا المشيئة مساوقة للسرمذ وحاوية له ، وكذا الإمكان بالنسبة إلى كلّ واحد منهما وبالنسبة من كلّ منهما إليه ، وقد تكون الحواية حواية الظرف للمظروف كحواية الكوز للماء ، وهذه حواية بلا مساوقة وهذه الحواية لم نردّها فيما نحن بصددّه ، وإنما نريد الحواية التي هي المساوقة فإن المساوق للشيء المتقوم به يكون حاوياً له ومحوياً له باعتبارين ، فلذا قلنا إذ المساوقة هي التحاوي ، يعني أنّ كلاً من المساوقين حاوٍ للآخر ولا نريد مطلق الحواية التي

تكون بكون أحدهما حاوياً للآخر ولا عكس كالكوز فإنه حاوٍ للماء ولا عكس .

في بيان مراتب العقل الأول

قلت : وللعقل الأول في أكواره الأربعة بالدهر والممكن ما للمشيئة بالسرمذ والإمكان وما لها من المُساوقة والتحاوي ، وللجسم في أدواره الأربعة بالزمان والمكان ما ذكر سابقاً حرفاً بحرف وكذا في المساوقة أي التحاوي ، يعني أن الجسم حاوٍ للزمان والمكان لا يخرج منهما عنه شيء ، والزمان حاوٍ للجسم والمكان لا يخرج منهما عنه شيء ، والمكان حاوٍ للجسم والزمان لا يخرج منهما عنه شيء ، وذلك كما أشرنا إليه في المشيئة وفي العقل حرفاً بحرف .

أقول : للعقل الأول يعني عقل الكل في أكواره الأربعة مصحوباً بالدهر والممكن بالمشيئة مصحوباً بالسرمذ والإمكان إلى آخر ما أشرنا إليه ، ويأتي بيانه .

بيان الأكوار والأدوار

والمراد بالأكوار جمع كَوْر وهو إدارة الشيء^(١) على شيء

(١) في نسخة أخرى : شيء .

وأصل ذلك مما قرر في العلم الطبيعي قالوا : إنه أول ما خلق الله سبحانه طبيعة الحرارة وأصلها من الحركة الكونية التي هي قدرة الله وعلّة العلل في الأشياء المتحركات .

ثم خلق الله سبحانه طبيعة البرودة وأصلها من السكون الكوني الذي هو قدرة الله وعلّة العلل في الأشياء الساكنات ، فهذا أول زوجين خلقهما الله تعالى مما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(١) ، ثم تحرك الحار على البارد بسرّ ما أودع الله فيه من الحركة المذكورة فامتزجا فتولد من الحرارة اليبوسة وتولد من البرودة الرطوبة فكانت أربع طبائع مفردات في جسم واحد روحاني وهو أول مزاج بسيط .

ثم صعّدت الحرارة بالرطوبة فخلق الله منها طبيعة الحياة والأفلاك العلويات وهبطت البرودة مع اليبوسة إلى أسفل فخلق الله منها طبيعة الموت والأفلاك السفليات .

ثم افتقرت الأجسام الموات إلى أرواحها التي صعّدت عنها فأدار الله تعالى الفلك الأعلى على الأسفل دورة ثانية فامتزجت الحرارة بالبرودة والرطوبة باليبوسة فتولدت العناصر الأربعة ، وذلك أنه حصل من مزاج الحرارة مع اليبوسة عنصر النار وحصل من مزاج الحرارة مع الرطوبة عنصر الهواء وحصل من مزاج

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .

البرودة مع الرطوبة عنصر الماء وحصل من مزاج البرودة مع
اليبوسة عنصر الأرض ، فهذا مزاج العناصر وهو مركب لاندواج
المركبات الثلاثة .

ثم أدار الله الفلك الأعلى على الأسفل دورة ثالثة فتولد
النبات والحيوان البهيمي .

ثم أدار الله الفلك الأعلى على الأسفل دورة رابعة فتولد
الحيوان الناطق الإنساني وهو آخر المركبات وأحسنها وأكملها
تركيباً .

هذا ما قاله الحكيم محمد بن إبراهيم الصنبري^(١) في كتابه
المسمى بكتاب الرحمة في الطب والحكمة .
واعلم أن ما ذكره فيه بعض التغييرات^(٢) ونحن لسنا بصدد
هذا ، وإنما مرادنا بيان الأكوار والأدوار .

(١) هو مهدي المهجمي كما جاء اسمه في بعض كتب التراجم ، وهو مهدي بن
علي بن إبراهيم الصنبري ، وفي الأعلام للزركلي ضبط الاسم بالصنبري ،
وفي مجلة معهد : المخطوطات : الصبيري ، اليمني ، المهجمي ، المقري .
توفي كهلاً ببلده المهجم باليمن سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) . من آثاره : الرحمة
في الطب والحكمة . انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ١٣ / ٢٧ ، وكشف
الظنون لحاجي خليفة : ٨٣٦ .

(٢) في نسخة : التعبيرات .

القبضات العشر التي خلق منها الإنسان

واعلم أن الإنسان خلق من عشر قبضات تسع من الأفلاك التسعة من كلّ فلك قبضة ، وقبضة من العناصر الأربعة ، وكل قبضة تتم في أربعة أدوار دور عناصرها ودور معادنها ودور نباتها ودور حيوانها ، وهذا جار في الكل في كلّ واحد من أجزائه و جار في الغيب والشهادة ، لأن (العبودية جوهره كنهها الربوبية) كما تقدم (١) .

فبعضهم اصطلح على تسمية الأدوار الأربعة إذا كانت في المجردات بتسميتها أكواراً وفي الأجسام بتسميتها أدواراً ، وبعضهم في اصطلاحه عكس التسمية ، ونحن قد جرينا في اصطلاحنا على الاصطلاح الأول فلذا قلت : وللعقل الأول في أكواره الأربعة ، وقلت بعد : وللجسم في أدواره الأربعة ، وأريد بأكواره الأربعة أن الله سبحانه أول ما خلق منه أن خلق عناصره من تكرير طبائعه بعضها على بعض ، ثم كوّر العناصر فتولد منها معادنه ، ثم كوّر بعضها على بعض فتولد نباته ، ثم كوّر بعضها

(١) قال عليه السلام : (العبوديةُ جوهرُ كنهها الربوبيةُ فما فقد في العبودية وُجد في الربوبية ، وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية) مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسير الأصفى للفيض الكاشاني : ٢ / ١١٢١ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٧٩٨ ح ٢٤٩٠ .

على بعض فتولد حيوانه ، فهو من ابتداء تكوينه في هذه الأطوار^(١) إلى أن تمت خلقتة بالدهر ، والممكن أي مصحوباً بهما على نحو المساوقة لكون كل واحد شرطاً للآخرين له ما للمشيئة بالسرمد ، والإمكان من المساوقة التي هي التحاوي ومن الشرطية ، وكذلك للجسم أيضاً أعني محدّب المحدد في أدواره الأربعة دورة عناصره ودورة معادنه ودورة نباته ودورة حيوانه ، وبالزمان والمكان كما مرّ ما للمشيئة وللعقل كما تقدم ، ومعنى المساوقة في الثلاثة أن يكون كل واحد مع وقته ومكانه متساوقة في الظهور لكون كل شرطاً للآخرين ، وكذا معنى التحاوي أن يكون كل واحد حاوياً للآخر بمعنى أن لا يخرج شيء منه عن الآخر ولا ينقص عنه ، فلا يتصوّر ظهور جزء من واحد منهما خالياً عن جزء من الآخرين ، وهذا في المشيئة وفي العقل وفي الجسم الذي هو محدّب محدد الجهات كل أسفل من الثلاثة في هذا الحكم آية وعنوان لما فوقه وما فوقه ظاهر به ، ويجري هذا التحاوي في المشيئات الجزئية كالكلية لأنها وجه من الكلية فلها وجه من السرمد الكلي والإمكان الكلي بقدرها ، وكذا في العقول الجزئية كالعقل الكلي لأنها وجوه منه فلها وجوه من الدهر والممكن بقدرها وكذا باقي الأجسام .

(١) في نسخة : الأكوار .

قلت : وأما الماء الأول الذي به حياة العقل وما بعده فوجهه في السرمد والإمكان وهو في الدهر والممكن .
وأما النفوس فإنها في وسط الدهر والممكن وهو الأظلة وبينها وبين العقل النور الأصفر وهو البرزخ بينهما وهو الأرواح وهو من الطرف الأعلى وآخره النور الأحمر وجوهر الهباء .

بيان أن الصادر الأول

هل هو من الوجود المطلق أم المقيّد ؟

أقول : إن الماء الأول الذي هو أول صادر من المشيئة الكونية وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، وهو الوجود والعنصر الذي منه خلق الله كلّ شيء أي من شعاعه وبه حيي كلّ شيء ، لأنه الماء وبه قوام كلّ شيء لأنه أمر الله الذي قام به كلّ شيء قيام تحقق يعني قياماً ركنياً ؛ فيه احتمالان : وهما أنه هل يكون من الوجود المطلق ، لأنه قبل العقل وأول ما خلق الله العقل يعني من الوجود المقيّد ، أم يكون من الوجود المقيّد ، لأنه من المفعولات لا من الأفعال ؟

والدليل الأول : إن الفعل متقوم به قيام ظهور فلا يكون له تأثير إلا به لأنه كالحديدة المحماة بالنار وإن كانت إنما تحرق بحرارة النار القائمة بها إلا أنها لا تقوم بنفسها من دون الحديدة

فبالحديدية تحرق الحرارة لا بنفسها فينتسب إلى الحديدية كثيرة^(١) من أوصاف الحرارة فيكون الماء المذكور من الوجود المطلق وربما يشير إليه قوله تعالى : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(٢) .

والدليل الثاني : إنه من الخلق بمعنى المخلوق فلا يكون من عالم الأمر كما قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٣) والعطف يقتضي المغايرة فيكون من الوجود المقيد لتقيده بمسّ النار أي^(٤) أنه لا يضيء إلا بمسّ النار ، وعلى كلّ من الاحتمالين فهو برزخ بين الفعل والمفعول بالفعل بالذات والقصد فيكون وجهه وأعله في السرمذ والإمكان وهو في الدهر والممكن من حيث الرتبة وأعلى الدهر والممكن وألطفهما وأرقهما^(٥) ما كان للعقل منهما .

وأما النفوس فهي في وسط الدهر والممكن أي المتوسط منهما بين اللطافة والرقّة وهو الأظلة ، يعني أنّ النفوس هي الأظلة لأنها جواهر لطيفة كالظلّ في لطافته مع أنه جوهر ألبس

(١) في نسخة أخرى : فينسب إلى الحديدية كثير .

(٢) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ .

(٤) في نسخة أخرى : أي أنه .

(٥) في نسخة أخرى : وأدقهما .

قالباً كهيئة الإنسان هو جزء ماهية ذلك الجوهر اللطيف وبينه وبين العقل النور الأصفر وهو البرزخ بينهما ، لأن العقل هو النور الأبيض والنفس هو النور الأخضر والبرزخ هو الأصفر ، لأن بياض العقل الذي هو بساطته لما تنزل بالروح اصفر ، لأن الروح أول التركيب إذ هو بمنزلة المضغة في خلق الإنسان والعقل كالنطفة والنفس كالعظام إذا كُسيت لحماً وأنشأت خلقاً آخر بأن ولجتها الحياة وخضرة النفس من اجتماع صفرة الروح مع سواد الكثرة والمشخصات من حدود القوابل ، والروح وإن كان برزخاً إلا أنه أقرب من الطرف الأعلى ، وإنما كان من الطرف الأعلى أي لاحقاً بعقل الكل لكونه يطلق عليه غالباً ، لكنه قد يطلق على النفس أيضاً فهو بحكم البرزخية أولى فيكون وجهه الأعلى إلى الطرف الألف وهو في الطرف الأوسط كما مرّ في الماء الأول وآخره ، أي آخر الحال في الدهر من المجردات عن المواد العنصرية والمدد الزمانية النور الأحمر الذي هو المسمّى بالطبيعة الكلية وجوهر الهباء وهو الحصاص المادية المجردة ، لأن المراد منها قبل ارتباط الصور المثالية بها وجوهر الهباء برزخ بين رتبة الكسر ورتبة الصوغ ، وهذه الرتبة أعني آخر الدهر أغلظ أوقات الدهر وأكثفها وأسفلها حتى أن أسفل هذه الرتبة يقارن بصفة الفعلية عالم المثال .

بيان أطوار الكسر والامتزاج والعقد

قلت : فالكسر في النور الأحمر والامتزاج في جوهر الهباء والعقد في المثال .

أقول : فالكسر بعد الصوغ الأول في النور الأحمر ، لأن الأشياء لا بد لها في صنعها من كسرين وصوغين ، فالكسر الأول في الماء الأول عند إذابته لقبول الماهية التي تسمى بالصورة النوعية والامتزاج أي انحلال الأجزاء وكونها شيئاً واحداً وتحصيله حصصاً مبهمه في العقل ، وأول التخلّق والنمو في الروح وتتمام العقد الأول والصوغ الأول في النفس ، والكسر الثاني في النور الأحمر يعني الطبيعة والامتزاج والتحصيص في جوهر الهباء والعقد في المثال وهو البرزخ وهو أول العقد والنمو وتتمامه في هذه الدنيا ، وإذا حلّ حلّين وعقد عقدين تمّ إكسير الإجابة لدعوة الله عزّ وجلّ عند التكليف والحلّ الثالث عند إلقائه على المعدن الناقص وذوبانه معه ، والعقد الثالث الذي هو غاية الغايات ونهاية النهايات هو حصول النقدين على أكمل وجه وهذا في الإنسان الفلسفي وفي الإنسان الناطق كسره موته ودفنه في الأرض حتى يضمحل ولا يبقى من تركيبه إلا الطينة الأصلية التي خلق منها في قبره مستديرة^(١) ثم يتم عقده يوم القيامة ويبعث حياً

(١) في الفقيه والكافي بسندهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل عن الميت =

بحياة قارّة لا يجري عليها^(١) الموت ولا التغيير ، وهو غاية الغايات ونهاية النهايات .

وقولي : (والعقد في المثال) ، أريد به أول العقد والنمو كما قلنا في الروح ، لأن تمام العقد في هذه الدنيا كما ذكرنا فافهم .

كيفية تحقق برزخية المثال

قلت : والمثال بين الزمان والدهر فوجهه في الدهر وأسفله في الزمان أي بالعرض لتبعية الجسم ، فله الجهتان الذاتية والعرضية وبهما معاً تحققت برزخيته .

أقول : إن المثال برزخ بين المجردات والماديات فله أحكام البرزخ كغيره ، فوجهه أي الذي هو جهة تلقيه وهو أعلاه في الدهر الذي هو ظرف المجردات وأسفله أي محل حلوله منه ، يعني الذي يحلّ منه في المحل الجسماني وهو تعلقه بالمواد في الزمان لأنه ظرف الماديات بالعرض ، يعني أنّ كونه في الزمان

= يبلى جسده؟ قال : (نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها ، فإنها لا تبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة) . فروع الكافي : ٣ / ٢٥١ ح ٤٧٦٤ (ح ٧) باب النوادر ، ومن لا يحضره الفقيه : ١ / ١٩١ ح ٥٨٠ ، وبحار الأنوار : ٧ / ٤٣ ح ٢١ .

(١) في نسخة : عليه .

بالعرض حيث ارتبط بالمادة الزمانية فجذبته إلى الزمان ولولا ذلك لم ينحط في الزمان ، فله أي المثال جهة ذاتية وهي جهة تلقيه من المجردات وبها تحقق فهي ذاتية له وجهة عرضية وهي جهة ارتباطه بالأجسام .

وإنما كانت هذه عرضية لأنها ناشئة عن فعله أو عن فعل الفاعل به في المادة على الاحتمالين من أنه هو أم الشيء ، كما هو الصحيح عندنا والمروي عنهم عليهم السلام .
وأبُ الشيء مادته أو هو أب الشيء والأم مادته كما قيل ، وبهاتين الجهتين تحققت برزخيته وإن كانت إحداهما عرضية .

في أن كل شيء قابل عن الله من كل جهة ووقت

قلت : ثم اعلم أن كل شيء من ذي روح أو غيره قد بدا عن فعل الله على الاستدارة الصحيحة يعود إلى الله كذلك ، ويقبل من الله كذلك ، وسرعة تدويره وبُطؤه على حسب كونه ووقته ، وهي تنقلات تعدّ وقته ولا يسرع لذاته أزيد من نسبة كونه ووقته .

أقول : لما كان فعل الله سبحانه هو مبدأ كل ما سوى الله وما كان كذلك فإنه يجب له أن تكون في كل جهة وكل مكان وكل وقت فهو محيط بالأوقات والأمكنة والجهات والرتب وكل شيء ، وما كان كذلك يجب أن يكون أثره قابلاً عنه من كل جهة ووقت في كل

شيء ينسب إليه على حدّ واحد ، فيكون جهات افتقار أثره إليه على السواد ، ولا نعني بالاستدارة إلا تساوي الخطوط والنسب والأوقات والجهات إلى القطب الذي هو مبدؤها ، وكذلك يعود إلى ما منه بدأ^(١) أيضاً يعني على الاستدارة إذ البدء كالعود ، ويكون في دورانه على علته في بدئه وعوده على حدّ واحد في سرعة حركة دورانه وبطئها ، وهذا ظاهر إن شاء الله .

وسرعة حركته في استدارة إقباله وإدباره تكون على حسب كونه أي على حسب رتبة كونه ، أي وجوده ووقته من دهر أو زمان ومن كونه في أول الدهر أو الزمان أو في وسطهما أو في آخرهما فإن كان كونه أي وجوده أول فائض عن فعل الله سبحانه مثل وجود نبينا صلى الله عليه وآله ، فإن استدارته على قطب علته أسرع من جميع ما خلق الله بعد المشيئة ومن دونه أرض الجرز ، ومن دونهما العقل الكلي أي عقل الكل ومن دونه الروح ، ومن دونها النفس ، ومن دونها الطبيعة ، ومن دونها جوهر الهباء ، ومن دونه المثال ، ومن دونه الجسم المطلق ، ومن دونه الأطلس ، ومن دونه المكوكب ، ومن دونه فلك الشمس ، ومن دونه زحل ثم القمر ، ومن دونه المشتري ثم عطارد ومن دونه المريخ ثم الزهرة ثم النار والهواء والماء والتراب .

(١) في نسخة أخرى : بدىء .

فكلما قرب من المبدأ كان ألطف وأسرع وكلما بُعد كان أبطأ ، فكلّ شيء يحدث كرة مجوّفة يدور على نقطة هي علته لا إلى جهة فيستمد منها ما لم يصل إليه مما له ومما وصل إليه بعد أن تجاوزه إلى مبدئه ، وهذه الحركات والتطورات تنقلات إذ بها يسير الشيء إلى منتهاه ، وهي تعدّ وقته أي تحصي المدد والأوقات التي ينتهي فيها إلى ما منه بدئ وإلى غايات المتحركات إذا تناهت حركاتها ، لأنها مدد وأوقات يتطور فيها المتحرك ، كما يقال : إن الإنسان يتطور في بطن أمه ستة أطوار كلّ طور مدته عشرون يوماً ، فتطور النطفة في الرحم عشرين يوماً فتكون علقة وتتطور العلقة عشرين يوماً فتكون مضغة فتتطور^(١) المضغة عشرين يوماً فتكون عظماً ، فتتطور العظام عشرين يوماً فتكسى لَحماً ، فتتطور^(٢) العظام المكسوة لَحماً في تقديراتها عشرين يوماً بتتميم آلات الروح ومجاري^(٣) النفس وحواملها فتنفخ فيه الروح ، فصار مدة ذلك أربعة أشهر فتلك الحركات للنفس النباتية تنقلات تعدّ مدة تمامها وتحصيها بتنقلها من طور إلى طور حتى تنتهي الأربعة الأشهر .

(١) في نسخة أخرى : فتطور .

(٢) في نسخة أخرى : فتطور .

(٣) في نسخة : محاوي .

في أن كل الشيء لا يسرع في حركاته المحددة له من المبدأ

ثم إن الشيء لا يسرع في حركاته وتنقلاته لذاته أزيد من نسبة كونه أي وجوده من مقتضى رتبته من المبدأ الفياض ومن وقته أي وقت المتحرك ، إذ هذه الحركة مقتضى ذاته فلا تزيد عليها ، نعم يمكن أن يسرع في حركاته بمعين خارجي ، كما قيل في تحليل الخمر إذا أراد صاحبها أن يقلبها خلاً فإنها تتخلل^(١) في مدة معينة^(٢) ، لكن لو وضع فيها عصارة السلق أسرع انقلابها خلاً حتى قيل : إنها تنقلب خلاً في أربع ساعات ، وهذا الإسراع ليس لذاتها وإنما هو من عصارة السلق وهو النبات المعروف فإنه معين لمقتضاها الناقص ، إذ كل شيء يمكن أن يكون كذا فإن كان ذلك الإمكان له لذاته كان ما يمكن له لذاته مقتضياً لكون ذلك ذاته إذا كان تاماً بالنسبة إلى ذاته ما لم يحصل له مانع أقوى من مقتضى ذاته ، وإن كان ما يمكن لذاته ناقصاً عن إظهار مقتضاه لم يلبس ذلك الإمكان حلة الكون ، فإن حصل له معين يتمم ذلك الناقص لبس حلة الكون بسبب تتميم المعين ولذا :

(١) في نسخة أخرى : يتخلل .

(٢) في نسخة أخرى : معينة لا تزيد .

محذور سرعة الشيء عن حركاته المحددة له من المبدأ

قلت : فإذا حصل له شيء أسرع به فليس قاسراً لذاته من حيث هي فلا يحدث لها تغيير ، وإنما يعين ذاته بما يمكن لها إذ ما يمكن للشيء على قسمين قسم يمكن لذاته بذاته وقسم يمكن لها بخارج عنها وهو المعين .

أقول : إذا حصل للشيء شيء أسرع به إسراعاً زائداً على مقتضى ذاته فليس ذلك الشيء المسرع به قاسراً له ومجبوراً له رافعاً لأصل اختياره الذي هو مقتضى ما تركبت منه ذاته فيرتفع التركيب المستلزم لارتفاع ذاته من الوجود إذ لو فرض أنه قاسر لكان أحدث اقتضاء لم يكن في ذات المجبور .

فإن كان ذلك الاقتضاء قائماً بالجابر لم يصح إسناد شيء من آثاره إلى المجبور ولو فرض إسنادها إليه لما صح الاستناد إلا أن يكون مقتضياً لها ، ولا يكون مقتضياً لها حتى يكون هو غير ما هو عليه في ذاته ، وإن كان غير ما هو عليه في ذاته مقتضياً لذلك كان هذا شيئاً آخر يقتضي هذا الأثر لذاته فلا يكون القاسر قاسراً ، بل إما معيناً وإما مانعاً للمانع أو لمنعه ، فلا يحدث للشيء بسبب المعين أو مانع المانع أو منعه تغيير وانقلاب لذاته ، فلا يمكن للشيء أن يكون منه ما لا يمكن في ذلك إلا أن تقلب حقيقته عما

هي عليه ، كما أشار إليه عز وجل : ﴿ لَا يَزَالُ بُنِيَ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١) ولأجل ما أشرنا إليه .

محذور حصول عكس مقتضى ذات الشيء

قلت : ولو حصل بالخارج عكس مقتضى ذاته فهو معين أيضاً لا قاسر ما دام لمقتضاها فعل وإلاّ فهو قاسر ، وحيث لا يكون الشيء ذلك الشيء بل هو غيره ، وهذا يسمى قاسراً باعتبار قلب الذات الموجودة وإلاّ ففي الحقيقة أن الشيء لا ينقلب إلى ما لا يمكن في ذاته في جميع الوجود ، بل ليس ذلك شيئاً فلا تتعلق به قدرة ، لأن القدرة لا تتعلق إلاّ بالشيء .

أقول : ولو حصل بالخارج عكس ذاته أي عكس مقتضى ذاته فهو أي المتمم لذلك الإمكان الناقص معين يعين الشيء بتتميم مقتضاه الناقص عن التأثير بدون المعين ، فهذا المتمم معين للشيء لا قاسر ما دام لمقتضى تلك الذات فعل أي تأثير بدون المعين وبالمعين والمتمم يتم ما كان ممكناً في ذاته ويظهر اقتضاؤه .

وقد تقدم بيان هذا لأنه إذا انقلبت ذاته لم يكن هو إياه بل

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٠ .

غيره وهذا جار على ظاهر اللفظ ، وإلا ففي الحقيقة أن الشيء لا ينقلب إلى ما لا يمكن في ذاته ، فإن الواجب عزّ وجلّ لا يمكن أن يكون ممكناً ولا ممتنعاً والممكن لا يمكن أن يكون واجباً ولا ممتنعاً ، والممتنع لا يمكن أن يكون واجباً ولا ممكناً وهذا كلام لا شك فيه ، وإن كان في نفس الأمر وفي الخارج غير معقول إذ الممتنع على مرادهم ليس شيئاً لا في الذهن ولا في نفس الأمر ولا في الخارج ، وإنما هو لفظ وضع بإزاء حادث ، وكذلك هذا الفرض في حق الواجب تعالى ، لأن فرض أن الشيء لا يكون كذا إنما يصح بين شيئين يجدهما الفارض في محل وجدانه مجتمعين ، سواء كان المحل ذهنياً أم خارجياً ولا يحوي الممتنع والواجب شيء ولا الممكن مع الواجب إذ لا يجتمع الممكن إلا مع الممكن ، ولا اجتماع ينسب إلى الواجب عزّ وجلّ إنما هو إله واحد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) ، والممتنع ليس شيئاً إلا الممكن ، فالصحيح في التعبير ليرفع^(٢) غبار الأذهان أن يقال لا يمكن أن يكون الممكن واجباً ، ولا يمكن أن يكون الواجب ممكناً ، وفي الصورتين يُراد من الواجب علاماته ليتمكن أن يعقل ما ينفي إمكانه .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣١ .

(٢) في نسخة : لرفع .

مقامات ومراتب الإمكان

قلت : والشيء الممكن له خمسة مقامات : الأول : في الإمكان ولا يكون أبداً وهو في المشيئة ممكن الكون . والثاني : في الإمكان وسيكون وفي المشيئة يمكن ألا يكون . والثالث : إنه كان ولا يزال أبداً وفي المشيئة يمكن محوه فيما بعد وإثباته ومحوه وهكذا . والرابع : إنه كان وسوف يعدم أي يرجع إلى ما قبل كونه ، وفي المشيئة يمكن ألا يعدم وأن يعدم ويعاد وهكذا . والخامس : إنه قد كان كونه ولا تكون عينه وكانت عينه ولا يكون قدره وكان قدره ولا يكون قضاؤه وكان قضاؤه ويستر إمضاؤه وظهر إمضاؤه ويعدم منه ما كان إلى غير ذلك وكل ذلك وما أشبهها مما يمكن في ذاته .

أقول : هذا الكلام لبيان ما يمكن للشيء فإنه قد يكون تاماً يقتضي في نفسه ما يترتب عليه من غير أن يضاف إليه شيء ، وقد يكون ناقصاً يعجز بنفسه عن اقتضاء ما يترتب عليه إلا إذا أضيف إليه ما يتمم نقصه ، وفاعل ذلك يسمّى معيناً ومتمماً والممكن في مراتب الإمكان على خمسة أقسام :

١ - ممكن في نفسه

الأول : في الإمكان^(١) أي هو في نفسه ممكن والحكمة لا يقتضي وجوده في جميع الأحوال ، وذلك كشقاوة الأنبياء وسعادة الشياطين وسائر الأشقياء فإنه ممكن في نفسه وفي مشيئة الله سبحانه ، ولكن حكمة الله تقتضي^(٢) عدمه وهو لا يكون أبداً وفي مشيئة الله ممكن أن يكون كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾^(٣) فهو عز وجل قادر على ذلك ولكنه لا يفعله أبداً .

٢ - ممكن وسيكون فيما بعد

الثاني : في الإمكان يعني في نفسه ممكن وسيكون فيما بعد إذا تمت شرائط وجوده ، وفي المشيئة يمكن أن لا يكون قبل أن يكون وبعد أن يكون يمكن أن يعدم وذلك كسائر المعدومات .

٣ - الممكن كان ولا يزال أبداً

الثالث : إنه كان ولا يزال أبداً كعقل الكل ، وفي المشيئة يمكن محوه بعد كونه إذا شاء الله ، ويمكن أن يثبته بعد محوه ومحوه بعد إثباته وهلم جرا .

(١) في نسخة أخرى : في الإمكان ولا يكون .

(٢) في نسخة أخرى : يقتضي .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٨٦ .

٤ - كان وسوف يعدم

الرابع : إنه كان وسوف يعدم بأن يخلع حلّة الكون ويرجع إلى رتبته في الإمكان الراجح أي إلى ما قبل كونه ، وفي المشيئة يمكن أن لا يعدم ويمكن أن يعدم ويمكن أن يُعاد وأن لا يُعاد .

٥ - الممكن ربما قد كان وجوده

والخامس : ما تجري عليه أحكام قوله تعالى : ﴿ يَمَحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(١) وهو أن الممكن ربما قد كان كونه أي وجوده يعني مادته النوعية ولا تكون عينه أي صورة مادته النوعية ، بأن تتعلق به المشيئة فيحدث كونه ثم يمحي قبل أن تتعلق الإرادة بعينه وربما تتعلق الإرادة بعينه أي بصورة مادته النوعية أعني الصورة النوعية فكانت عينه يعني الصورة النوعية^(٢) ثم تمحي قبل أن يجري عليه القدر ، وربما جرى عليه القدر فتحدث به الهندسة والحدود الظاهرة كالطول والعرض والعمق والاستدارة والتثليث والتربيع أو غيرها والباطنة كالبقاء والفناء والرتبة من المبدأ الفياض والجهة والكم والكيف وما أشبه ذلك ثم تمحي قبل أن يقضي ، وربما تعلق به القضاء فتمت بنيته

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٩ .

(٢) في نسخة أخرى : يعني الصورة ثم .

وكمال تركيبه ، ثم يمحي قبل إمضائه وإظهاره مشروحاً مبيناً العلل معروفة الأسباب واضح الدلالة والاستدلال به وعليه وربما جرى عليه الإمضاء كذلك ، ويظهر إمضاؤه بعد ما كان مستوراً وربما عدم ما كان ظاهراً عدم تفكك أو عدم فناء إلى غير ذلك من الفروض الممكنة للشيء وما أشبهها مما يمكن لذاته من تام أو ناقص ، فإن كل ذلك إذا ظهر منه شيء بسبب تميم معين لا يقال إنه مقسور مجبور وأن الفاعل به ذلك أجبره على الحقيقة ، كما يأتي تمثيل ذلك .

المستحيل لا تتحقق له شيء أصلاً

قلت : وأما ما لا يمكن في ذاته بأن يكون مستحيلاً أي لا شيء بكل اعتبار أو يكون واجباً لذاته أي هو الشيء لا سواه فيستحيل عليه فرض الإمكان ، فلا يمكن فرض واحد منهما ولا تصوُّره ، لأن التصور والفرض من الإمكان بل لا يفرض ولا يتصور إلا ما هو موجود في الإمكان قبل ذلك وسيأتي بيان ذلك .

أقول : إن ما لا يمكن في ذاته بأن كان مستحيلاً فهو في نفس الأمر وفي الخارج وفي الذهن لا شيء بكل اعتبار فلا تتحقق له شيء أصلاً لا في الخارج ولا في الذهن ولا في نفس الأمر ولا في الوهم ولا يدخل في مطلق مفهوم ولا مصداق بكل

مشعر من المشاعر الوجود الحقة والباطلة كالسفسطة إذ كل ما ينطبق عليه شيء بكلّ فرض فهو ممكن ، أما الممتنع فلأنه لفظ ممكن قد يفهم من دلالة مادته وهيئته شيء محدث لا غير ذلك ، لأن المتولد من الممكن أو بالممكن أو في الممكن ممكن .

الواجب لذاته عزّ وجلّ هو الشيء

وأما الواجب لذاته عزّ وجلّ وتقدس^(١) مما سواه فلأنه هو الشيء لا سواه وجميع ما يدخل في مطلق الاحتمال والفرض والإمكان والتجويز والتصور وغير ذلك ، فإنه سواه وكل ما سواه خلقه تعالى أحدث بعضه لبعض ولا يجري عليه ما هو أجراه فلا يمكن تصور الممتنع ولا فرضه إذ ليس شيئاً ، ولا تصور^(٢) الواجب ولا فرضه لما أشرنا إليه من أن التصور والفرض والاحتمال وما أشبهها إنما يعقل في الممكن .

قلت : ففي الحقيقة لا يتحقق القاسر إلاّ بقلب الشيء إلى غير ما يقتضيه من ذات أو صفة وهو مما يمكن له فهو مطاوع فلا قلب فلا امتناع في الإمكان فلا قسر ولا إمكان في الواجب ولا في المستحيل ، فالشيء الذي هو الشيء لا سواه لا إمكان فيه ولا

(١) في نسخة : تقدس .

(٢) في نسخة أخرى : ولا يتصور .

رجحان لا يمنع النقيض بل هو وجوب بحث والمستحيل الذي هو لا شيء بكلّ اعتبار لا إمكان فيه فافهم هذه العبارات المكررة المرادة للتفهم .

أقول : يعني أنّ القاسر بالمعنى المذكور في الحقيقة غير متحقق إذ لا يتحقق إلا إذا كان بقلب الشيء إلى غير ما يقتضيه مطلقاً لا بالفعل ولا بالقوة من ذات أو صفة ، فلو قلبه إلى غير ما يقتضيه ، فإن قبل القلب فهو مما يمكن له وفي قلبه إلى ما يمكن له فهو مطاوع ، وإذا كان مطاوعاً فلا قلب ولا قسر وإن لم يقبل القلب لم يكن قسر فلا قسر ولا إمكان في الواجب ولا في المستحيل ، فالشيء الذي هو الشيء لا سواه هو الواجب عزّ وجلّ وهو خالق الإمكان والرجحان ، فلا يجري عليه الإمكان ولا الرجحان الذي لا يمنع النقيض ، وأما الرجحان الذي يمنع النقيض فهو الواجب البحث والمستحيل الذي هو لا شيء بكلّ اعتبار ، أي سواء اعتبرت شيئاً خارجية أم واقعية أم ذهنية أم إمكانية أم وهمية أم غير ذلك مما يعتبره معتبر لا إمكان فيه فلا يعتبر بحال .

الفائدة التاسعة

كل شيء لا يدرك ما وراء مبدئه

الفائدة التاسعة

كل شيء لا يدرك ما وراء مبدئه

قلت : الفائدة التاسعة : كل شيء لا يدرك ما وراء مبدئه ، لأن الإدراك إن كان بالفؤاد فهو أعلى مراتب الذات وأول جزئها وأعلاهما وأشرفهما وليس له وراء ذلك ذكر في حال فلا يجد نفسه هناك ولا يجده غيره إذ أول وجدانه ذلك الإدراك وإن كان بالعقل والنفس والحس المشترك وبالحواس الظاهرة فهي بجميع إدراكاتها ومدركاتها دون ذلك فلا يدرك الشيء ما وراء كونه فإذا تصوّر شيئاً بغير الفؤاد أدرك ما وراءه أي أن وراءه شيئاً يدركه ، فإذا أدرك ذلك الأعلى أدرك وراءه شيئاً وهكذا لا يقف على حدّ لا يجد وراءه شيئاً .

أقول : في هذه الفائدة ابتدأناها بالإشارة إلى أن الإدراك بالفؤاد الذي هو أعلى مراتب الذات فعل ذاتي له فلا يدرك ما يكون أعلى منه ، إذ لا يميل الشيء إلى أعلى مما هو له أو منه ، وإنما قلت : إذ لا يميل الشيء ، إلخ ، لأن قولي فعل ذاتي له ، أريد به ميل الذات إلى وجهها من مبدئها وهذا الميل ليس ميلاً

فعلياً ، لأن الأول من القابلية التي هي جزء الماهية والميل الفعلي تأثير الذات بفعالها فيما دونها والميل الفعلي لا يساوي الذات بل ينحط عنها والميل الذاتي يساويها ، ولهذا قال عليه السلام : (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(١) ومعنى معرفة نفسه أنه يدرك نفسه بها لا بشيء غيرها وذلك هو الفعل الذاتي ويكون الشيء بهذا الإدراك مدركاً لنفسه لكنه لا يدرك به ما هو فوقها وإلا لكان الشيء أعلى من نفسه ولكان موجوداً في إدراكه قبل أن يكون موجوداً هذا خلف فكل شيء لا يدرك ما وراء مبدئه ، لأن الإدراك إن كان بالفؤاد الذي هو أعلى مراتب الشيء أي بالذات أدرك نفسه ولم يدرك ما فوق نفسه إذ ليس فوق نفسه شيء منه ليميل إلى ما منه فلو نظر ما وراءه أي ما فوقه لم يجد نفسه فلا نظر هناك ولا يجده^(٢) غيره ممن يكون أعلى منه ، وإنما يجده من هو أعلى منه في الرتبة التي كان فيها شيئاً ، لأن أول وجوده أول وجدانه وفوقها ليس واجداً ولا موجوداً ، وذلك لأن الفؤاد عبارة عن الوجود الأولي^(٣) الذي هو مادته النوعية التي تؤخذ منها حصة

(١) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ - ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائة - البحث الروائي .

(٢) في نسخة أخرى : يجد .

(٣) في نسخة أخرى : الأول .

للشيء وتضاف إليها صورته المشخصة له التي بها هو هو فالحصة هو فؤاده وهو نور الله في قوله عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)^(١) ، وهو حقيقة^(٢) من فعل الله وهو وجوده وهو مادته وهو كونه ، والصورة المشخصة له هي حقيقة^(٣) من نفسه لأنها قابليته ، وإن كان الإدراك بما دون الفؤاد كالعقل والنفس والخيال والحس المشترك والحواس الظاهرة فهي بجميع إدراكاتها ومدركاتها دون الفؤاد ودون إدراكه فتدرك أنفسها وما دونها ولا تدرك ما وراء ذلك أي ما فوقها ، لأن الشيء لا يدرك ما فوق كونه أي وجوده ، فإذا تصور شيئاً بأحدهما^(٤) أي بغير الفؤاد أدرك بالفؤاد ما فوق ما أدركه بواحد منها بمعنى أنه يدرك شيئاً فوقه كما لو أدرك بعقله شيئاً أدرك بفؤاده أن فوق العقل شيئاً ، وأدرك أيضاً بفؤاده أن ما أدركه بعقله فوقه شيء وأدرك أن وراء هذا الأعلى شيئاً ، وهكذا حتى يدرك فؤاده وينقطع السير حتى أنه لو كان الإدراك بما هو دون الفؤاد وجد مدركات بعضها فوق بعض بلا نهاية ولا غاية حتى يكون الإدراك بالفؤاد لأعلى مراتبه الذي هو نور الله تعالى فيستدير وينقطع السير .

(١) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٧ / ١٥ ح

٢٢٤٣ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ .

(٢ - ٣) في نسخة أخرى : حقيقته .

(٤) في نسخة أخرى : بأحدها .

قلت : وهذه حروف نفسه ومراتبها وتلك الحروف والمراتب لا تتناهاها نفسه أي لا تقف على حدّ لا تتوهم إلاّ قبل له فهي لا تفقد نفسها في تلك المراتب .

أقول : وهذه المراتب التي تقع عليها وفيها إدراكات مشاعره وحروف نفسه إذ كانت نفسه كلمة لكلمته تعالى ، يعني أنّ نفسه مجموع تلك الأطوار وكلما وصلت إلى رتبة كانت أعلى نفسه ، وكانت الأولى التي كانت أعلاها متأخرة عن علوّها ، مثل الجدار المبني فإن أعلاه أرفع ما فيه ، فإذا بنيت عليه كان الأعلى^(١) أولاً وسطاً للجدار وكان اللاحق أعلاه وهكذا ، فهذه الأطوار جزء ذاته وحروفاتها^(٢) .

ترقي الإمكان في سير كماله نحو الحق

واعلم بأن الإنسان نزل من مكان عال في الإمكان ، وهو الآن عائد إليه فهو يترقى بلا نهاية في سيره إلى مبدئه الحادث الممكن الذي كان في رتبة ذات الحق عزّ وجلّ ممتنع الوجود عدماً محضاً لا ذكر له ولا رسم ولا اسم ، ولكنه مع هذا كلّه لا يقف في صعوده إلى مبدئه على حدّ لا سير فيه لأنه محدث لا من شيء قد كونه الله

(١) في نسخة أخرى : كان الأعلى .

(٢) في نسخة أخرى : أجزاء ذاته وحروفها .

عزَّ وجلَّ واخترعه بفعله ولم يكن له قبل أن يخلقه بفعله ذكر ولا وجود إلا في رتبة إمكانه الذي أمكنه بمشيته الإمكانية .

وأما قبل الإمكان فلا ذكر له في وجود ولا في علم ولا في حال من الأحوال فلما اخترعه لا من شيء كان مبدأ إمكانه من مشيته الإمكانية ومبدأ كونه من مشيته الكونية بعد المبدأ الإمكانية والمبدأ الكوني مع أنه مسبق بالمبدأ الإمكانية المسبق بفعل الله تعالى لا نهاية له سبحانه من أحدث ما لا نهاية له .

وقولي : (لا نهاية له) ، أعني به أنه كذلك في الإمكان وإلا فهو متناه إلى فعل الله ، والفعل محدث أحدثه الله بنفسه فهو متناه فإنه عند الله سبحانه ، قال عليه السلام : (يا من هو قبل كل شيء يا من هو بعد كل شيء)^(١) ، والإنسان يسير صاعداً إلى مبدئه الكوني وهو لا ينتهي في الأكوان ولا يصل إلى مبدئه أبداً .

والإشارة إلى بيان ذلك للمؤمنين الممتحنين قلوبهم أن الإنسان خلقه الله والمخلوق محتاج في كونه وبقائه إلى المدد لا غنى له في حال من الأحوال بل يحتاج في بقاءه إلى المدد ، وهو سبحانه يمدّه مما هو حادث ممكن ولا يمدّه مما ليس له ولا مما هو فوق مبدأ كونه وهويته التي إليها معاده ، وليس لهذا الإمداد غاية ولا نهاية وإلا لفني واضمحل ، وقد دلت الأدلة القطعية

(١) بحار الأنوار : ٩١ / ٣٨٦ .

الضرورية من العقلية والنقلية بأنه باق أبد الأبدين ولا يعرض له فناء أبداً ولا بقاء له إلا بذلك المدد ، والمدد حادث لا يجوز أن يكون مما هو فوق مبدأ كونه وهويته التي لم يكن له ذكر قبلها ولا مما ليس له ، فقد ثبت عند من ثبت على الإيمان الموصوف بالامتحان أن الإنسان عائد إلى مبدئه ولا يتجاوزه ولا يقف في سيره ولا يفنى ولا يستغني عن المدد في بقائه ، وأنه مع ذلك كله حادث بفعل الله سبحانه وأنه قبل أن يخلقه الله لم يكن لمبدئه الذي لم يصل إليه ولم يقف فيه ولا يتجاوزه ولا له قبل أن يجعله ممكناً في الإمكان ذكر لا في إمكان ولا في علم ، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (١) .

ولا تتوهم من كلامي أنني قائل بقدم شيء مما سوى الله أو يلزم من كلامي شيء من ذلك حيث إنني قلت : إن سير الإنسان لا ينتهي إلى حدّ ، فإن صاحب الشريعة أخبر تبعاً لما أنزل الله تعالى إليه صلى الله عليه وآله أن أهل الجنة خالدون فيها أبداً بلا نهاية ، وأن أهل النار خالدون فيها أبداً بلا نهاية ، وأن الموت يؤتى به في صورة كبش أملح ويذبح بين الجنة والنار وينادي مناد بأمر الله عزّ وجلّ : (يا أهل الجنة خلودوا ولا موت ويا أهل النار خلودوا ولا موت) (٢) .

(١) سورة مريم ، الآية : ٦٧ .

(٢) في تفسير علي بن إبراهيم حدّثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي ولاد =

على أنني بينت لك أن الله سبحانه خلق ما لا يتناهى بعد أن لم يكن وما ذلك على الله بعزيز .

وجود الحدوث الذاتي والحدوث الزماني

وأما قول من أنكر الحدوث الذاتي وحصره في الزماني فهو ممن قال الله سبحانه : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾^(١) مع أنّ الحكماء من المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على قاعدتين بل لا يختلف فيهما اثنان من العقلاء وهما أن كلّ ما له أول فله آخر وأن ما سبقه العدم لحقه العدم ، وهذا مما لا إشكال فيه عند من عرف ما أشرت إليه وإلا فالإشكال لازم لأنك

= الحناط عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل عن قوله : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ قال :

(ينادي مناد من عند الله عزّ وجلّ وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار : يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟ فيقولون : لا ، فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادون جميعاً اشرفوا وانظروا إلى الموت ، فيشرفون ثم يأمر الله عزّ وجلّ به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً ، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً ، وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مریم: الآية ٣٩] أي قضي على أهل الجنة بالخلود فيها ، وقضي على أهل النار بالخلود فيها) . تفسير نور الثقلين ح ٨١ ، وتفسير القمي : ٢ / ٥٠ .

(١) سورة يونس ، الآية : ٦٦ .

إذا قلت : إن الحادث له أول في الحدوث لزم أن يكون من في الجنة غير باقين لأنهم سبقهم العدم ، فيلحقهم العدم فإن قلت : إن الإنسان ليس له أول في الحدوث لزم القول بالقدم والتفصي من الإشكال وكل إشكال قد ذكرته لك فتفهم كلامي .

وأما قول من قال بأن الإنسان سبقه العدم في الحدوث والإمكان ولا يلحقه العدم فإنه جار على نمط عجيب يستعمله كثير ممن^(١) يقال إنه ليب وهو أنا لو لم نقل بهذا لزمنا إما قدم ما سوى الله أو فناء الجنة والنار وكلاهما باطل ، وهذا ليس بدليل وليس له إلى الحق سبيل ، بل ينبغي أن تقول بما هو الحق على نمط لا يلزمك شيء من ذلك ولا بطلان ما اتفق عليه العقلاء من القاعدتين ، وها أنا ذا بيّنت لك السبيل وأقمت لك عليه الدليل وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وإنما أطلت الكلام هنا ليقول من أراد الحق بالدليل ومن أراد الباطل أو الجهل بالوهم والتخيل فافهم وهذا كله مما أشرت إليه هو معنى قولي : لا تتناهى^(٢) نفسه أي لا تستطيع أن تحصيها لأنها لا تقف في سيرها على حدّ لا تتوهم أن ليس وراء ذلك شيء بحيث ينقطع السير ولهذا تراها لا تفقد نفسها في تلك المراتب لأنها ما دامت تدرك غيرها فهي واجدة نفسها .

(١) في نسخة : مما .

(٢) في نسخة أخرى : لا تتناهاها .

النفس وتجردها

قلت : فإذا رأت ذاتها بذاتها أي نظرت بفؤادها انقطع وجودها وتناهى كونها إذ ذاك لأنها نظرت من مثل سم الإبرة فاستدارت على نفسها . قال الشاعر :

قَدْ ضَلَّتْ^(١) النُّقْطَةُ فِي الدَّائِرَةِ وَلَمْ تَزَلْ فِي ذَاتِهَا حَائِرَةً^(٢)

الخ . قال عليه السلام : (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٣) .

وقال عليه السلام لكميل : (محو الموهوم وصحو المعلوم)^(٤) .

(١) في نسخة : طاشت .

(٢) مشارق أنوار اليقين : ٢٩٧ .

(٣) شرح أصول الكافي : ٢٣ / ٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار :

٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير

الميزان : ٦ / ١٧١ - ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة - البحث الروائي .

(٤) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ٦٦ . وتمام الحديث : قال كميل بن زياد لعلي

عليه السلام : ما الحقيقة ؟ قال : (ما لك والحقيقة ؟) قال : أو لست صاحب

سرك ؟ قال : (بلى ! ولكن يرشح عليك ما يطفح مني !) قال : أو مثلك يُخَيَّب

سائلاً ؟ قال : (الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة) . قال : زدني

فيه بياناً . قال : (محو الموهوم مع صحو المعلوم) . قال : زدني فيه بياناً .

قال : (هتك الستر لغلبة السر) . قال : زدني فيه بياناً . قال : (جذب الأحديّة

بصفة التوحيد) . قال : زدني فيه بياناً . قال : (نور يشرق من صبح الأزل =

أقول : إن النفس لأجل ما قلنا لا تزال تطلب إدراك ما غاب عنها ولا تزال كلما وصلت إلى مطلوبها طلبت ما فوقه وهكذا حتى تنظر بفؤادها ، وإذا نظرت بفؤادها وجدت شيئاً بلا إشارة ولا كيف فهناك انقطع وجودها وتناهى كونها ، أي وجودها حينئذ لأنها نظرت إلى ما فوقها فيكون نظرها من مثل سم الإبرة لعظم ما فوقها وصغرها بالنسبة إليه ولا اجتماع نظرها ، ولكنها لا تدرك ما فوقها ، وإنما تدرك ما فيها منه لأنها أثر له فيجد ما تطلب مما فوقها فيها فتستدير على نفسها طلباً للدليل على ما فوقها ، فهي الدليل على ما فوقها فتغيب عن نفسها في نفسها فلا تجدها حيث تعرفها قال الشاعر وهو استشهاد على ما ذكر ومثال له :

قَد طَاشَتْ التُّقْطَةُ فِي الدَّائِرَةِ وَلَمْ تَزَلْ فِي ذَاتِهَا حَائِرَةً
مَحْجُوبَةٌ الْإِدْرَاكِ عَنْهَا بِهَا مِنْهَا لَهَا جَارِحَةٌ نَاطِرَةٌ
سَمَتْ عَلَى الْأَسْمَاءِ حَتَّى لَهَا^(١) فَوَضَّتْ الدُّنْيَا مَعَ الْآخِرَةِ

فالنقطة علّتها وهي قطب وجودها ومعنى طاشت انبسطت في غيب الدائرة بلا كيف ولا إشارة والدائرة نفسها ونظرها بفؤادها

= فتلوح على هياكل التوحيد آثاره). قال : زدني فيه بياناً . قال : (اطفئ السراج ، فقد طلع الصبح!) شرح الأسماء الحسنی : ١ / ١٣٣ ، وكتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار للآملي : ١٢٧ ، ونور البراهين : ١ / ٢٢٢ .

(١) في نسخة أخرى : حتى لقد .

المستدير على نفسه عند استدارته على علته والنقطة أيضاً نظرها إلى علتها ، فإنها نقطة تدور على قطبها فتحدث منها دائرة محيطة على القطب الذي هو العلة ، فقد طاشت النقطة ، أعني نظر الفؤاد في الدائرة الحادثة من ذلك النظر لانبساط النظر وشيوعه في هذه الدائرة التي هي استدارته على نفسه ، ولم تزل النقطة أعني نظر الفؤاد حائرة في ذاتها كناية عن استدارتها محجوبة الإدراك يعني النقطة أي النظر محجوبة الإدراك عن نفسها بها ، يعني أن نظر الفؤاد وهو النفس حجبها وجودها عن إدراك ذاتها فإذا حجبت من الوجدان وجودها وجدت نفسها وأدركتها ، وإذا حجبت نفسها حصلت لها منها عين ناظرة تبصر بها ذاتها ، وفي الحديث : (إن نبياً من أنبياء الله تعالى ناجى ربه فقال : يا رب كيف الوصول إليك ؟ فأوحى الله تعالى إليه الق نفسك وتعال إلي) (١) .

فالناظر إذا ترك نفسه وجدها ، وذلك تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَعَى ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢) سمت على الأسماء يعني أن الفؤاد الذي هو النفس التي من عرفها فقد عرف ربه ، وهو حقيقة الإنسان من ربه ، فإذا جرّدت في الوجدان عن جميع السبحات حتى عن الإشارة والكيف سمت

(١) انظر : تفسير الصراط المستقيم : ٣ / ٤٩٦ .

(٢) سورة طه ، الآيتان : ١٩ - ٢٠ .

أي ارتفعت عن رتبة جميع الأسماء لتفردها حين التجرد عن المثل حتى كانت آية للعزّ والقدس والألوهية والرحمانية والربوبية في الدنيا والآخرة وذلك لأنها إذا كشفت عنها جميع السبحات حتى الإشارة ظهرت بأية الأحدية فمن عرفها فقد عرف ربّه (١) .

والمراد من تجريدها في الوجدان عما سواها محو كلّ ما لم يكن إياها لأنه بالنسبة إليها موهوم ، فإذا محوت الموهوم صحا المعلوم ، لأن الموهوم حجاب المتوهمين عن المعلوم المحتجب بغير حجاب محجوب ، لأن الحجاب لم يضعه للذوات إلاّ لتحقيق به في أنفسها وتحقيقها في أنفسها مانع لحاظ كونها أثر فعل الله ونوراً من فعل الله ، فكانت تلك الموهومات أعني السبحات المسماة بالحجاب مثبتة بالإينية (٢) الموهومة وحاجبة للحقيقة المعلومّة أعني كونها نور الله وأثر فعله فافهم .

(١) كما في الحديث ، انظر شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراف المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ - ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة - البحث الروائي .

(٢) في نسخة أخرى : للإينية .

كيفية حصول المحو والصحو للعبد

قلت : وكلما وصل العبد إلى مقام ظهر له الجبار فيه حصل له المحو والصحو فهناك عرف ربّه ، لأنه عرف نفسه بالمحو والصحو فإذا استقام فيه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾^(١) حتى ظهر له الأثر ظهر له الجبار في مقام أعلى من الأول فيعرف فيه ربّه بحكم المحو والصحو بطور أعلى ويتبين له أن المقام الأول مقام خلق قد تعرّف له فيه به ثم تعرّف له في الأعلى قال عليه السلام : (تدلج بين يدي المدلج من خلقك)^(٢) .

أقول : فإذا كان نظره من الباب الذي أمر الله أن يؤتى منه البيوت أي بيوت توحيده وعبادته كان دائم الترقى إلى الله سبحانه ، فإذا وصل إلى مقام قد ظهر له الجبار فيه بصفة تعرّفه له ، وإنما خصّ الجبار هنا إما للحاظ العظمة وإما لكونه جابراً لما كسره الجهل بمعرفته ، فإذا وصل إلى ذلك حصل له محو المقام الأول لانحطاطه عن بساطة وحدة ما فوقه وهو الذي وصل إليه وصحا له هذا المقام العالي بقدس أعلى ووحدة^(٣) أشرف مما

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٠ .

(٢) مفتاح الفلاح للبهائي العاملي : ٢٧٧ ، وجواهر الكلام : ٧ / ٣٠ ،

والكافي : ٢ / ٥٣٨ ح ١٢ .

(٣) في نسخة : ووجده .

دونه فحصلت له معرفة بربه أعلى من معرفته الأولى ، لأنّ المقام الأوّل موهوم بالنسبة إلى الثاني والثاني معلوم بالنسبة إلى الأوّل فإذا استقام في المقام الثاني الأعلى بأن تحقق في نفسه بآثاره^(١) هذا المقام كما قال عزّ من قائل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ بالقيام بما يترتب على قولهم ربنا الله فإنه يترتب عليه أن يمثلوا أمره ويجتنبوا نهيه ليثبت يقينهم المعبر عنه بالاستقامة ، فإنّ يقين المؤمن والمنافق والكافر يرى في عمله فإذا استقام كذلك ظهر له الجبار في مقام أعلى مما قبله ، وهكذا فيعرف فيه ربه بحكم المحو لكلّ مقام يجاوزه والصحو في كلّ مقام وصل إليه أعلى عن^(٢) الأوّل بحيث يتبيّن له أن المقام الأوّل مقام خلق قد تعرّف له فيه به ثمّ تعرّف له في الأعلى ، ويظهر له أيضاً أنّ الأعلى ليس هو غاية السير إلى الله ، بل الله سبحانه يسير معه ليوصله إلى ما يريد كما قال عليه السلام : (تدلج بين يدي المدلج من خلقك)^(٣) ، والإدلاج السير آخر الليل أو مطلق السير في الليل لأنه مقام العابدين .

(١) في نسخة : بآثاره .

(٢) في نسخة أخرى : وصل إليه بطور أعلى من .

(٣) مفتاح الفلاح للبهائي العاملي : ٢٧٧ ، وجواهر الكلام : ٧ / ٣٠ .

تجلّى الجبار عزّ وجلّ لصاحب المعرفة

قلت : فإذا عرف ربّه في الأعلى بظهوره له فيه به ونظر إلى الأسفل الذي ظهر له أنه مقام خلق ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(١) وجد الله عنده فوقه حسابه والله سريع الحساب ، وهكذا أبداً يسير بلا نهاية قال تعالى في الحديث القدسي حديث الأسرار : (كلما وضعت لهم علماً رفعت لهم حلماً وليس لمحبي غاية ولا نهاية)^(٢) .

أقول : إذا عرف ربّه في المقام الأعلى وتجاوز من الأسفل بأن صعد عنه وهو الذي تبين له بعد أن تجاوزه أنه مقام خلق تجلّى له فيه الجبار عزّ وجلّ فلما تجلّى له في الأعلى ونظر إلى الأسفل حال تجليه له في الأعلى ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ﴾ أي عند

(١) سورة النور ، الآية : ٣٩ .

(٢) الحديث بالمعنى ، انظر الجواهر السنية للحر العاملي : ١٩١ ، وسرّ الأسرار في شرح حديث المعراج : ١ / ١٢ الفصل الثاني ، وبحار الأنوار : ٧٤ / ٢١ . ونصّ الحدث : (يا أحمد وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، ووجبت محبتي للمتقاعين فيّ ، ووجبت محبتي للمتواصلين فيّ ، ووجبت محبتي للمتوكلين عليّ ، وليس لمحبي غاية ولا نهاية ، كلما رفعت لهم علماً وضعت لهم حلماً ، أولئك الذين نظروا إلى المخلوقين بنظري إليهم ولا يرفعون الحوائج إلى الخلق بطونهم خفيفة من أكل الحلال يغنيهم من الدعاء ذكري ومحبتي ورضائي عنهم) .

الأسفل إذ لا يخلو منه مكان ولا وقت ولا يحويه مكان ولا وقت إذ كل شيء ظهوره فيه له لا إله إلا هو ﴿فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ﴾ أي أنه تعالى يوفي عبده العارف به حساب كل مقام وصل إليه وكل مقام تجاوز عنه صاعداً إلى ما فوقه أو نازلاً عنه إلى ما تحته ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يخاف الفوت^(١) ، وكيف يخاف الفوت من كل شيء بفعله .

ومعنى : ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أنه ألزم المقتضيات على ما تقتضيه إذا كان الاقتضاء صدقاً^(٢) وإن كان غير صدق فبنسبة ما فيه من الصدق فقد يتخلف الجزاء لنقص المقتضي وقد يكون^(٣) لمانع أقوى ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾^(٤) .

مقامات الله التي لا تعطيل لها

قلت : وهذه المشار إليها هي المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، قال الحجة عليه السلام في الإشارة إلى ذلك في دعاء

(١) قال عليه السلام : (فمن ذا الذي يعرض لك في عبدك أو يسألك عن أمره ، وقد علمت يا إلهي أنه ليس في نعمتك عجلة ولا في حكمك ظلم ، وإنما يعجل من يخاف الفوت وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك علواً كبيراً) مصباح المتهجد للطوسي : ١٩٥ ، ومفتاح الفلاح : ٢٥٦ ، ومن لا يحضره الفقيه : ١ / ٤٩١ ، ومصباح الكفعمي : ٩٥ .

(٢) في نسخة : اقتضاء صدق .

(٣) في نسخة : وقد يكون قليلاً وقد يكون .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٣ .

رجب : (ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك)^(١) الدعاء . وقال الصادق عليه السلام : (لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو نحن وهو هو ونحن نحن)^(٢) انتهى ، وهذا طريق إلى الله سبحانه لا نهاية له ولا غاية .

بيان مقامات الله تعالى التي تجلّى بها لعباده

أقول : المقامات مظاهره التي تجلّى بها لعباده وعباده في كل مكان فتجلّى بهذه المقامات في كل مكان لكل شيء من خلقه على حسب ما يحتمله وسعهم وتلك المقامات أسماء الفاعل عزّ وجلّ ، لأنّ المقام ترّكب وتقوّم من مادة فعل الفاعل وصورته فمادته حقيقته وصورته أثره ومجموعها^(٣) اسم فاعل ، ذلك الأثر

- (١) قال عليه السلام : (أسألك بما نطق فيهم من مشيتك ، فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ، ومقاماتك . . .) مصباح الكفعمي : ٢ / ٧٢ ، ومصباح المتعبد : ٨٠٣ ، وإقبال الأعمال لابن طاوس : ٣ / ٢١٤ ، والخصائص الفاطمية : ٢ / ٢٣٦ ، ومكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام للأصفهاني : ٢ / ٢٩٥ ، وكتاب اللمعة البيضاء : ٢٨ .
- (٢) الخصائص الفاطمية للكجوري : ٢ / ٢٣٧ ، واللمعة البيضاء : ٢٨ . ورواه الفيض الكاشاني بلفظ : (لنا حالات مع الله هو فيها نحن ، ونحن فيها هو ، ومع ذلك هو هو ونحن نحن) . الكلمات المكنونة للفيض الكاشاني : ١٧٥ .
- (٣) في نسخة أخرى : مجموعهما .

بفعله مثاله قائم بالنسبة إلى زيد فإنه مركب من حركة إحداث القيام ونفس القيام الذي هو الحدث والأثر فتركب منهما اسم فاعل القيام أعني زيداً حال إحداثه للقيام لا مطلقاً فقائم وقاعد وآكل وشارب ونائم وما أشبه ذلك هي مقامات زيد وعلاماته على نحو ما ذكرنا .

والقيام والقعود والأكل والشرب والنوم معاني زيد أي معاني أفعاله يعني آثارها لأنها محالّ الأفعال ومثال ذلك الحديدية المحممة بالنار ، فإنها مقامات النار وعلاماتها التي لا فرق بينها وبينها في الإحراق إلا أن الحديدية إنما تحرق بفعل النار القائم فيها فالحديدية المحممة إذا أحرقت لم تحرق وإنما أحرقت النار على حدّ قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ ^(١) لأنه صلى الله عليه وآله بمنزلة الحديدية وفعل الله الظاهر به صلى الله عليه وآله والكفعل النار الظاهر بالحديدية ، والحديدية حينئذ ركن المحرق كما أن القيام ركن القائم وكما أن محمداً صلى الله عليه وآله ^(٢) ركن المقامات والعلامات والتوحيد والآيات ، فلا تظهر المقامات والعلامات والتوحيد والآيات إلا بهم وفيهم كما لا تظهر حرارة النار إلا بالحديدية .

وكما يجوز أن تظهر النار حرارتها في غير الحديدية كالحجر

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١٧ .

(٢) في نسخة أخرى : محمداً وآله صلوات الله عليهم .

والأرض وإذا ظهرت في شيء كان محرقاً كذلك يجوز أن يظهر فعل الله في غيرهم عليهم السلام : لو شاء تعالى ويفعل ذلك الغير فعل الله كفعلهم كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ (٢) وهو سبحانه لا يفعل ذلك أبداً فلا يذهب بما أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وآله أبداً وإن كان بالنسبة إلى المشيئة ممكناً ، وهو تعالى قادر عليه ولا يظهر فعله في شيء غيرهم إلا بواسطتهم .

فإنه تعالى أظهر جميع أفعاله فيهم عليهم السلام ، ويظهر بعض وجوه بعض أفعاله فيمن شاء من خلقه بواسطتهم هكذا جرت عادته في خلقه وهكذا بدت قدرته ، وهكذا مضت كلمته ، وهكذا سبقت عنايته وهو العليم الخبير ، ومعنى : (يعرفك بها من عرفك) ، إنها هي الدليل عليه ، وهي معنى ما وصف به نفسه لنا ومعنى لا فرق بينك وبينها ، إن من عرفها فقد عرفه وأنه تعالى إنما يفعل بها ففعله لكل شيء هو فعله بها ، وهو معنى قولهم عليهم السلام : (من عرفنا فقد عرف الله ومن جهلنا فقد جهل الله ومن أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله) (٣) .

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٦ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٦٠ .

(٣) الأمالي للصدوق : ٥٦٣ ح ٧٥٨ .

قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾^(١) ومعنى (إلا أنهم عبادك وخلقك)^(٢) ، أنهم عليهم السلام مع ظاهر التساوي والاتحاد ليس لهم في شيء من ذلك أمر إلا ما أظهر من فعله فيهم ، فهو تعالى بهم عليهم السلام يفعل لأنهم محال فعله ومشيتته وإرادته وهم بفعله يفعلون كما قال تعالى : ﴿ لَا يَسْقُونَهُ بِأَلْقَوْلٍ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾^(٣) إذ لا فعل لهم لذواتهم ولا عمل إلا بفعله وأمره ومعنى فتقها ورتقها بيدك .

أي أنه إذا شاء فتقهم فيعلمون بما أوحى إليهم ويعملون بما أمرهم ، وإذا شاء تعالى شأنه رتقهم فلا يعلمون شيئاً ولا يعملون أمراً وهو معنى قولهم عليهم السلام : (يبسط لنا فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم)^(٤) ومعنى قوله عليه السلام : (بدؤها منك وعودها إليك)^(٥) ، أن بدأها من فعله يعني أثراً لفعله كما يحب ويرضى مما يحب ويرضى لما يحب ويرضى وعودها إلى ما بُدئت منه أي يعودون بما بدأوا منه مما بدأوا منه إلى ما بدأوا منه ، وهم عليهم السلام قد خلقهم بمحبته ورضاه من محبته ورضاه لمحبته

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٢) تقدم الحديث ، انظر مصباح المتهجد للطوسي : ٨٠٤ ، وإقبال الأعمال : ٣ / ٢١٤ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٧ .

(٤) بصائر الدرجات : ٥٣٣ ح ٣٢ ، والخصال للصدوق : ٥٢٨ ح ٣ .

(٥) في الدعاء المتقدم .

ورضاه ، وقول الصادق عليه السلام : (لنا مع الله حالات)^(١) إنخ ، يعني به أن لهم حالة مع الخالق وحالة مع الخلق ، فحالتهم مع الخالق كونهم محالاً لمشيئته وفعله ، فإذا هم كما مرّ مثل الحديد المحماة ، وهو في هذه الحالة هو وهم ، هم وحالتهم مع الخلق عباد مكرمون ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾^(١٩) يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ ﴿٢٠﴾^(٢) ، فالله سبحانه ذاكر بهم في الثانية ، وهم ذاكرون به^(٣) في الأولى كما أنه تعالى ذاكر بهم في الأولى وهم ذاكرون به في الثانية .

ومعنى أن هذا طريق إلى الله سبحانه لا غاية له ولا نهاية ، أنهم سائرون في عمق الإمكان بما لهم ولغيرهم والله سبحانه يسير أمامهم فهو قائدهم بعنايته وسائقهم بهدأيته (تدلج بين يدي المدلج من خلقك)^(٤) وهذا السير لا أول له في الإمكان ولا آخر له .

-
- (١) الخصائص الفاطمية للكجوري : ٢ / ٢٣٧ ، واللمعة البيضاء : ٢٨ . ورواه الفيض الكاشاني بلفظ : (لنا حالات مع الله هو فيها نحن ، ونحن فيها هو ، ومع ذلك هو هو ونحن نحن) . الكلمات المكونة للفيض الكاشاني : ١٧٥ .
- (٢) سورة الأنبياء ، الآيتان : ١٩ - ٢٠ .
- (٣) في نسخة أخرى : ذاكرون بالله .
- (٤) مفتاح الفلاح للبهائي العملي : ٢٧٧ ، وجواهر الكلام : ٧ / ٣٠ ، والكافي : ٢ / ٥٣٨ ح ١٢ .

في أن مقامات الله تعالى لعباده مظهره وصفته

قلت : ثم اعلم أن كلّ مقام ظهر الله فيه لعبده فهو مظهره وصفته وهي حروف ذات العبد لا حقيقة له غير ذلك ، لأنه سبحانه ظهر لك بك وبك احتجب عنك ولا سبيل لك إلى معرفته إلاّ بما تعرّف لك به ولم يتعرّف لك إلاّ فيك وبك ، قال علي عليه السلام في نهج البلاغة : (لا تحيط^(١) به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها)^(٢) .

أقول : كلّ مقام أعني كلّ رتبة من مراتب ظهوره ظهر الله تعالى فيه أي في ذلك المقام لعبده فهو أي ذلك المقام مظهره أي محلّ ظهور الله فيه وصفته أي صفة فعل الله ، وهي أعني تلك المقامات حروف ذات العبد أي أجزاء ذاته ، وسميت أجزاء الذات حروفاً باعتبار إطلاق الكلمة على الذات ، فإن الكلمة مؤلّفة من الحروف فهذه المراتب من الوجود مجموعها حقيقة العبد لا حقيقة له غير ذلك ، لأننا قد قدمنا أنه تعالى تعرّف لعبده ولم يتعرّف له إلاّ بذاته وهو معنى قولي ولم يتعرّف لك إلاّ فيك

(١) في بعض المصادر : (لا تحط به الأوهام) .

(٢) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤ ح ٢٦١٩ ،

والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ .

وبك احتجب عنك لأنك إذا التفت إلى إنيتك وجدت نفسك مستقلاً فلا تجد نفسك دليلاً على وجوده إلا إذا نفيت وجودك من وجدانك فرأيت نفسك أثراً لفعله ونوراً من صنعه ، فإنك حينئذ أي حين لم تجد نفسك تكون دليلاً عليه ، إذ الأثر يدل على المؤثر والنور يدل على المنير وحيث كان تعالى لا تدركه الأبصار ولا تحيط به البصائر والخواطر والأفكار ، لأن الأدوات إنما تحدّ أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها^(١) كان عزّ وجلّ لا يعرف إلا بما تعرّف به ووصف نفسه به ولا سبيل إلى معرفته إلا من هذا الطريق وهو ما وصف به نفسه ، وإلى ما ذكرنا أشار سيد الوصيين

(١) نهج البلاغة : ١ / ١٢ رقم ١٨٦ ، والاحتجاج : ١ / ٢٩٩ ، وتوحيد الصدوق : ٣٩ ح ٢ باب التوحيد ونفي التشبيه ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ضمن خطبة له ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٧ ورواه عن الإمام الرضا عليه السلام ، وتحف العقول : ٦٦ ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وانظر بحار الأنوار : ٥٤ / ٤٤ ح ١٦ . ولفظه في التوحيد عن علي عليه السلام : (. . له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية ، كيف ولا تغيّبه مذ ولا تدنيه قد ولا تحجبه لعل ولا توقته متى ، ولا تشمله حين ولا تقارنه مع ، إنما تحدّ الأدوات أنفسها وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها ، منعتها منذ القدمة وحمتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة . .) . ولفظه في الاحتجاج وشرح المشاعر : (. . وتشير الآلات إلى نظائرها) .

عليه السلام : كما رواه في النهج : (لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها)^(١) .

ومعنى (تجلّى لها بها) ما قلنا سابقاً أنه لا يتجلّى بذاته إذ لا تختلف عليه أمور حالاته بل هو على حال لا يحول عنها في جميع الأحوال ، وإنما يتجلّى بأفعاله وبآثارها لأفعاله ولآثارها وهو معنى (تجلّى لها بها) فكنت أنت نفس تجلّيه لك بك ومعنى وبها امتنع [منها]^(٢) أي احتجب منها كما قلنا إنها إذا التفتت [إلى]^(٣) نفسها لم تجد في نفسها أثراً ولا نوراً ، وإنما تراها قائمة مستقلة فلا تدرك إلا نفسها فإذا كشفت ظاهرها ونظرت إلى حقيقتها وجدت حقيقتها نقشاً فهوائياً وخطاباً شفاهياً فاحتجب عنها بها حيث نظرت إلى نفسها وتجلّى لها بها حيث وجدت نفسها نقشاً فهوائياً وخطاباً شفاهياً فعرفته بصفته التي تعرف لها بها

(١) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤ ح ٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأتوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للدليمي : ٦٧ . قال عليه السلام : (واحد لا بعدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضره ، لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ، ليس بذئ كبير امتدت به النهايات فكبرته تجسيمياً ، ولا بذئ عظم تناهت به الغايات فعظّمته تجسيدا ، بل كبير شأناً وعظم سلطاناً) .

(٢) زيادة من نسخة أخرى .

(٣) زيادة من نسخة أخرى .

وهي حقيقتها منه أعني كونها أثراً ونوراً وخطاباً ، ومعنى واليها حاكمها ، أنه عزّ وجلّ يستشهدها على نفسها هل هي إلا أثره ونوره فتشهد له أنه لا إله إلا هو لا يرى فيها نور إلا نوره ، ولا يسمع فيها صوت إلا صوته ، ولا يعرف شيء إلا أثره يعني لا يرى إلا نور فعله وصنعه ، ولا يسمع إلا صوت فعله وصرير قلم إيجاده ولا يعرف إلا أثره لانحصار ما سوى الله في أثر فعله تعالى .

قلت : ثم اعلم أن المتجلي نقطة يدور عليها التجلي فهو كرة مجوفة لفعل التجلي وفي الإنجيل : (أيها الإنسان اعرف نفسك تعرف ربك ظاهره للفناء وباطنك أنا) (١) .

في بيان المتجلي وفعله بالتجلي

أقول : اعلم أن المتجلي أعني العلة نقطة واقفة ساكنة أي قائمة بنفسها يدور عليها التجلي الذي هو كرة مجوفة لفعل التجلي ، يعني أنّ التجلي الذي هو الأثر وهو المفعول كرة مجوفة ، لأن علتها في باطنها ، فلذا كانت مجوفة لفعل التجلي وفعل مضاف إلى التجلي وهو مفعوله ، والمعنى أن المتجلي الذي هو الفاعل الذي هو في الحقيقة باطن كل شيء وخارج عن كل

(١) مشارق أنوار اليقين : ٢٩٧ .

شيء جعل التجلي الذي هو مفعوله يدور على فعله أي فعل المتجلي للتجلي ، فيكون الفعل هو باطن المفعول والمفعول يدور عليه ، فالفعل نقطة ساكنة والمفعول نقطة دائرة عليها إلى كل جهة ، فلذا كانت كرة ولم تكن دائرة ، وهذا معنى ما في الإنجيل : (باطنك أنا) أي فعلي (وظاهره للفناء) يعني يعدم فإذا عدم وأراد إعادته أحدثه منه أي من الفعل كما أحدثه من قبل قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (١) .

قلت : فلجميع الخلق استدارة على فعل الله سبحانه واحدة كرية فكل الخلق كرة واحدة مجوفة تدور على نقطة هي فعله تعالى ، وأصول الخلق كرات مجوفة كذلك كل أصل كرة تامة تدور على نقطة هي وجه ذلك الأصل من المشيئة ولا تدور على محور ، لأن الاستدارة على المحور تحدث من أجزاء الكرة دوائر لا كرات فتكون الاستدارة إلى جهة فلا تكون العلة محيطة بالمعلول ، ولا تساوي الأجزاء المتساوية في الرتبة إلى منتصف المحور الذي هو النقطة إليها ، لأن ما كان من الأجزاء في جهتي القطبين للمحور لا تدور على النقطة ووجه الكرة من علتها ليس محورا مستطيلاً بل نقطة .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩ .

في بيان تساوي الخلق في الاستدارة

أقول : لجميع الخلق استدارة واحدة كريمة على فعل الله سبحانه لتساويها في الافتقار إليه ولتساوي نسبه إليها ولقوله تعالى : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَّسٍ وَاحِدَةً ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ ﴾^(٢) ولما ورد في كيفية الحساب يوم القيامة وأنه تعالى يخاطبهم بلسان واحد يقع على كل شخص بلغته ومثله ما قاله تعالى : ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ نَدَعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ^(٣) فإن كل واحد ينظر في كتابه ويقرأ ولي الله كتابه أي كتاب الله الناطق فيكون بلسان واحد ولفظ واحد طبق كل كتاب من كتبهم لا يخالف حرف منه حرفاً منها ، والأصل في ذلك أن الفعل أي الإيجاد انبسط على أول الخلق وآخره وظاهره وباطنه وجوهره وعرضه وعينه ومعناه وموصوفه وصفته فتختلف الأشياء باختلاف قوابلها ، وتتقدم وتتأخر باختلاف أوقاتها وتكبر وتصغر باختلاف كمها .

فالفعل متساوٍ بالنسبة إلى كل فرد فرد وجزء جزء وإن تعاقبت

(١) سورة لقمان ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة القمر ، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة الجاثية ، الآيتان : ٢٨ - ٢٩ .

رؤوس التعلقات فالفعل واحد والمصنوع باعتبار الجملة واحد ،
 فبهذا الاعتبار يعني مطلق افتقارها إليه للجميع دورة واحدة عليه ثم
 أصول الخلق كالعقل الكلي والنفس الكلية وغيرهما من الأفلاك
 الغيبية المجردة ، كأفلاك الشهادة كفلك زحل و فلك المشتري
 والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، وكالعناصر كلها
 كرات كل واحد منها كرة مجوّفة تدور على أصلها ووجهها من
 المشيئة ، فلكل واحد استدارة يختص بها ، واستدارة يشارك فيها
 غيره وكل جزئي من كل واحد أو جزء فله استدارة على وجهه
 الخاص به ، واستدارة يشارك فيها غيره من مثله في كليه ،
 واستدارة يشارك بها كليه أو كله ، واستدارة يشارك بها جزئيه أو
 جزءه ، وهكذا كل كلي أو كل وكل جزئي أو جزء ولا يدور شيء
 من هذه المذكورات في دورانه على علته على محور لأنه يدور
 عليها لا إلى جهة ، والاستدارة على محور استدارة إلى جهة ولو
 استدار على محور حدثت من أجزائه دوائر لا كرات كما هو شأن
 الاستدارة على جهة ولا تكون العلة محيطة بالمعلول ، ولتعددت
 العلل يعدد أجزاء المعلول فيختص كل معلول من أجزاء الشيء
 بعلته من غير مشاركة الآخر له فيلزم استقلال كل جزء وانفراده عن
 الآخر وتكون الأجزاء المتساوية في الرتبة غير متساوية إلى منتصف
 المحور الذي هو النقطة العلية ، لأن ما كان من الأجزاء في جهة
 القطبين للمحور لا تدور على النقطة التي في منتصف المحور .

ولهذا كانت دوائر صغاراً ولو كانت تدور على النقطة التي هي منتصف المحور لكانت عظاماً ، ولما تحقق محور قَط ، وللزم أن تكون استدارتها على النقطة لا إلى جهة كما هو مقتضى الحاجة المطلقة فيكون كرة ، ووجه الكرة لا يصح أن يكون محوراً مستطيلاً لأنه إذا كان مستطيلاً اختلفت جهات أجزاء الشيء الواحد ، فيكون كلّ جزء له قطب غير قطب الآخر وتتعدّد العلل وتتعدّد المعلولات .

بيان الاستدارة على فعل الله سبحانه

قلت : والأصل الثاني يدور على الأول لأنه للثاني نقطة ويدور على نقطة الأول فله استدارتان ذاتية تدور على نقطة الأصل الأول ، وعرضية تدور على الأول إذا كان مترتباً عليه وإلا فعلى جهة لوازمه من وضع وإضافة وغيرهما ، وهما استدارة واحدة بلحاظ وحدة الدائر ، ولهذا كان أبطأ من الأصل الأول كاستدارة الكوكب على قطب تدويره واستدارته على قطب الخارج المركز ، فإن استدارته في التدوير على نفسه ، فهي عرضية بالنسبة إلى تحققه وأصلته واستدارته على قطب الخارج المركز ذاتية ، لأنها وجهه إلى أصل تحققه ، لأن هذه أصل لاستدارته على تدويره فائضة عنها متفرعة عليها .

أقول : إن الأصل الثاني كالعقل الكلي يدور على الأول أعني به الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، لأن الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله للعقل نقطة أي علة ويدور عليها بالعرض ، لأن استدارته على الفعل ذاتية لقيام العقل^(١) به قيام صدور واستدارته على الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله عرضية لأنها وإن تقوّم بها تقوّمأ ركنياً وتحققياً إلا أنها عرضية لأنها أثر للفعل وتأکید له فهو أشد منها ، فتكون نسبة افتقار العقل إلى الفعل أحق وأسبق من افتقاره إلى الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ، فإذا نسبنا^(٢) كان ما إلى الفعل ذاتياً وما إلى الحقيقة عرضياً ، لأن الحقيقة علة مادية للعقل الكلي والفعل علة فاعلية وعلة للعة المادية .

قلت : وإنما كانت استدارة الثاني بطيئة أيضاً لحصول الكثرة فيها وكلما كثرت الوسائط كثرت الاستدارات وكان أبطأ وتترتب العرضيات في القوة والضعف فما قرب من الدائرة كان أضعف والذاتية أبداً واحدة .

أقول : وكلما كان أبسط كان أسرع في حركته القابلية الانفعالية وكلما كان أكثر تركيباً أو اجتماعاً وتأليفاً كان أبطأ ،

(١) في نسخة : الفعل .

(٢) في نسخة أخرى : سبا .

وإنما كانت استدارة الأصل الثاني بطيئة لأجل حصول الكثرة فيها التي تحصل بها الاستدارات الكثيرة وكثرة الاستدارات لكثرة الوسائط ، لأن المتأخر له على ما تقدم عليه دورات لكل واحد استدارة وكلها عرضيات إضافية إلى أن ينتهي إلى الاستدارة على علة العلل وقطب الأقطاب فتكون استدارته عليها ذاتية ، وكلما قرب منها كانت عرضيتها أقوى مما تحتها وكلما قرب من الدائرة كانت أضعف لما قلنا من أنها في الأعلى استدارة على العلة وفي الأسفل استدارة على المعلول ، وإن كان المعلول علة لما تحته فإن ما فوقه علة له ولما تحته فالاستدارة عليها أقوى فهي عرضيات متفاوتة في الشدة والضعف بنسبة القرب من العلة والبعد عنها ، والذاتية التي ليست عرضية أصلاً واحدة ، ولو أطلق على الدورات المتوسطة الذاتية باعتبار ما تحتها والعرضية باعتبار ما فوقها لم يكن به بأس إلا أنه على جهة المجاز ، فافهم .

قلت : وهكذا حكم كل أصل وفروع ذلك الأصل هذا الحكم كل فرع كرة واحدة له دورات دورة على أصله ، وعلى كل ما سبقه دورة ، وعلى القطب الأول كذلك ، وقس عليه كل شيء بنسبة حال ذاته وعوارضها ، فكل عالم كرة وكل نوع كرة وكل صنف كرة وكل شخص كرة وكل جزء كرة .

أقول : يعني أن كل أصل من الأصول الكلية الإضافية

والجزئية الإضافية نسبتها في الاستدارات على عللها وأصولها كنسبة الكليات والجزئيات فيما مثلنا به ، وهو معنى قولنا : وقس عليه كلّ شيء بنسبة حال ذاته وعوارضها . والفرع يدور على أصله وفرعه يدور عليه ، كما أن الأصل يدور على أصله إذ النسبة واحدة ، فكلّ عالم كرة واحدة ، وكل نوع منه أي من ذلك العالم كرة واحدة ، وكل صنف من ذلك النوع كرة واحدة ، وكل شخص من ذلك النوع كرة واحدة ، وكل جزء من أجزاء تلك الأشخاص كرة واحدة وهكذا ، وحكم دورة كلّ جزء منفرداً ومنضماً إلى غيره في الدورة حكم ما تقدم من الإسراع والإبطاء والذاتية والعرضية .

بيان الأرواح وتآلفها

قلت : وهكذا أحكامها في الأوضاع والتضاييف والنسب كلها في التساوي والتعارف والتناكر إلا أنها في التناكر تدور على التعاكس هكذا : **㊦** وفي التعارف على جهة التواجد هكذا : **㊧** وفي التساوي على جهة المماثلة هكذا : **㊨** ، وأما في التغاير في الذات وحدها فهكذا : **㊩** وفي الصفات وحدها هكذا : **㊪** وفيهما معاً هو التناكر كما مرّ ، قال عليه

السلام : (الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) (١) .

أقول : وأحكام الأصول والفروع الكليات والجزئيات في الإسراع والإبطاء في الاستدارات العرضية والذاتية بالنسبة إلى أحكامها في الأوضاع والتضاييف والنسب .

أما الأوضاع فجمع وضع أعني التحيز أو ترتب بعض الأجزاء إلى بعضها أو إلى البعض الخارجي .

وأما التضاييف كالأمر المتساوقة في الوجود أو الظهور كالأبوّة والبنوّة وكزوجية الأربعة وكإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل وكوجود الرطوبة من نكاح الحرارة للبرودة ووجود اليبوسة من نكاح البرودة للحرارة وكحمرة الزنجفر من الكبريت والزيبق وكسواد المداد من الزاج والعفص وما أشبه ذلك ، فإن لكل واحد من الاثنين استدارة على الآخر إما فعلية وانفعالية أو فاعلية ومفعولية أو ظهورية وركنية أو فاعلية باعتبار مفعولية باعتبار أو استدارة تميم وتكميل أو استدارة توليد وما أشبه ذلك ، وأما النسب فكالتقييد بالحيثيات والاعتبارات فإن لكل منهما استدارة حيثية أو اعتبارية والنسب كلها تنحصر في نسبة التساوي أي

(١) الأمالي للصدوق : ٢٠٩ ح ٢٣٢ ، ومن لا يحضره الفقيه : ٤ / ٣٨٠

التمائل وهو لا يقتضي تساوي الاستدارتين في الإسراع والإبطاء وإن تساويا^(١) في العرضية والذاتية وفي نسبة التعارف وهو لا يقتضي التساوي في الإسراع والإبطاء ولا في عدد العرضية وفي نسبة التناكر .

وهو أيضاً كالتعارف في عدم اقتضاء التساوي في الإسراع والإبطاء وعدد العرضية إلا أن الأكثر في التعارف والتناكر التساوي بين المتعارفين والمتناكرين في جهة التعارف والتناكر وإذا وقع بينهما التعارف أو^(٢) التناكر في غير جهتهما فذلك من جهة الماهية الطاغية ، إلا أنها أعني ذوات الاستدارات من الكليات والجزئيات الأصول والفروع في صورة التناكر تختلف استدارتها اختلافاً كلياً فتدور على التعاكس يعني أحدهما يخالف باستدارته استدارة الآخر وصورة استدارتهما هكذا **CC** فإذا ابتدأ أحدهما في الاستدارة من الطرف الأعلى مثلاً إلى جهة اليمين ابتدأ الآخر في الاستدارة من الطرف الأسفل إلى جهة الشمال ، وهذا إذا كان أحدهما من أصحاب اليمين والآخر من أصحاب الشمال وأما إن كانا معاً من أصحاب اليمين إذا ابتدأ إحدهما في الاستدارة من الطرف الأعلى إلى جهة اليمين ابتدأ الآخر من الطرف الأعلى إلى جهة الشمال ، وإن كانا من

(١) في نسخة أخرى : تساوتا .

(٢) في نسخة : و .

أصحاب الشمال معاً إذا ابتداء أحدهما من الطرف الأسفل إلى جهة اليمين ابتداء الآخر من الطرف الأسفل إلى جهة الشمال ، ولا يدور أصحاب اليمين من الطرف الأسفل إلا حال معصيته بما فيه من اللطخ ، ولا يدور أصحاب الشمال من الطرف الأعلى إلا حال طاعته بما فيه من اللطخ ، وفي صورة التعارف على عكس ما ذكرنا في التناكر لتوافقهما في ذاتيهما وصفاتيهما بعكس التناكر وصورة استدارتهما هكذا : **⌋** فإذا ابتداء أحدهما في الاستدارة من الطرف الأعلى إلى جهة اليمين ابتداء الآخر من الطرف الأعلى إلى جهة اليمين ، ولا يلزم تناف إذا ابتداء كل منهما من اليمين حيث إنهما مع التعارف متقابلان فإذا كان في التقابل يمين كل منهما إلى جهة يسار الآخر يكون ابتداء استدارة أحدهما إلى جهة انتهاء استدارة الآخر فيوهم ذلك أنه تناكر ، مع أنه من التوافق لجريان الاستدارتين معاً على جهة اليمين فلا تنافي بينهما ، وكذلك لو كان المتعارفان من أصحاب الشمال ، فإنه إذا ابتداء أحدهما في الاستدارة من الطرف الأسفل إلى جهة الشمال ابتداء الآخر من الطرف الأسفل إلى جهة الشمال ولا تنافي بينهما كما قلنا في أصحاب اليمين ، وفي صورة التساوي في أصحاب اليمين وأصحاب الشمال على جهة المماثلة وإن اختلفت رتبتهما ، إذ قد يختلفان في الرتبة وفي الإسراع والإبطاء وفي عدد العرضيات وصورة استدارتهما ، هكذا (|) ويكونان من أصحاب اليمين

ويبتدئان بالأعلى على اليمين ، ومن أصحاب الشمال ويبتدئان من الأسفل على الشمال ، وقد يختلفان ببعض دواعي اللطخ ، وحينئذ قد يختلفان في الابتداء وفي التوجه وفي الإسراع والإبطاء ، وأما التغير في الذات وحدها وهو التناكر في الذوات والتعارف في الصفات إلا أنه بوجه من التناكر والتعارف ، ولذا عبّرت عنه بالتغير ورسمت صورة استدارتيهما الذاتيتين^(١) على غير صفة استدارة التناكر أو التعارف فقلت صورة استدارتيهما هكذا : **UN** ، وما في الفوق ذاتي وهو : **UN** ، وما في التحت صفتي لكن الذات أعلى منها **UN** وصورة استدارة الصفات على التعارف والذات على التغير هكذا : **UN** وبالعكس هكذا : **UN** فكانت صورة استدارة الصفات كصورة استدارة التساوي ، وأما في الذوات فليست كالتعارف ليتقابلان^(٢) بالوجوه ولا كالتناكر فيتقابلان بظهورهما ولا كالتساوي فتقابل وجوههما جهة واحدة بل على حالة مغايرة للثلاثة **UN** .

وهذا النوع قد لا يتنافيان في جهة الذوات وإن كان قليلاً لأجل ملاءمة الصفات وقد يتنافيان في الصفات قليلاً لأجل تنافي الذوات ، وقد يتعارفان وقد يتناكران ، وهذا كله موجب

(١) في نسخة أخرى : الذاتيين .

(٢) في نسخة : ليتقابلا .

للاختلاف في الإسراع والإبطاء وفي عدد العرضيات ومثل هذا في جميع ما ينسب إليه حكم التغير في الصفات وحدها وصورتها هكذا **ꞢꞢ** وإن اختلف التغيران شدةً وضعفاً فإن التغير في الذات أقوى وأشدّ من التغير في الصفات والتغير في الذات والصفات هو التناكر ، كما أن التساوي في الذات والصفات هو التعارف وقوله عليه السلام : (الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) (١) .

يعني أنّ الأرواح عساكر جمعتها العناية الإلهية بدواعي طبائعها فما تعارف منها بأن كان في عالم الأظلة وفي الورق الأخضر وعالم الدرّ ظلّ المتعارف وورقته مقابلاً بوجهه لظل من تعارف معه وورقته ائتلف في هذه الدنيا ، لأن ورقة كلّ واحد منهما في غصن واحد متقابلان بوجوههما ، وكذلك المتناكران ، وأما المتساويان فقد يكونان في غصن وقد يكونان في غصنين ، وأما المتغيران في الذوات خاصة فكلّ واحد في غصن وظله قد يكون مع ظل مغايره في غصن وقد يكون في غصنين ، وأما المتغيران في الصفات فهما في غصن واحد غالباً وقد يكونان في غصنين وصفاتهما في غصنين فافهم .

(١) الأمالي للصدوق : ٢٠٩ ح ٢٣٢ ، ومن لا يحضره الفقيه : ٤ / ٣٨٠

قلت : ومعنى تعارف ينظر أحدهما في وجه صاحبه ، ومعنى تناكر ظهره إلى ظهر صاحبه ، والمساواة من التعارف في التبعية والمغايرة أحوال ، وانظر إلى تمثيل الأشكال .

وَلِكُلِّ رَأَيْتُ مِنْهُمْ مَقًا

مَا شَرَحَهُ فِي الْكِتَابِ مِمَّا يَطُولُ^(١)

في بيان معنى تعارف الأرواح وتناكرها

أقول : معنى التعارف^(٢) ينظر أحدهما في وجه صاحبه ، سواء كانا في غصن واحد أم غصنين كما ذكرنا قبل ، ومعنى التناكر^(٣) ظهره إلى ظهر صاحبه كما مثلنا به قبل في الأشكال وفي البيان ، وأما المساواة فمن التعارف في التبعية يعني أنها نوع من التعارف الصفاتي ، وأما المغايرة فهي أحوال متعددة كما أشرنا إلى نوع ذلك وإلا فأفراد المتغايرين كثيرة جداً فالتناكر منها في بعض الأحوال ، والمساواة قد تكون بمحض الصفات فتكون المغايرة من جهة الذات وقد تكون المساواة بالعكس ، فتكون المغايرة في غير جهتها إذ لا تجتمع مع المساواة في جهة واحدة ،

(١) انظر كتاب وفيات الأعيان : ٣ / ٥٠ .

(٢) في نسخة أخرى : تعارف .

(٣) في نسخة أخرى : تناكر .

وإذا تدبرت وضع هذه الأشكال التي هي تصوير لدورات الكرات ظهرت لك الحال ، ولكل رأي منهم مقاماً ، هذا البيت من قصيدة عبد الله بن القاسم^(١) السهروردي^(٢) في وصف أحوال السائرين وأحوال الواصلين وصفات مطلوبهم وهذا الذي ذكرته لك من الاستدارات هو باطن ما ذكره في قصيدته .

قلت : ثم اعلم أن الكرة إن كانت استدارتها عبارة عن استدارة قوس من محيطها فهي تدور على محور وتحدث من الأجزاء الدوائر لا الكرات وليس ذلك الاستدارة الصدورية عن العلة البسيطة التي هي فعل الله سبحانه ومشيته ، بل الاستدارة الصدورية أن يدور كل جزء من الكرة على قطبها فتكون استدارة الكرة على قطبها ليست إلى خصوص جهة ، لأن ذلك من خواص الأجسام في حركاتها الجسمانية .

(١) في نسخة أخرى : قاسم .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن علي المياخي ، السهروردي ، الهمداني ، ويعرف بعين القضاة (أبو المعالي) حكيم ، فقيه ، شاعر ، صوفي أخذ عن عمر الخيام وأحمد الغزالي ، وصلب بهمدان (٥٢٥ - ٥٠٠ هـ) (١١٣١ - ١٠٠٠ م) .

من تصانيفه : زبدة الحقائق ، مدار العيوب في التصوف ، والرسالة اليمينية . انظر طبقات الشافعية للسبكي : ٤ / ٢٣٦ - ٢٣٧ وكشف الظنون لحاجي خليفة : ٩٠١ .

بيان معنى وكُنْه الكرة

أقول : اعلم أن الكرة التي ذكرناها ليست عبارة عما يحدث عن استدارة قوس من محيطها ، لأن الكرة التي تحدث من استدارة القوس لم تتساو أجزاء سطحها إلى مركز قطبها ، بل كلّ جزء تحدث عنه دائرة قطبها نقطة من المحور تسامتها غير قطب الدائرة الأخرى فتختلف لذلك تلك ، فمنها عظام ومنها صغار ومنها بين ذلك ، وإذا اعتبرنا استدارة تلك الكرة واستدارة كلّ واحد من أجزائها على فعل الله سبحانه كانت استدارة انفعال ، وتتساوى فيها جميع الممكنات مع اختلاف حقائقها وقوابلها ودواعيها وأوقاتها وكمّها وكيفها ، لأنها استدارة صدورية فتكون فيها على السواء من غير أن يكون بعض منها إلى جهة بل كلّ شيء منها يدور على تلك العلة لا إلى جهة لأنها ليست في جهة ، إذ الجهات كلها صادرة عنها فلا تحويها فتكون تلك العلة البسيطة التي هي فعل الله ومشيته ليست في جهة ، فالمستدير عليها يستدير لا إلى جهة ، لأن الاستدارة إلى جهة من خواص الأجسام في حركاتها الجسمانية .

فإن قلت : إنك أطلقت القول في جميع الأشياء بأنها تدور على فعل الله تعالى لا إلى جهة ، ومنها الأجسام فلم قلت : إن الاستدارة إلى جهة من خواص الأجسام في حركاتها الجسمانية ؟

قلت : إن الأجسام تدور إلى جهة إذا كانت تدور على ذي جهة ،
وأما إذا كانت تدور على ما ليس في جهة وجب أن تكون استدارتها
لا إلى جهة وإلا لكانت تدور على غيره إلا أن الجسم لا يدور على
ما ليس في جهة حال جموده ، فإنه من هذه الحثية يدور على ما في
جهة ، وأما دورانه على ما ليس في جهة كالعلة الصدورية فإنما هو
من حيث ذوبانه واتحاد أجزائه المتباينة وهذا معنى ما قلت :

بيان الحركات الوجودية

قلت : وأما الحركات الوجودية الصدورية فليست جسمانية وإن
كانت من الأجسام فهي دورات دهرية وسرمدية وإلا لم تحط جهة
العلة بجميع جهات المعلول ، ولهذا قلنا كلّ جزء كرة فافهم
فهمك الله تعالى . واعلم أن هذا الطور من الاستدارة لا تدركه
النفس ولا العقل وإنما يدركه الفؤاد لأنه جهة الصدور وهي ربط
الدهر بالسرمد ، والسلام .

أقول : إن الحركات الوجودية كما أشرنا إليها ليست
جسمانية من حيث هي جسمانية وإن كانت من الأجسام ، لأنها
حركات صدورية والحركات الصدورية من قبل فعل الله سبحانه

سرمدية ، ومن قبل القابل تكون في المقيد دهرية وفي ما فوقه (١) من الممكنات برزخية يعني أنّ وجهها في السرمد وقرارها في الدهر ، ولأجل كون حركة الفعل سرمدية أحاطت العلة بجميع جهات المعلول ولو كانت جسمانية لم تحط بها .

وإنما قلنا : إن كلّ جزء كرة لأجل عموم الإحاطة ومن ثم لم تدرك النفس ولا العقل هذا النوع من الحركة ، وإنما يعرفه الفؤاد لأنه أي الفؤاد جهة الصدور يعني وجهه إلى المظاهر وبه ربط الدهر بالسرمد من جهة أن الفعل وإن تعلق بالمفعول الذي هو المقيد ومحلّه لا يخرج عن السرمد ، وإن كان محلّه ومتعلّقه في الدهر بل وفي الزمان إذ لا يقارن المفعول إلا بالتعلق الذي هو من نوع المفعول .

(١) في نسخة : فوقها .

الفائدة العاشرة

اعلم أن الله سبحانه

خلق الأشياء بفعله وإبداعه

الفائدة العاشرة

إن الله سبحانه خلق الأشياء بفعله وإبداعه

قلت : الفائدة العاشرة : اعلم أن الله سبحانه خلق الأشياء بفعله وإبداعه من غير سبق فكر أو رويّة ، وكل شيء فالله خالقه سواء كان في الوجود الخارجي أم الذهني ، وما في الذهن لم يوجد على احتذاء سبق ذهن فالوجود الذهني في الواقع وجود خارجي ، وإنما قسّم الوجود إلى الذهني والخارجي للفرق بين الوجود الظلي الانتزاعي والأصلي اصطلاحاً ولا مشاحة في الاصطلاح ، وإلاّ فهو في الحقيقة قسم من الوجود خلقه الله لحاجة الخلق إليه في التفاهم والتعارف ليحصل لهم إدراك ما غاب عن حواسهم الظاهرة وذلك مما يتوقف عليه تكليفهم ونظام أمورهم ومعاشهم .

أقول : هذا الكلام فيه تعريض بالردّ على من زعم أن الوجود الذهني ليس وجوداً ، وإنما^(١) حقيقة ما يدركه الذهن إنما هو الحقائق الثابتة قبل إيجادها ، وليس بموجود وعلى من زعم أن

(١) في نسخة : وأما .

النفس هي التي تحدثه لا أنه صنع الله وعلى من زعم أن الوجود الذهني وجود أصلي ليس بانتزاعي ظلي ، وإنما يوجد الشيء بحقيقته في الذهن لا بظله ومثاله وعلى من زعم أن الوجود الذهني أصل للوجود الخارجي والوجود الخارجي ظل للوجود الذهني .

فقلت : إن الله سبحانه خلق جميع الأشياء ذهنيها وخارجيها بفعله وإبداعه من غير سبق فكر ولا رويّة ليقال : إن ما في الذهن ليس الوجود الخارجي بل هو من ذهني قبله والدليل على أنه مخلوق لله تعالى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣﴾ (١) ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾ (١) وإنما قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ لأن ما توسوس به النفوس هو الذي في معرض العلم به حيث أخفوه ولم يجهروا به فقال : إنه يعلمه لأنه خلقكم أنتم وما في أنفسكم فكيف لا يعلم من خلق ، ولو أريد به خصوص العلم بهم لا مع ما في نفوسهم كما يوهمه ظاهر من خلق لما دل على اطلاعه على ما أسروا به الذي أراد بيان الاطلاع عليه ، ولا يرد علينا أنهم أسروا ما هو قبيح ممنوع منه فلا يكون الله خالقاً له .

(١) سورة الملك ، الآيتان : ١٣ ، ١٤ .

بطلان قول من أنكر الوجود الذهني

واعلم أن أهل القول الأول أنكروا الوجود الذهني وزعموا أن ما تراه بخيالك ليس موجوداً في الذهن وإنما هو موجود في الخارج ، ويعنون الأعيان الثابتة ، وقالوا كما أنك ترى زيداً بعينك وليس في عينك ، وإنما هو خارج عنها فليس للذهن وجود ينسب إليه إلا إذا أثبتناه فيه ولم يثبت فيه شيء وغلطوا .

بل نريد بالوجود الذهني ما كان الذهن علةً لظهورها ووجودها الكوني وهي الأظلة المنتزعة من الأشياء الخارجية ، وذلك لأنه تعالى حين خلق الأشياء أقام كل شيء في مكانه المناسب له ، فالإشراقات النورية لا تظهر إلا في الأجسام الكثيفة فوضعها فيها ، والصور لا تظهر إلا في الأشياء الصيقلية كالمرآة والماء فوضعها فيها والصور المثالية المعنوية أي الخيالية لا تظهر إلا في الأذهان ، فأقامها فيها والأجسام لا قرار لها إلا على الأرض المتماسكة فأقامها عليها ، فمرادنا بالوجود الذهني أن الأظلة الخيالية المنتزعة تكون في الذهن وأن ذا الظل موجود في الخارج ، وذو الظل والظل هما موجودان ، لكن ذا الظل موجود في الخارج وظله الخيالي الانتزاعي في الذهن ، فتنقسم الموجودات إلى ما يكون في الخارج وإلى ما يكون في الذهن وكلاهما موجودان أحدهما في الخارج وهو الموجود الخارجي

والآخر في الذهن وهو الموجود الذهني ، ودليل هذا ما قلنا مراراً أنك لا تقدر أن تتصوّر بذهنك شيئاً رأيته قبل ذلك حتى تلتفت بذهنك ، فتقابل ذلك الشيء بمرآة خيالك في المحل الذي رأيته فيه وبالهئية التي رأيته عليها وفي الوقت الذي رأيته فيه فتجد مثاله وهيئته في غيب ذلك المكان وغيب ذلك الوقت فتنتقش في ذهنك تلك الصورة ولا تقدر على التصوّر بدون هذا فافهم .

هل للنفس قوة على إحداث ما شاءت

وأهل القول الثاني يزعمون أن للنفس قوة على إحداث ما شاءت من غير سبق مثال فتتصور شريك الباري تعالى وبحراً من زبيق ولا أصل لهما وليس إلا لأنها تخرع بنفسها ، وغلطوا ، فإنها لو كانت كذلك لكانت تحدث ذلك من غير أن تتوجه إلى جهة مظنته^(١) وما تتوهمه فيه لكنها لا تقدر حتى تتوجه إلى جهة ذلك فتنتزع من موهومها صورته ، سواء كان شيئاً في الخارج أم لا ، بل في الحقيقة لا بدّ وأن يكون شيئاً في الخارج كما دلت عليه الأدلة مثل قول أبي الحسن الرضا عليه السلام : قال قلت : لِمَ خلق الله عزّ وجلّ الخلق على أنواع شتى ولم يخلقه نوعاً واحداً ؟

(١) في نسخة : مظنة .

فقال عليه السلام : (لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز ولا تقع صورة في وَهْمٍ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا خَلْقاً لئلا يقول قائل : هل يقدر الله تعالى أن يخلق صورة كذا وكذا ، لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إِلَّا وهو موجود في خَلْقِهِ تبارك وتعالى ، فيعلم بالنظر إلى أنواع خَلْقِهِ أنه على كل شيء قدير^(١) انتهى . رواه في أول كتاب العلل^(٢) في باب علّة الخلق .

فتكون الصورة الذهنية منتزعة من الوجودية الخارجية ، وإنما اختلفت الصورة للشيء الواحد بالنسبة إلى المتصورين لاختلاف أذهانهم كما تختلف الصور لشيء واحد في المرايا المتعددة المختلفة وهؤلاء طائفتان ، منهم من يزعم أنه وجود وهمي ليس بانتزاعي ، وإنما يصدق عليه الوجود لأنه شيء ، ومنهم من يزعم أنه انتزاعي من موهوم وكلا الزعمين باطل ، وأهل القول الثالث يزعمون أن الوجود الذهني أصل للوجود الخارجي والخارجي ظلّه وتنزله وهم جلّ الصوفية ، ومن هنا يقول أحدهم : ما تتحرك نملة في المشرق أو في المغرب إِلَّا بقدرتي .

(١) علل الشرائع : ١ / ١٤ ح ١٣ باب ٩ (علّة خلق الخلق واختلاف أحوالهم) .

(٢) هو للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .

ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .

توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسيني .

ومنهم : من يزعم أنه متحدّد مع الخارجي لا يفرّق بينهما إلاّ بأنّ الذهني مجرد عن اللوازم الخارجية كالنار مثلاً فإنّ الموجود منها في الخارج هو الموجود في الذهن بعينه إلاّ أنه مجرد عن لوازمه الخارجية كالإحراق فإنه من لوازم الخارج ، وقد قال الشيخ جواد الكاظمي^(١) في شرح الزبدة في مبحث العلم : وليعلم أنّ الحق بعد القول بالوجود الذهني وأنّ العلم من مقولة كيف أنّ الأشياء بأنفسها موجودة في الذهن كما هو مذهب المحققين لا بأشباحها وأمثالها كما هو مذهب شاذلية قليلة لا يعبأ بهم ، انتهى .

في أنّ الوجود الذهني ثابت وهو ظلي منتزع من الخارجي

وهذا كلّه غلط ، لأنّ قول الصوفية لو صح لكان إذا مات الصوفي بطل نظام العالم ، كما أنه إذا انصرف المقابل للمرأة بطلت الصورة التي في المرأة ، وهذا ظاهر الفساد .

وقول الآخرين أيضاً باطل لأنه لو كانتا صورتان نقشتا من

(١) جواد بن سعد بن جواد المعروف بالكاظمي وهو من أعظم تلامذة الشيخ البهائي . من تأليفاته : شرح زبدة الأصول للشيخ البهائي ، وشرح خلاصة الحساب ، ومسالك الأفهام إلى آيات الأحكام ، والفوائد العلية في شرح الجعفرية وغيرها . انظر قصص العلماء ورسالة سبيل النجاة للتكابني رقم

قالب واحد وحضرت عندك واحدة منهما ، فإنك إذا نظرت فيها لا تحضر الأخرى في ذهنك ولا عندك وإن حضر أصل القالب ، فلو كانت النار التي في الذهن هي النار الخارجية لا ظلالها لكنت إذا تصورت ما في ذهنك لا يلتفت ذهنك إلى النار الخارجية أصلاً ، كما أنك إذا تصورت إحدى صورتين كلاهما من قالب واحد لا يلتفت قلبك إلى الأخرى وإن التفت إلى قالبهما ، والواقع خلاف ذلك .

بل لا يمكنك أن تتصور ما في ذهنك إلا إذا التفت إلى الخارجي وليس إلا ، لأن ما في ذهنك منتزع من الخارجي وليس في ذهنك شيء ، وإذا التفت ذهنك بمرآته إلى الخارجي انطبعت فيه صورته المنفصلة المنتزعة ، وهو الحق أعني كون الوجود الذهني ثابتاً وأنه ظلي منتزع من الخارجي .

نعم هنا تفصيل^(١) : أن ذا الذهن إن كان علّة الوجود بأن كان هو أمر الله الذي به قام كل شيء ، وأن وجودات الأشياء كلها أعني موادها من أشعة وجوده كان ما في ذهنه من صور الأشياء عللاً وأسباباً للأشياء الخارجية بحيث لو عدت تلك الصورة التي هي وجوه تلك الأشياء اضمحلت الأشياء ، وهذا مثل النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين عليهم السلام ، كما دلت عليه

(١) في نسخة : وهو .

أخبارهم ونطقت به كلماتهم وآثارهم من أنه لو لم يكن الحجة في الأرض لساخت^(١) .

وأما من سواهم فكلّ ما فيهم من الصور أي في أذهانهم ، فإنها أظلة منتزعة من الأشياء الخارجية ، والكلام مبني^(٢) على أحوال العوام^(٣) .

وأما أحوالهم عليهم السلام فعلى طور غير ما نحن بصدده ، وإنما جرى التنبيه عليه استطراداً ، [فأهل]^(٤) القول الأول ينفون الصورة عن الذهن ويقولون الذي تراه بذهنك ليس في ذهنك ، وإنما هو في الخارج ثابت لا موجود ولا معدوم ، [وأهل]^(٥) القول الثاني يثبتون صوراً ليست ذوات ولا أظلة منتزعة بل هي أظلة قائمة بالذهن ولا خارج لها .

(١) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : (لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت) بصائر الدرجات : ٤٨٨ باب أن الأرض لا تبقى بغير إمام ، وأصول الكافي : ١ / ١٧٩ باب أن الأرض لا تخلو منه ح ١٠ . وعن أبي جعفر عليه السلام قال : (لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لساخت بأهله ، ولماجت كما يموج البحر بأهله) بصائر الدرجات : ٤٨٨ ، وأصول الكافي : ١ / ١٧٩ ح ١٢ .

(٢) في نسخة : مبتنى .

(٣) في نسخة : العوالم .

(٤) من نسخة أخرى .

(٥) من نسخة أخرى .

هل ما في الذهن أصلٌ لما في الخارج؟

[وأهل] (١) القول الثالث يجعلون ما في الذهن أصلاً لما في الخارج أو أن الشيء له مكانان مكان ذهني ومكان خارجي .

[والحق] (٢) : أن ما في الذهن قسم من الوجود الظلي خلقه الله في الذهن لافتقار الخلق إليه في التفاهم والتعارف يتوصلون به إلى مطالبهم ليحصل لهم إدراك ما غاب عن حواسهم الظاهرة إذ لولاه لم يدركوا إلا ما تراه عيونهم وتناله أسماعهم وذلك مما يتوقف عليه تكليفهم بما فيه نجاتهم ونظام معاشهم وهذا إن شاء الله ظاهر .

في أن الله خالق كل شيء والذهن شيء

قلت : وإنما قلنا إنه مخلوق لله تعالى لما دل عليه الدليل القاطع بأن الله خالق كل شيء قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ (٣) .

فإن قلت : معنى ذلك أن الله تعالى جعل في النفس قدرة

(١) من نسخة أخرى .

(٢) من نسخة أخرى .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

على اختراع ما شاءت من الصور فهي تخترع تلك الصور بما يمكن لها فلا يكون الوجود الذهني في الحقيقة خارجياً .

قلت : إن ما جعله فيها وفي غيرها مما تجري فيه على اختيارها ليس حيث أعطاها رفع يده عنه بل هو في يده بعد الإعطاء كما هو قبل الإعطاء بل هو حال واحدة بلا تعدد إلا في العبارة كناية عن ظهور العطية في نفسها .

أقول : إنما قلنا : إنما في الذهن مخلوق لله عز وجل ، لأن الدليل قد دل على جهة القطع والضرورة بأن الله سبحانه خالق كل شيء قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ (٢) وهذا معلوم لأنه إذا كان شيئاً يصدق عليه اسم الشيء بكل اعتبار فقد دخل في عموم الآيتين الأوليين وأمثالهما ، وإن لم يكن شيئاً أصلاً لم تكن النفس مخترعة له ، وأما الآية الثالثة فهي صريحة في خصوص الدعوى ، لأن الإسرار بالقول هو التصور بدليل قوله

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٦ .

(٢) سورة الملك ، الآيتان : ١٣ - ١٤ .

تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾^(١) أي عليم بما أسررتم وتصورتهم وعزمتهم عليه وهممتم به ولا ينافيه قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ بتوهم أنه إنما خلق المتصورين لا التصور بقريينة من خَلَقَ ، لأنه تعالى في بيان علمه بسرائرهم وتصوراتهم وما توهموا وأضمروا ، وقد علّل تعالى ذلك بأنه خلقه فكيف لا يعلمه ، هذا على معنى أن ﴿ مَنْ خَلَقَ ﴾ مفعول ﴿ يَعْلَمُ ﴾ يعني ألا يعلم مخلوقه .
وأما على معنى أن ﴿ مَنْ خَلَقَ ﴾ فاعل ﴿ خَلَقَ ﴾ كما هو المشهور في التفسير فهو أدلّ وأظهر .

ولا يرد علينا لزوم الإجبار من خلقه لذلك ، لأنه تعالى خلق أعمالهم القبيحة بأفعالهم أي حكم عليهم بما فعلوا كما تجعل زيدا عاصياً إذا لم يطعك فقد حكمت عليه بفعله ، وكذا^(٢) قال تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾^(٣) لأنه تعالى لما كفروا طبع على قلوبهم بكفرهم ولا يلزم من ذلك الإجبار .

وأما قولهم : إن الله جعل في النفس قدرة على اختراع ما شاءت من الصور إلخ ، فبعد ما ذكرنا من أنها لو كانت مخترعة لها لما كانت تلتفت بمرآتها إلى جهة إمكانه لتنتبع صورته فيها .
إنا نقول : حين جعل لها قدرة تخترع بها هل رفع يده عما

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٣ .

(٢) في نسخة : ولذا .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .

جعل لها أم هو في يده؟ إذ لو رفع يده لم يكن شيئاً فلا تفعل إلا بالله فالله في الحقيقة هو الفاعل على حدّ قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾^(١) وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٢) أأنتم تزرعون أم نحن الزارعون ﴿٦٤﴾^(٢) فافهم إن كنت تفهم .

وقولي: (كناية عن ظهور العطية) يعني أنه إنما قلنا: أعطى خلقه قدرة وعلماً أو غير ذلك، ليس لأن العطية انفصلت من يده تعالى ليكون العبد مستقلاً بها وبما يترتب عليها، بل إنما قيل: أعطى كناية عن ظهور العطية من كتم الوجود الإمكانى إلى علانية الوجود الكوني وإلا فهي في قبضته إذ لو خلاها من يده لم يكن شيئاً .

في كل قوى الكائنات بيد الله والنفس كائن

قلت: وتلك القوة المشار إليها فعلها وانفعالها وإضافتها وتعلقها بمخترعها إنما كان شيئاً في نفسه بكونه في يده، فإذا قابلت المرأة الشيء أوجد الله بهما فيها الصورة، وإنما لها اختيار المقابلة وانتزاع الصورة اللذان هما شيء بكونهما في يده فافهم، وإلى هذا

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧ .

(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٦٣، ٦٤ .

الإشارة بقوله عليه السلام : (كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم)^(١) فافهم قوله عليه السلام : (مخلوق مثلكم مردود إليكم) .

أقول : قولنا : وتلك القوة ، تقدم بيانه وهو أن جميع ما أعطى خلقه لم يخلقه^(٢) من يده لأنه ليس شيئاً إلا بكونه في يده ، فلو خلاه لم يكن شيئاً أصلاً^(٣) فلو خلاه من يده الأكوانية لم يكن مكوناً ولكنه ممكن ، ولو خلاه من يده الإمكانية لم يكن ممكناً ، وهذا الوجه الثاني خفي على العقول ولكنه كما أقول ، فإذا قابلت المرأة الشيء هذا تفريع على ما قبله تفريعاً بيانياً لا تأسيسياً يعني إذا قابلت الشاخص أوجد الله من صورة الشاخص المنفصلة لأنها هي مادة الصورة التي هي في المرأة ، فيوجد الله منها بالمرأة لأنها

(١) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨ ، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣ ، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦ ، وكتاب الوافي : ١ / ٨٩ ، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠ ، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : (هل سمي عالماً قادراً إلا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله زبانيتين لأنهما كمالها وتتصور أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له) .

(٢) في نسخة أخرى : لم يخله .

(٣) في نسخة أخرى : أصلاً فهو فلو .

هي القابلة للصورة ، فهي صورة الصورة وحدودها هي صقالة المرأة وبياضها وسوادها واستقامتها واعوجاجها فيها أي في المرأة ، لأن الشيء يوجد في صورته وكل شيء يتوقف عليه الإيجاد فمن جعل الله ليس للمرأة فيه شيء ، وإنما لها اختيار المقابلة بالله وانتزاع الصورة بالله اللذان هما شيء بكونهما في يده وهذا معنى قولي بالله ، وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله : (كل ما ميزتموه بأوهامكم) أي تصورتموه أو تعقلتموه (في أدق معانيه) يعني (في أدق معانيه) بالنسبة إلى عقولكم أو إلى المميز نفسه يعني في أول مراتب تعينه (فهو مخلوق) يعني خلقه (١) الله سبحانه (مثلكم) أي كما أنتم مخلوقون أو (مثلكم) أي صفة لكم ، ومثل لكم بفتح الميم والثاء المثلثة أي صفتكم وشبحكم وآيتكم ، وبكسر الميم وسكون الثاء أي نظيركم إما في الإيجاد أو فيما يترتب على الإيجاد من أحكام التكاليف في الدنيا والمعاد .

(مردود إليكم) أي غير مقبول منكم أن تجعلوا العبد رباً ، أو (مردود إليكم) يعني أنه من أشعة وجوداتكم أو ذاتكم (٢) ، وهذا معنى قولي : فافهم قوله عليه السلام : (مخلوق مثلكم مردود إليكم) .

(١) في نسخة : خلق .

(٢) في نسخة : ذواتكم .

بيان من خلق المعاصي والكفر وسائر القبائح

قلت : فإن قلت : يلزمكم أن الله تعالى خلق المعاصي والكفر وسائر القبائح .

قلت : نعم كذلك الله ربنا قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (١) ولكن ليس على ما تفهم ، وذلك لأنه سبحانه لا يخلق شيئاً إلا على ما هو عليه في ذاته وصفاته وأفعاله وإلا لم يكن ذلك المخلوق كذلك ، بل يكون قد خلق على غير ما هو عليه فحينئذ لا يكون هو إياه وإنما يكون هو غيره ، هف .

أقول : لا يلزمنا من قولنا : إن جميع ما وهب عباده من النعم من القوة والاستطاعة والفعل والانفعال وغيرها كلها في يده سبحانه أن يكون الله تعالى عز وجل فاعل المعاصي والكفر والشروع على ما هو معروف ، لأن الاعتقاد الحق أن العبد هو فاعل المعاصي والكفر والشروع باختياره والله سبحانه بريء منها كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٦ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٨ .

بأيديهم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ
لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ وغير ذلك
من الآيات بمعنى أن الله خلق المعصية والكفر .

وأما قولنا : إن الله خالق كل شيء من جملة المعاصي
والكفر ، فنريد به معنى آخر غير هذا لا يلزم منه هذا المعنى
الباطل وأخبار الأئمة عليهم السلام متواترة بذلك ناطقة به مع
تنزيههم جناب الحق عن الظلم وفعل القبائح وبيان المعنى الذي
نشير إليه يحتاج إلى تقديم كلمات نشير فيها إلى بيان ما وردت به
الأخبار بحيث لا يلزم التفويض ولا الإجمار .

فنقول : اعلم أن الله سبحانه لا يخلق شيئاً من خلقه من ذات
أو صفة إلا على ما هو عليه في ذاته وصفاته وأفعاله ، إذ لو خلق
المخلوق على غير ما هو عليه كذلك لم يكن هو إياه بل كان غيره
لأنه إنما خلق غيره .

وتفصيل ذلك أنه تعالى إن خلق على مقتضى استطاعة فعله
تساوت المفعولات ، لأن نسبتها إلى فعله على السواء .

بل لم تتعدد في أنفسها بل تكون واحداً ، لأن فعله واحد وإن
خلق على مقتضى قابلية المفعول ، فإن كان على نحو القسر
والإجمار كانت كما لو خلقها بمقتضى استطاعة فعله تعالى وإن

(١) سورة البقرة ، الآية : ٧٩ .

كان على جهة الاختيار صبح الصنع وارتفع الإجبار ، وذلك بعد أن كانوا شيئاً واحداً وجوداً هيولانياً حصصهم ، فلما جعلهم حصصاً متميزة المواد في الجملة جعل في كل حصّة من تلك المادة النوعية الاختيار والتميز ومعرفة الخير والشر والجيد والردي ، وحيث كانت السعادة والشقاوة والطاعة والمعصية إنما هي في الصور عرض عليهم صور طاعاته في عليين وصور معاصيه في سجين وأخبرهم أن من أجاب دعوتي صوّرتة بصورة إجابته وألبسته لباس طاعتي ، ومن لم يجب دعوتي صوّرتة بصورة إنكاره وألبسته لباس معصيتي فرضوا وقبلوا ثم دعاهم إلى توحيدِه ونبوة نبيه صلى الله عليه وآله وولاية وليّه عليه السلام ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾^(١) فالمؤمن أجاب بلسانه وقلبه مصدقاً مسلماً طائعاً ، والكافر قال : بلى ، وأضمر أنه إن اقتصر على هذا فلا تضرنا الإجابة ، لأنه خالقنا ودعانا إلى طاعته وإن تجاوز بنا إلى طاعة غيره لم نجب لأننا أولى من غيرنا .

ثم قال لهم : ومحمد صلى الله عليه وآله نبيكم؟^(٢) .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إن الله - تبارك وتعالى - حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً ، وماءً مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعرکه عرکاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ . =

فأجاب المؤمن بقلبه ولسانه كما مرّ وازداد إيماناً بتسليمه وسكت الكافر وقال في نفسه : تجاوز بنا إلى غيره لكن هذا الغير لم يجعل له ولاية علينا ، وإنما هو داع إلى خالقنا فإن اقتصر عليه أجبنا وإلا أنكرنا .

ثم قال لهم : وعلي وليكم ، فأجاب المؤمن وازداد إيماناً على إيمان وأنكر الكافر وقال : لا نقبل أن يكون علينا ولياً بشر مثلنا ، ولذا قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام في حق جميع الأمم : (ما اختلفوا في الله ولا فيي وإنما اختلفوا فيك يا عليّ)^(١) وكان فيما أنزل على نبيه صلى الله عليه وآله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾^(٢) .

فإذا عرفت أن الله تعالى لم يخلق الخلق إلا على ما هم عليه بحسب قوابلهم باختيارهم ولم يكونوا في دواعيهم ولا ما يميلون

= ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وأن هذا محمّد رسولي ، وأن هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ، فثبت لهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ، ومحمّد رسولي ، وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولاية أمري ، وخزان علمي ، وأن المهديّ أنتصر به لديني ، وأظهر به دولتي ، وأنتمم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا ربّ وشهدنا (الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، ومختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ ، وأمالى الصدوق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

(١) مشارق أنوار اليقين : ٢٠٠ .

(٢) سورة هود ، الآيتان : ١١٨ ، ١١٩ .

إليه مجبورين ، عرفت مقدمة معرفة أن الله خلق كل شيء حتى المعاصي ولم يكن فاعلاً لها وبقي تمام المقدمة .

الله خلق العاصي

والمطيع على مقتضى سبب إيجاده وقبوله

وهو ما قلت : وإذا خلقه على ما هو عليه فإنما خلقه على مقتضى سبب إيجاده وقبوله للوجود وذلك بالأسباب الخارجة عن حقيقة ما أفاضه الله بذات فعله وإن كانت بعوارضه ، وتلك الأسباب مقتضيات لتغيير الحقائق بحكم الوضع وتلك المقتضيات من أفعال الخلق وأوضاعهم ، فلو خلق على غير المقتضى لكان قد منع ما أعطى وأبطل ما قدر .

أقول : هذا من تمام ما ذكرنا من المقدمة ، وهو أن معنى قولنا : إنه خلقه على ما هو عليه أنه خلقه على مقتضى سبب إيجاده وقبوله للوجود^(١) هو انفعاله بحسب كمّه وكيفه ووقته ومكانه وجهته ورتبته وأوضاعه وكلها منسوبة إليه لأنها أجزاء ماهيته وليست من فعل الله سبحانه أولاً وبالذات بالنسبة إلى تشخصه بها ، وإن كان بفعل الله ثانياً وبالعرض ، ومعنى كونها

(١) في نسخة أخرى : وقبوله للوجود وسبب إيجاده وقبوله للوجود .

بالعرض بالنسبة إلى تشخصه بها أن منها ما هو مخلوق في (١) نفسه بالذات من حيث نوعيته بل كلها كذلك لكنها باعتبار اختصاص بعض الأفراد ببعض حصص منها لم يكن التخصيص إلا باقتضاء المفعول ، فكان التخصيص بالعرض لأنه للاقتضاء لا لنفسه ، وهذا معنى قولنا : وذلك بالأسباب الخارجة عن حقيقة ما أفاضه الله بذات فعله وإن كانت بعوارضه ، لأن الذي أفاضه الله بذات فعله هو الوجود خاصة أعني المادة الكلية المسماة بالهيولى الأولى والمواد الجزئية رؤوس منها كالورق من الشجرة وحصص منها كالذر من جوهر الهباء هذا هو المقبول .

وأما أسباب قابليته للإيجاد فأشياء يقتضيها المقبول من نفسه عند توجه الإيجاد عليه فلما توقف قبوله عليها خلقت له فهي مخلوقة بالعرض وبها تغيرت الحقائق واختلفت ، فهي باقتضاء المقبول لها وتغاير حقائقها واختلافها بسبب تغايرها قد جرى عليها إيجاد بحكم الوضع لكون تلك منها أسباباً ومنها موانع أو شروطاً ، وتلك المقتضيات كلها من أفعال الخلق وأوضاعهم كما ذكرنا فإن خلق الأشياء على غير ما تقتضيه كان قد منع ما أعطى وأبطل ما قدر فإنه أعطى الحديد أنه يقطع والنار تحرق والبذر إذا وضع في الأرض ينبت والنفطة إذا أُلقيت في الرحم يتخلق منها الجنين وهكذا .

(١) في نسخة : من .

فساد النظام إذا منع الله قتل المؤمن بالسيف من الظالم

فإذا أراد الظالم أن يقتل المؤمن بالسيف أو يحرقه بالنار أو يغصب حنطته^(١) ويزرعها في أرض مغصوبة ويسقيها بماء مغصوب ، والزاني وضع نطفته في رحم الزانية ، فإن منع الحديد أن يقطع والنار أن تحرق والحنطة أن تنبت والنطفة أن تتخلق كان قد منع ما أعطاها ، ويلزم من ذلك أن الحديد لا يقطع في الجهاد والنار لا ينتفع بها العباد والحنطة لا تنبت عند مالكها مع كمال الاستعداد والنطفة الحلال لا تتكوّن منها الأولاد ويفسد النظام وتبطل فائدة الإيجاد ، وإن خلق الأشياء على ما تقتضيه طبائعها التي خلقها عليها لمصلحة العباد قطع الحديد رأس المؤمن والنار أحرقتة والحنطة تنبت عند الظالم ونطفة الزاني يتكون^(٢) منها ولد الزنى وليس الله معيناً لمن عصاه فلم يقتل المؤمن ، وإنما قتله الظالم بالسيف وأحرقه بالنار ولم يعن الغاصب لحنطة المؤمن ولم يأمر الزاني بالزنى ، فمعنى قولنا : إن الله خلق الكفر أنه تعالى إذا كفر عبده طبع الله على قلبه بكفره كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾^(٣) ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا ﴾^(٤) .

(١) في نسخة أخرى : حنطة .

(٢) في نسخة أخرى : تتكون .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٨٨ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .

ومعنى أن الله خلق المعاصي أنه خلق مقتضاها ولوآزمها كما
مثلنا لك به .

والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة لا تكاد تُحصى كلها من
هذا المعنى ، وهو معنى ما :

في أن الله خلق الحديد يقطع ولا يقطع إلا بالله

قلت : مثلاً خلق الحديد يقطع ولا يقطع إلا بالله فإذا ذبح زيد عمراً
ظلماً بالسيف فإن لم يوجد الله الذبح لمقتضى فعل زيد والحديد
لكان قد منع الحديد ما خلقه عليه فلم يكن الحديد حديداً ، ومنع
زيداً مقتضى فعله فلم يمكن زيداً من فعل المعصية فلم يقدر على
الطاعة لأنها لا تتحقق إلا بالتمكين من المعصية ، وإذا لم يكن
ذلك لم يحسن تكليفه فلم يكن مكلفاً وإذا كان كذلك لم يحسن
إيجاده ويبطل الإيجاد من أصله والوجود الذهني حدث عن الله
بهذا النحو .

أقول : مرادي من قولي : (إن الحديد لا يقطع إلا بالله)
ليس كما فهمه الأشاعرة بأن القاطع هو الله ، لأن الأسباب في
الحقيقة ليست أسباباً وهو غلط ، لأنه يلزم الجبر بل الأسباب
أسباب في الواقع ، والحديد بنفسه هو القاطع بلا مشاركة مع الله
عزَّ وجلَّ في القطع ، وإنما مرادي أنه تعالى أعطى الحديد القطع
وجعله يقطع بنفسه ، ولكن الحديد والحركة من الفاعل والقطع

قائمة بأمر الله قياماً ركنياً وبفعل الله قياماً صدورياً ، وهي شيء يحفظه^(١) الله فما دام الله حافظاً لوجودها بأمره وفعله فهي شيء يفعل بما أودع من القدرة المحفوظة بقبضة الله ، إذ لو خلاها من يده لم تكن شيئاً أصلاً فإن لم يوجد الله بالحديد الذبح الذي هو أثر فعل زيد بمقتضى فعله لم يكن زيد متمكناً من فعل المعصية ، وإذا لم يكن متمكناً من فعل المعصية لم يكن متمكناً من فعل الطاعة ، لأن الطاعة كما يأتي لا تتحقق حتى يكون متمكناً من فعل المعصية قادراً عليها باختياره فيتركها ويفعل الطاعة باختياره ، فحينئذ تتحقق الطاعة فإذا لم يتمكن من المعصية لم يتمكن من فعل الطاعة ، فإذا لم يتمكن من فعل الطاعة لم يحسن تكليفه لانتفاء فائدة التكليف ، وإذا لم يحسن تكليفه لم يحسن إيجاده لانتفاء فائدة الإيجاد ، وإيجاد الوجود الذهني من هذا القبيل بالنسبة إلى ما ينتقش فيه من خير أو شرّ ، فإنها كلها بفعل الله على نحو ما أشرنا إليه ، لأن الله فاعل لأفعال العباد تعالى عن ذلك علواً كبيراً فافهم راشداً .

بيان أعلى خزائن الله تعالى

قلت : ثم اعلم أن في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾^(٢) حيث أتى للشيء من جهة أفراده بجمع خزائن سرّاً نبه

(١) في نسخة أخرى : شيء يحفظ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

بذلك عليه وهو أن كل شيء له خزائن فأعلى خزائنه الرحمة ثم الرياح ثم السحاب المزجي ثم السحاب المتراكم ثم بحر الممكن وهبائه ثم سحابه المزجي ثم المتراكم .

أقول : يعني أنّ سرّ قوله تعالى في جعل خزائن متعددة لشيء واحد هو أن الشيء الواحد له مراتب متعددة من مراتب الوجود وتنزلاته بأن يكون مذكوراً في كلّ مرتبة بما له فيها من التحقق والشيئية من مراتب المشيئة ، كما أشار إليه سلمان الفارسي رحمه الله على ما نقله عنه الرضا عليه السلام : (أنه دعا أبا ذر لضيافته فأتى له برغيفي شعير يابسين فأخذ أبو ذر يقلبهما فقال له سلمان : أراك تقلبهما يا أبا ذر أتدري من أين أتياك ؟ والله لقد عمل فيهما الماء الذي حمل العرش حتى ألقاهما على العرش ، وعمل فيهما العرش حتى ألقاهما على الملائكة وعملت فيهما الملائكة حتى ألقتهما على الرياح وعملت فيهما الرياح حتى ألقتهما على السحاب وعمل فيهما السحاب حتى ألقاهما على الأرض وعملت فيهما الأرض والماء والنار) أو كما قال (ثم قال : أنى لك ؟ وشكر هذا يا أبا ذر) نقلت بعض معناه^(١) .

(١) عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن الإمام محمد بن علي عن أبيه الرضا علي بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : (دعا سلمان أبا ذر رحمة الله عليهما إلى منزله فقدم =

وكل واحدة من هذه الخزائن لذلك الشيء يذكر فيها وجهه منها الذي خلق منه ، فيخلق من الوجه الأعلى ما تحته ويخلق من هذا التحت ما تحته وهكذا حتى يظهر الشيء في مكان حدوده ووقت وجوده والوجود قار على كل وجه في مكانه من تلك الخزانة لا يخرج منها نازلاً ولا صاعداً ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (١) .

وإنما يتنزل ما تحته منه كما تنزل النار من النار الكامنة في حكّ الزناد بالحجر .

= إليه رغبين فأخذ أبو ذر الرغبين فقلبهما فقال سلمان : يا أبا ذر لأي شيء تقلب هذين الرغبين ؟ قال : خفت أن لا يكونا نضيجين ، فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً . ثم قال : ما أجراك حيث تقلب هذين الرغبين فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش وعملت فيه الملائكة حتى ألقوه إلى الريح وعملت فيه الريح حتى ألقته إلى السحاب وعمل فيه السحاب حتى أمطره إلى الأرض وعمل فيه الرعد والبرق والملائكة حتى وضعوه مواضعه ، وعملت فيه الأرض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح وما لا أحصيه أكثر فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر ؟ ، فقال أبو ذر : إلى الله أتوب وأستغفر إليه مما أحدثت وإليك أعتذر مما كرهت . قال : ودعا سلمان أبا ذر ذات يوم إلى ضيافة فقدم إليه من جرابه كسرة يابسة وبلها من ركوته فقال أبو ذر : ما أطيب هذا الخبز لو كان معه ملح ، فقام سلمان وخرج ورهن ركوته بملح وحمله إليه فجعل أبو ذر يأكل ذلك الخبز ويذر عليه ذلك الملح ويقول : الحمد لله الذي رزقنا هذه القناعة ، فقال سلمان : لو كانت قناعة لم تكن ركوتي مرهونة) . عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق : ١ / ٥٧ ح ٢٠٣ ، وأمالى الصدوق : ٥٢٧ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٢٢ / ٣٣٠ .

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٦٤ .

فأول خزانة ذكر فيها^(١) مراتب التكوين الأربع الاعتبارية :

بيان مراتب التكوين الأربع

الأولى : ذكره في تكوين الرحمة والنقطة والسر المجلل بالسر .

والثانية : ذكره في تكوين الألف الأولى والرياح والنفس الرحماني الأولى بفتح الفاء .

والثالثة : ذكره في تكوين السحاب المزجى والحروف الأوليات العاليات .

والرابعة : ذكره في تكوين السحاب المتراكم والكلمة التامة التي خلق تعالى بها كل شيء من الأشياء أعني المشيئة .

والخامسة : بدء كونه في بحر الممكن وهبائه .

والسادسة : سحابة المزجى بعد إثارته من أعلى شجر ذلك البحر برياح الاسم البديع الرحمن .

والسابعة : سحابه المتراكم من ذلك السحاب المزجى المشار^(٢) المذكور .

(١) في نسخة أخرى : فيها في مراتب .

(٢) في نسخة أخرى : المثار .

بيان الأكوان الستة

قلت : ثم الأكوان الستة التي أشار إليها الصادق عليه السلام : الكون النوراني وهو الماء الذي به حياة كل شيء ، ثم الكون الجوهري وهو الحجاب الأبيض وهو الركن الأيمن الأعلى عن يمين العرش ، ثم الكون الهوائي وهو الحجاب الأصفر وهو الركن الأيمن الأسفل عن يمين العرش ، ثم الكون المائي وهو الحجاب الأخضر وهو حجاب الزمرد وهو الركن الأيسر الأعلى عن يسار العرش ، ثم الكون الناري وهو الحجاب الأحمر وقصبة الياقوت وهو الركن الأيسر الأسفل عن يسار العرش ثم كون الأظلة وهو الهباء الآخر وكون الذر الثاني .

أقول : الأكوان الستة التي ذكرها الصادق عليه السلام من الخزائن للشيء فهي مع السبع الأول ثلاث عشرة خزنة .

١ - الكون النوراني

والأول : من الستة الأكوان المذكورة الكون النوراني وهو حجاب السر وهو أعلى الحجب وهو معانيه أي معاني أفعاله تعالى وهي حقائقهم عليهم السلام^(١) ، وهو الماء الذي حمل

(١) في الكافي بإسناده عن صالح بن سهل الهمداني قال : قال أبو عبد الله =

العرش في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (١) أعني أول فائض عن فعل الله وهو الوجود الراجح وهو الحقيقة المحمدية وهو الزيت في قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (٢) كناية عن راجحية وجوده ، انتهى .

٢ - الكون الجوهري

والثاني : الكون الجوهري وهو عقل الكل المسمّى بروح القدس وبالقلم والحجاب الأبيض وهو الركن الأيمن أي النوراني الأعلى يعني الباطن ، لأن كل ما بطن فهو أعلى رتبة مما ظهر وهو أول خلق من الروحانيين وأول غصن نبت من شجرة الخلد

= عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورٌ أَلْسُنَاتٍ وَالْأَرْضُ مِثْلُ نُورِهِ كَيْشْكُورٍ ﴾ فاطمة عليها السلام ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ الحسن المصباح ﴿ فِي نَيْجَابَةٍ ﴾ الحسين الزجاجة ﴿ كَانَتْهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ يكاد العلم ينفجر بها ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ يهدي الله للأئمة عليهم السلام من يشاء ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ﴾ (الحديث ، انظر عوالم العلوم للبحراني : ١٥ / ٢١ - ٢٢ ح ١٣ ، وتفسير البرهان ٢ / ١٣٦ ح ١٦ ، وإلزام الناصب : ١ / ٧٨ ، وجواهر العقدين : ٢٤٤ الباب الرابع من القسم الثاني . .

(١) سورة هود ، الآية : ٧ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

خلقه الله عن يمين العرش يعني عن يمين السلطنة والمملكة الدائمة الكاملة^(١).

٣ - الكون الهوائي

والثالث : الكون الهوائي أعني الروح الكلية والحجاب الأصفر حجاب الذهب وأصل البراق أنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وهو ركن العرش الأيمن النوراني الأسفل لأنه ظاهر بالنسبة إلى نور العقل .

٤ - الكون المائي

والرابع : الكون المائي وهو الحجاب الأخضر حجاب الزمرد أو الزبرجد على اختلاف الروايتين ، وهو ركن العرش الأيسر يعني الظلماني الجسماني أي المنسوب من جهة ارتباط فعله بالأجسام إليها والأعلى أي الباطن والنفس الكلية واللوح المحفوظ .

٥ - الكون الناري

والخامس : الكون الناري وهو الحجاب الأحمر يعني الطبيعة الكلية وقصبة الياقوت كما في بعض الروايات وهو الركن الأيسر

(١) في نسخة أخرى : الخالدة .

أي الظلماني الجسماني كما تقدم الأسفل يعني أنه ظاهر بالنسبة إلى الأخضر وهو عن يسار العرش أي ظاهره .

٦ - كون الأظلة

السادس : كون الأظلة سمي بذلك لأنه كالظل يرى ولا يدرك باللمس وهو جوهر الهباء الآخر يعني آخر المجردات الدهريات وهو المواد البسيطة المحصصة بالمهمات بالحصص الشخصية ، وكون الذر الثاني يعني أنّ الكون السادس هو عالم الأظلة والذر وهو هنا أي الذر الهباء المنبث في الهواء شبهت تلك الحصص بالهباء المنبث في الهواء لصغرها بالنسبة إلى سعة ذلك الفضاء وإلا فهُم على قدر حجمهم الظاهري ، كما إذا كان شخص تحت الجبل فإنك تراه لبعده المكان وصغره بالنسبة إلى الجبل كالذرّ وأصغر من غير أن يصغر حجمه في نفسه ، وسُمّي بالأظلة لما قلنا من أنه كالظل يرى ولا يمس ، فكون الأظلة وكون الذرّ واحد لأنه عليه السلام : قال : (والكون السادس أظلة وذرّ)^(١) .

وإنما قلنا : الذرّ الثاني ، لأن الذرّ متعدد باعتبار تعدد رتبته أو اعتبار المعترين الأول وهو المعاني في العقول ، والذرّ الثاني هو الصور الجوهرية في النفوس والثالث هو ما في هذه الدنيا ، والرابع ما في الآخرة .

(١) لم نعر على هذه الرواية في المصادر التي لدينا .

وبين الأول والثاني برزخ هو الأرواح والرقائق وهو عالم الورق الخضر وورق الآس .

وبين النفوس والأجسام عالم المثال والأظلة الحقيقية والأشباح وهي أبدان نورانية لا أرواح لها أي لا مواد فيها .

وبين الدنيا والآخرة عالم البرزخ في القبور بعد الموت ، وقيل الذرّ الأول عالم النفوس والثاني ما في هذه الدنيا ، وقيل الأول ما في الدنيا والثاني ما في الآخرة ، وقيل غير متعدد^(١) وهو مجاز على المكلفين في هذه الدار .

والأصح الحقيق بالتحقيق الأولى بالتصديق هو الأول .

إطلاقات العرش ومعانيه

قلت : ثم العرش محدد الجهات ثم الكرسي ثم فلك البروج ثم فلك المنازل ثم من فلك الشمس في زحل وفي القمر ثم من الشمس في المشتري وفي عطارد ، ثم من الشمس في المريخ وفي الزهرة ثم ينزل إلى الأذهان صورته بتسخير شمعون وسيمون زيتون لجنودهم وأعوانهم من الملائكة الموكلين بفلك عطارد وما حمل من متماماته وحامله ومديره وتدويره وكوكبه وأشعته .

(١) في نسخة أخرى : وقيل الذر متعدد وهو جار .

أقول : اعلم أن العرش له إطلاقات في أخبار الأئمة عليهم السلام :

١ - فتارة يطلق على الوجود الراجح كالمشيئة وكأول فائض عنه .

٢ - وتارة يطلق على الملائكة الأربعة العالين التي هي الأنوار الأربعة الأحمر والأصفر والأخضر والأبيض التي هي أركان العرش ، لأن العرش ينقسم إليها .

٣ - وتارة على الدين كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾^(١) يعني أنه تعالى حمل دينه العلم فالعلم حامل له .

٤ - وتارة على الملك كما قال تعالى : ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾^(٢) يعني ربّ الملك العظيم .

٥ - وتارة على العلم الباطن الذي فيه علل الأشياء وعلم الكيفوفة ومنه مظهر البداء والكرسي على العلم الظاهر أعني صور المعلومات ومثلها - بضم الميم والثاء المثناة - وأظلتها الكونية والعرضية .

٦ - وتارة على العلم المؤدي أوامره ونواهيهِ إلى المكلفين

(١) سورة هود ، الآية : ٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٢٩ .

كما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةً ﴾^(١) أنهم : (أربعة من الأولين : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام : وأربعة من الآخرين : محمد صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام)^(٢) .

٧ - وتارة يُطلق على ما سوى الله .

٨ - وتارة يُطلق على محدد الجهات .

وقد أشارت الروايات إلى هذه الإطلاقات ، ونحن إنما نذكر محدد الجهات ، لأن أكثر غيره أو كَلِّه أو غيره داخل^(٣) فيما ذكرنا من الخزائن قبل المحدد^(٤) وهو الخزانة الرابعة عشرة وهو

(١) سورة الحاقة ، الآية : ١٧ .

(٢) عن يحيى بن سليمان المازني ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : (من زار قبر ولدي علي كان له عند الله كسبعين حجة مبرورة) ، قال : قلت : سبعين حجة ؟ قال : (نعم وسبعين ألف حجة) ، قال : قلت : سبعين ألف حجة ؟ قال : (رب حجة لا تقبل من زاره وبات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه ؟ قال : نعم إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأما الأربعة الذين هم من الأولين ، فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم ، ثم يمد المضمار فيقع معنا من زار قبور الأئمة عليهم السلام إلا أن أعلاهم درجة وأقربهم حبة زوار ولدي علي عليهم السلام) . الكافي : ٤ / ٥٨٥ ح ٨٢٠٣ ، وأمالى الصدوق : ١٨٢ ح ١٨٦ .

(٣) في نسخة أخرى : أو كله داخل .

(٤) في نسخة أخرى : من الخزائن قبله وهو المحدد .

خزانة القلوب والكرسي وفلك البروج وفلك المنازل وفلك زحل
والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر فهذه عشر^(١)
خزائن ، فالكرسي للعلوم الكلية وفلك البروج للنوعية والمنازل
للصنافية وزحل للعقول والمشتري للنفوس والمريخ للأوهام
والشمس للوجود الثاني والزهرة للخيالية وعطارد للفكرية والقمر
للحياة .

بيان أن الشمس أول ما خلق من الأفلاك السبعة

وأما قولنا : من الشمس في زحل والقمر ، إلخ ، فنشير إلى
سرّ ، وهو أن الشمس كما هو مقرّر في الطبيعي المكتوم هي أول
ما خلق الله من الأفلاك السبعة فدارت الأفلاك عليها يستمدون
منها فوقها وتحتها لأنها إنما كانت منشأ الوجود الثاني لأنها مهبط
الأنوار العلوية^(٢) فهي تستمد من نفس النور الأبيض وتمد زحل
ومن صفته ، وتمد القمر وتستمد من نفس النور الأخضر وتمد
المشتري ومن صفته وتمد عطارد وتستمد من نفس النور الأحمر ،
وتمد المريخ ومن صفته وتمد الزهرة ثم تنزل صورته إلى الأذهان
بتسخير الملائكة الثلاثة الموكلين بفلك الفكر وهو فلك عطارد
الكاتب وهم شمعون وسيمون وزيتون المسبحون باسم الله

(١) في نسخة أخرى : عشرة .

(٢) في نسخة أخرى : العلوي .

المحصي ، ولهؤلاء الملائكة الثلاثة جنود وأعوان من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله حتى قيل ليس واحد من السماوات فيه ملائكة بقدر فلك عطارد ، وتلك الجنود والأعوان موكلون بفلك عطارد من قبل الملائكة الثلاثة و^(١) بما حمل ذلك الفلك من متمماته الأربعة وكوكبه وحامله ومديره وتدويره ، وأشعة هذه المذكورات أعني نهاياتها وحركاتها ونهاياتها ، هذا إذا كان الشيء النازل صورة ، لأن الذهن هو محلها المقوم لها ولو كان الشيء جسماً أو جوهرأ وضعه الله في محله المقوم له ومن فلك المحدد تخلق القلوب ومن الكرسي النفوس والعلوم الكلية وأنواعها في فلك البروج وأصنافها في فلك المنازل ومن فلك زحل العقول أي التعقلات ، لأن العقول هي القلوب وهي من الفلك المحدد ، وأما زحل فهو بمنزلة ما في رأس الإنسان من عقله فإن العقل هو القلب وهو في الصدر قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(٢) وأما ما في الدماغ من العقل فإنه وجهه وبصره وباطنك كظاهرك فإنك في الصدر وترى بالرأس كذلك باطنك ، ومن المشتري الذاكرة وهي العلم الذي وصل إليه من الزهرة ويؤديه إلى الكرسي في حال الترقي كما في حال

(١) في نسخة : أو .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٤٦ .

التنزل ، ومن المريخ الأوهام ومن الشمس التكوين الثاني ، ومن الزهرة الخيالات ، ومن عطارد الأفكار ومن القمر الحياة ، فإذا قدر الله تعالى وأذن بشيء من الصور أو^(١) الهيئات أن يتنزل من الخزائن المشار إليها تلقته الملائكة الثلاثة وسلموه إلى الأعوان بإذن الله تعالى ، وتنزله الأعوان بإذن الله بواسطة تلك الحركات والكواكب والأسماء التي هي الممدة لهم إلى الأذهان ولذا :

في كل ما ينزل من الحضرة الإلهية ينزل بإذنٍ وأجلٍ وكتابٍ

قلت : وإنما ينزل إلى الذهن بعد أن ينزل من الخزانة العليا إلى ما دونها وهكذا إلى أن يصل إلى الذهن فقوله تعالى : ﴿ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾^(٢) يشير إلى أن ذلك النازل من كل مرتبة إنما ينزل بإذنٍ وأجلٍ وكتاب .

أقول : وهذا ظاهر ومعنى (إنما ينزل بإذنٍ وأجلٍ وكتاب) : أن كل شيء نزل من تلك الخزائن لا ينزل من العليا إلى ما دونها إلا إذا أذن الله له في النزول في وقت معين بعد أن يكتب تنزله في الألواح ، أعني نفوس الأشياء وذواتها وصفاتها من الجمادات والنباتات والحيوانات مما فوّه إلى رتبة ما نزل إليه ، وإذا نزل من

(١) في نسخة : و .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

العليا إنما ينزل منه ما هو مثل له وحقيقته^(١) باقية في الخزانة لا تخلو منها أعني الخزانة التي نزل منها مثل ما ينزل من النار التي في الحجر بالحكّ فإن حقيقتها في الحجر باقية ويظهر منها نار مثلها من غير أن يتصور نقص في الحقيقة التي في الحجر فافهم .

في أن الخزائن كلها من الوجود الخارجي

قلت : وهذه المراتب كلها من الوجود الخارجي ، وما في الذهن كما في المرآة فإنه وجود خارجي .

أقول : إن ما في هذه المراتب المذكورة أعني الخزائن كلها من الوجود الخارجي ، وهي أصول لما في الذهن فيكون ما في الذهن إنما ينتقش فيه منها أظلة ما فيها كما في المرآة ، وإنما تنتقش فيها أظلة ما يقابلها ، مع أنك تحكم بأن ما في المرآة من الوجود الخارجي كذلك ما في الذهن لأنه عزّ وجلّ يضع كلّ شيء خلقه في محله اللائق به الذي يكون مقوماً له ، فوضع الشخص في مكانه من الأجسام ووضع مثاله في محل اللائق به الذي يكون مقوماً له وهو الذهن والكل من الوجود الخارجي ، وإنما اصطالحوا إلى تقسيمه إلى^(٢) هذين القسمين للفرق بين محل ما للغيب وبين محل ما للشهادة .

(١) في نسخة : حقيقة .

(٢) في نسخة أخرى : على .

بيان أقسام الخزائن : خزائن الذوات وخزائن الصفات

قلت : ثم ما في هذه المراتب التي هي الخزائن قسمان : أصل وظل ، والمنتقش في مرآة الذهن إن كان من الأصل انتقشت صورته وإن كان من الصورة انتقشت صورة الصورة مع مرآتها ، إلا أن الذهن إنما ينتقش فيه على قدره من جهة الكمّ والهيئة والكيف ، فإن كان صافياً مستقيماً حكى ما في المقابل بلا تغيير ، وإلاّ اختلف المنتقش فيه في الكمّ بكمّ الذهن ، وفي الهيئة بهيئة الذهن من الطول والعرض والاعوجاج والانحراف ، وفي الكيف بكيفه من بياض أو سواد وغير ذلك ، وذلك كاختلاف صورة الوجه الواحد في المرايا المتعددة المختلفة كذلك .

أقول : إن الذهن لما ثبت أنه ليس فيه إلا ما انتقش من ظل المقابل لأنه بحكم المرآة ، وأن الخزائن قسمان لخزائن للذوات وخزائن للصفات كان المنتقش منها في الذهن إن كان من الأصل انتقشت فيه صورته المنفصلة بنفسها ، أعني ظل صورته القائمة به وإن كان المنتقش فيه من الظل انتقشت فيه صورة الصورة مع مرآتها التي انتقشت فيه إلا أن الذهن تنتقش فيه الصورة على قدره من الكمّ أي على قدر الذهن من جهة كمّ الذهن أي سعته وكبره وصغره ومن جهة هيئته من استقامته واعوجاجه وانحرافه وطوله

وعرضه ومن جهة كيفه من بياضه وسواده وغيرهما ، وآيته المرآة فإن صورة المقابل تنتقش فيها بنسبة كمّها وهيئتها وكيفها وهذا معنى قولنا : (فإن كان صافياً مستقيماً) إلى آخره وهذا ظاهر .

قلت : هذا إذا كان ما في الذهن من ظل الحق فإن كان ما فيه من ظل الباطل انتكس إلى أسفل فقابل الذي في خزائن الشمال ، وهي ثماني عشرة خزانة منكوسة كلّ ما فيها دعاوى لا حقائق إلاّ أنها تشبه ما في الحق كلّ خزانة تشابه ضدها فينتقش فيه ما قابله مع ما في الذهن من الهيئة والكيف وما له من الكمّ .

أقول : ما ذكرنا كلّه إذا كان ما في الذهن من ظل الحق أو ظل ظل الحق أعني ما هو مثبت في كتاب الأبرار أعني عليين وهو الصفحة الأولى النورانية من اللوح ، وأما إن كان ما في الذهن من ظل الباطل انعكس الذهن أي نكس وجهه إلى جهة السفلى مكبّاً على وجهه ﴿ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(١) فإذا انتكس قابل ما في خزانة الشمال وهي الصفحة السفلى الظلمانية من اللوح وهو ما أثبت في كتاب الفجار أعني سجين من مثل الباطل بضم الميم والثاء المثلثة المجتثة كما قال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ

(١) سورة السجدة ، الآية : ١٢ .

قَرَارٍ ﴿^(١)﴾ يعني ما لها من ثبات مستند إلى الحق المتأصل الثابت الأصل ، بأن يرجع ثبوته إلى ما يكون بفعل الله تعالى بالذات ولو بوسائط متعددة .

بيان الخزائن الثماني عشرة

وهذه المثل المجتثة ثماني عشرة خزانة مع عدّ مبدئها منها أعني الجهل ، وما فوقه وهو ما تحت الثرى وذلك بلحاظ غيبها وشهادتها وتفصيل ذكرها :

الجهل الأول وفوقه روح الباطل ونفس الباطل المسمّى بالثرى ، والطمطمام أي الظلمة وجهنم بطبقاتها السبع أعني أبوابها تعدّ كلها خزانة واحدة ، والريح العقيم والبحر والحوت والثور والصخرة والملك الحامل للأرضين السبع والأرضون السبع بلحاظ نفوسها ، نفس الجحود ونفس الإلحاد ونفس الطغيان ونفس الشهوة ونفس الطبيعة ونفس العادات ونفس الممات فهذه ثماني عشرة خزائن ^(٢) تقابل مثلها من الحق أولها العقل الكلي وروح الكل ونفس الكل وطبيعة الكل وجوهر الهباء والمثال ومحدد الجهات والكرسي وفلك البروج وفلك المنازل والسموات السبع بلحاظ نفوسها العقل أي التعقل كما مرّ .

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٦ .

(٢) في نسخة أخرى : خزانة .

والعلم والوهم والوجود الثاني والخيال والفكر والحياة ، وكل واحدة من خزائن الباطل تقابل ما يشابهها من خزائن الحق ، إلا أنها ترجع إليها من حيث هي لا من حيث رجوعها إلى الحق وإلا لكانت حقاً بل على حدّ قوله تعالى : ﴿ وَجَدْتُهُا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ﴾ (١) .

وهذه الثماني عشرة الخزائن الباطلة كلها دعاوى أي باطلة وكذب لا حقائق ، لأن الحقائق إنما تكون للحق ولو كان للباطل حقيقة لما كان باطلاً ، إلا أنها تشابه الحق لأنها تدعي الحق أو يدعى بها الحق دعوى باطلة ولأجل كونها مشابهة للحق سماهما الله في أنفسهما باسم واحد وشبههما بتشبيه واحد ، فقال تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢) الآية ، فسُمي الباطل زبداً وسمي الحق زبداً مثله .

وقال تعالى : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ (٣) .

(١) سورة النمل ، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ١٧ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (١) الآية ، وانتقاش الباطل في الذهن على نحو انتقاش الحق فيه إلا أن الحق لما كان أصله ثابتاً كان قاراً في الذهن كما هو قارٌّ في الخارج .

وأما الباطل فهو دائماً متزلزل مضطرب ، والسرّ في ذلك أن الحق هيئة تكوينه وتكوينه هيئة الفطرة التي فطر الناس عليها فكان مستقراً في المحل المطابق له بخلاف الباطل لأنه مخالف للفطرة ، لأن الله عزّ وجلّ إنما فطر المكلفين على الحق فإن عمل المكلف بأمر الله كان موافقاً لما خلق عليه هيئته (٢) قال تعالى : ﴿ بَلْ أَلْبَسْنَاهُمْ لُغُوبًا يُدْكَرُهُمْ فَأَخَذَ اللَّهُ مِنْ ثَمَرِهِمْ مَا يُرِيدُ فَاغْوَى السَّيْطَانَ إِنَّهُ يَغْوِي الَّذِينَ يَشَاءُ وَإِذْ يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ أَسْمِعْ لَهُمْ سَوَاطِيرَ الْأَوْثَانِ بَلْ يَدْعُونَ بِهِمُ اسْمَ اللَّهِ رَغْوًا لِيُتَمَّ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَإِنَّ يَوْمًا يَكْفُرُ الْأَكْثَرُونَ ﴾ (٣) وإن لم يعمل بأمر الله كان مخالفاً للفطرة ، وإنما عمل بمقتضى ما طبع نفسه عليه مما تقتضيه شهوته وهوى نفسه اللذان هما خلاف الفطرة ، وذلك بعد أن غير الفطرة بفطرة طبيعية وبدلها بصورة نفسانية حيوانية أو شيطانية فكان للعاصي طبيعتان : أصلية هي مقتضى الإجابة في عالم الذرّ ، وعارضية هي ما طبع عليها حتى تغيرت فطرته ، ولكن الفطرة الأصلية لم تضحل أصلاً بل هي موجودة وفيها تغيير بمقتضى الأصلية ينكر المعصية كلما لحظ بها

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٦ .

(٢) في نسخة : كما .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ٧١ .

وبمقتضى العارضية يقبل المعصية لما بينهما من المناسبة كلما لحظ بها فهو لا يزال مضطرباً كما أخبر عنه تعالى فقال : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾^(١) لما فيه من مقتضى الموافقة ومقتضى المخالفة بخلاف المطيع ، فإن الله تعالى بطاعته يشرح صدره للإسلام ولو اضمحلت الفطرة الأصلية من العاصي لما عرف شيئاً من الحق وإذا لم يعرف لم تقم عليه الحجة ، نعم قد يكون بعض المكلفين الذين تبين لهم الحق فأنكروا كل ما تبين لهم حتى اطمأنت نفوسهم بمعصية الله وهؤلاء لم تفن منهم الأصلية ، وإنما عدم ميلها الارتباطي الذي يتعلق بأفعال الطاعة لعدم إمدادها بشيء من أعمال الخير فعدم ميلها الارتباطي بأفعال الخير وبقي ميلها الأصلي فيه^(٢) يعرف أنه عاص مقصّر وذلك من صنع الحكيم لئلا تكون للناس على الله حجة فلا يقولوا ما علمنا أو ما فهمنا فلذا قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾^(٣) .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥ .

(٢) في نسخة : فيه .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١١٥ .

في أن الشبح الذي في الذهن كلّه ظلي انتزاعي

قلت : وإنما قلنا إنه ظلي انتزاعي في غير ذهن علّة الموجودات لأنك لا تدرك ما غاب عن بصرك بخيالك إلا في وقته ومكانه ، ولا يمكنك أن تدرك شيئاً سمعته أو نظرته إذا غاب عنك أو غبت عنه إلا إذا التفتت نَفْسك إلى زمانه ومكانه الذي أدركته فيه أولاً فتدركه فيه وإن ذهب شهادته فإن غيبه لم يذهب كلما طلبته وجدته فيه .

أقول : إنما قلنا إن الشبح الذي في الذهن كلّه ظلي انتزاعي لأنك لا تدرك ما غاب عن بصرك بخيالك إلا في وقته ومكانه ، ولو لم يكن ظلاً منتزِعاً من الخارج لما احتاج في تصويره إلى الالتفات إلى جهة الخارجي ، لأن الذات لا تحتاج في تصورك لها إلى ما تتقوم به غير ذاتها بخلاف الصفة فإنك تحتاج إلى انتزاعها من موصوفها وهذا ظاهر ، نعم إذا كان الذهن ذهن علّة الشيء علّة مادية وعلّة صورية فإنه لا يحتاج إلى أخذه من غيره إذ ليس لذلك الشيء الموجود أصل ولا وجود غير ذهن هذا المتصور فإن ما في ذهنه علّة للخارجي والخارجي متنزل منه .

ولذا قلت : في غير ذهن علّة الموجودات لأنه لو عدم والعياذ بالله لساخت الأرض ، لأن وجوده هو أمر الله الذي به قامت

السموات والأرض وما فيهما وما بينهما بخلاف زيد وعمرو وأمثالهما من ذوي الأذهان فإن أحدهما إذا فقد لم يفقد شيء بفقده ولم يعدم شيء بعدمه فيكون جميع ما تجده في ذهنك أظلة منتزعة من وجود خارجي ، إما في عالم الشهادة مما رأيت أو في عالم الغيب مما سمعت به ولو بدلالة لفظ فإنه موجود في خلق الله قبل أن تقع صورته في ذهنك ، كما دلّ عليه كلام الرضا عليه السلام المتقدم ، وقد ذكرنا قبل أنك إذا رأيت زيدا يصلي يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رجب السنة الثالثة والثلاثين بعد المئتين والألف ، وهو اليوم الذي كتب فيه هذا الكلام في المسجد بقي مثاله وشبحة أعني ظله قائماً في ذلك المكان وذلك الوقت إلى يوم القيامة ، فكلما طلبت رؤيته التفت بمرآة خيالك إلى غيب ذلك المكان وذلك الوقت ، فإذا قابلته بمرآة خيالك انطبع فيها ذلك المثال في ذلك الوقت الذي رأيت يصلي فيه وفي ذلك المكان ، وهو بعينه عين الوقت الأول الذي رأيت فيه إلا أن الأول شهادته وهذا غيبه فأما شهادة ذلك فقد مضت وبقي غيبه ثابتاً إلى يوم القيامة كلما التفت بخيالك إليه رأيت ولو رأيت على معصية فكذلك ، إلا أن المكانين مختلفان في الغيب وإن اتفقا في الشهادة كما لو رأيت يصلي في الدكان ورأيت يسرق فيه أو يزني فإن المثال المصلي في العليين والمثال السارق والزاني في السجين والمكان الظاهر واحد والباطنان مختلفان ، وكذلك زيد

فإنه في الظاهر واحد وإذا صَلَّى فهو زيد المؤمن ، وإذا زنى فهو زيد الفاسق .

واعلم أن زيداً ما دام على معصية فأنت ترى ذلك المثل الزاني لازماً له وهو متصف به لابس له كالثوب وذلك المثل متقوم به وبأصله المنقوش في كتاب الفجار سجين ، فإذا تاب وعلمت ذلك منه إذا أتاك وجدت ذلك المثل منفصلاً عنه غير مرتبط به ولا متقوم به وإنما هو متقوم بأصله من سجين خاصة ، فإذا مات زيد على التوبة والإيمان والعمل الصالح أمر الله كلمته فمحت ذلك المثل من غيب ذلك المكان وذلك الزمان وأنسى الملائكة ذكره وستر بفضلته على عبده المنيب إليه سرّه وهو خير الغافرين وخير الساترين وهو ما :

قلت : كما لو ذكر لك زيد أنك كلمت عمراً أمس بكذا فإنك لم تذكره حتى تلتفت نفسك بخيالك إلى ذلك الوقت وذلك المكان فترى فيه عمراً بغيه وكلامك بغيه موجودين في الكتاب الحفيظ فيعطى الكتاب الحفيظ ذهنك صورة الشخص والكلام والوقت والمكان فتخبر عما انتقش في ذهنك من ذلك على نحو ما أشرنا إليه من كيفية الانتقاش .

أقول : إذا التفتت^(١) نفسك بخيالك إلى ذلك الوقت وذلك

(١) في نسخة : التفت .

المكان لتذكر أنك كلمت عمراً أمس بكذا وتذكر نفس كلامك وجدت الكلام ثابتاً بجميع حدوده ومشخصاته في ذلك المكان وفي ذلك الوقت فتنطبع صورة ذلك في صورة ذلك المكان في (١) صورة ذلك الزمان كلها في مرآة خيالك فتري عمراً بعينه أي ترى مثال عمرو بعينه وكلامك أي مثال كلامك بعينه موجودين ، والذي رأيته من كلامك ومن عمرو هو الشبح ، أعني الظل منهما لأنهما مكتوبان بهذه الهيئة في الكتاب الحفيظ اقتباس من قوله تعالى : ﴿ قَدْ عَلَّمْنَا مَا نَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (٢) أي حافظ لكل شيء ، وهو اللوح المحفوظ ومثل هذا ما قال تعالى حكاية عن سؤال فرعون لموسى وجوابه عليه السلام له ، قال : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ (٣) حيث كانوا تراباً واطمحلوا وضلوا في الأرض فكيف يرجعون ؟

قال : ﴿ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ (٤) فهذا الكتاب المكتوب فيه أعمال الخلائق بأمثالهم وأشباحهم يعطي ذهنك ما يقابله من صورة تلك الأمثال القائمة ومن أظلتها المنفصلة فتخبر عما حصل في ذهنك مما نقشه فيه القلم الخاص بك وينقشه على نحو ما ذكرنا سابقاً من الانتقاش .

(١) في نسخة : وصورة .

(٢) سورة ق ، الآية : ٤ .

(٣) سورة طه ، الآية : ٥١ .

(٤) سورة طه ، الآية : ٥٢ .

بيان أن لكل شيء غيباً وشهادة

قلت : واعلم أن الوقت الذي ذكرت فيه والمكان الذي رأيت فيه الشخص والكلام هي نفس ما رأيت أولاً في الزمان ، لأن الجسم المرئي بالبصر والكلام المسموع بهذه الأذن قبل هذا الذكر في الزمان وهو شهادتهما ، وأما إدراكك لحالتيهما في ظرفيهما ففي وقت واحد ومكان واحد ، ونظيره في غير الوقت لو كانت عندك كتابة في قرطاس فنظرت إليها في وقتين فإن المرئي والمكان واحد وما نحن فيه كذلك إلا أن الوقت واحد وهو وقت الأظلة من يوم الجمعة وقت العصر بعد الأذان والصلاة فإن كان بصرك حديثاً عرفت هناك ذلك الشخص هل صلى أم لا ؟ فافهم .

أقول : مرادي أن كل شيء فله غيب وشهادة فأما شهادته فتدركها الحواس الظاهرة ، وأما غيبه فتدركه الحواس الباطنة كالخيال والنفس والروح والعقل على تفصيل ما ذكرنا فيما سبق الإشارة إليه^(١) ، فالوقت الذي ذكرت فيه الشخص وكلامك معه ومكانهما ، هو باطن ما أدركته بالحواس الظاهرة ولو ذكرته مرة ثانية وثالثة ، سواء كانت بين الذكرين مدة طويلة أم قصيرة كان

(١) في نسخة أخرى : عليه .

الوقت والمكان والمذكور فيهما هو بعينه ما ذكرته قبل ذلك تعدد الذكر أم اتحد ، لأن المثل مكتوبة بوقتها ومكانها في اللوح وأنت تقابله بإدراكك الباطن فينتقش فيه ذلك المنتقش الأول بعينه ، وهذا معنى قولي : هي نفس ما رأيت أولاً في الزمان يعني بحواسك الظاهرة إلا أن الجسم المرئي بالبصر والكلام المسموع بهذه الأذن قبل هذا الذكر في الزمان ، ولهذا قلت وهو أي المرئي بالعين والمسموع بالأذن شهادتهما أي الشخص والكلام وغيبهما هو الذي أدركته بالذكر بالخيال أو بالنفس ، ومرادي باتحاد الحالتين أن ما أدركت من حالتي الشخص والكلام في وقت واحد ومكان واحد وكنت أنت معهما في زمان واحد ومكان واحد فلما سرت في سفينة الزمان وتجاوزتهما بقيا^(١) في مكانهما ووقتهما فإذا التفت إليهما لم تر شهادتهما لبعده عنهما وذلك لسرعة سيرك في سفينة الزمان وضعف بصرك وسمعك الظاهرين وصغرهما ولكنك تراهما بغيبك بعينك الباطنة لقوته وسعته فتراهما أبداً في ذلك المكان وفي ذلك الوقت .

وإذا أردت مثاله فنظيره في غير الوقت الظاهر لأنني لو لم أستثن لك ذلك الوقت لاشتبه المثل عليك ، مع أن مغايرة الوقت أيضاً في الأول كذلك إذا لم ترد الوقت الظاهر فإنه في الممثل

(١) في نسخة أخرى : بقيا في .

والمثل متحد ، وإذا أردت الوقت الظاهر ظهر لك التغير فيحصل لك الاشتباه في التنظير ، فلذا استثنيت الوقت يعني الظاهر وهو شهادة الوقت الذي لا تزال تراهما فيه كلّ ما ذكرتهما فنظيره لو كان عندك كتابة في قرطاس فنظرت إليها في وقتين ، فإن المرئي والمكان واحد ، إذ المرئي هو الكتابة في كلّ وقت ولم تر غيرها والمكان هو القرطاس لم تر غيره لكن الوقت الأول لرؤيتك للقرطاس والكتابة غير الوقت الثاني ، لأن الزمان باعتبار سير أهله عنه غير قار الذات وإن كان في نفسه قار الذات ، فإذا استغربت كلامي هذا لما ملأ سمعك من أنه غير قار الذات فأنا أقول لك الآن : الواحد من الزمان حين حضرك قبل أن يفنى كما يتوهمون هل كان داخلاً في ملك الله سبحانه وفي قبضته أم لا . فإن قلت : كان داخلاً^(١) في قبضته كما هو حكم الإسلام عليك . قلت لك فإذا بعد أن يمضي عنك أو تمضي عنه ويأتيك آن آخر كان الأول خارجاً عن ملك الله وعن قبضته حتى تحكم عليه بأنه كان عدماً محضاً .

فإن قلت : خرج فهو الكفر والعياذ بالله ، وإن قلت : لم يخرج .

قلت : هذا حق إلا أنك انتقلت عنه إلى وقت غيره وبقي في مكانه فإذا عملت بقول سيدنا الرضا عليه السلام : (قد علم

(١) في نسخة أخرى : داخلاً وفي .

أولو^(١) الألباب أن الاستدلال على ما هناك^(٢) لا يعلم^(٣) إلا بما
ها هنا^(٤) .

فانظر فإنك حين خرجت من أصفهان وأتيت العراق قد
عدمت عندك^(٥) أصفهان كما عدم عندك^(٦) الزمان وأصفهان باقية
في مكانها على ما هي عليه ، كذلك الزمان الذي تجاوزت عنه
فإنه باق في مكانه على ما هو عليه وذكرك له ورؤيتك له بخيالك
وبنفسك كذكرك لأصفهان ورؤيتك لها فافهم .

وقولي : (وما نحن فيه كذلك إلا أن الوقت واحد) ، أريد أن
رؤيتك للكتابة في القرطاس كرؤيتك للشخص وكلامك له إلا أن
رؤيتك للكتابة^(٧) في المحسوس ، فيختلف وقت الرؤية وما نحن
فيه ليس من المحسوس فلا يختلف وقته لأنه من الدهر لا من
الزمان كوقت المثل بل يكون هذا وقته واحداً في كل وقت ذكرته

(١) في التوحيد والبحار : ذوو .

(٢) في نسخة : هنالك .

(٣) في التوحيد والبحار : لا يكون .

(٤) شرح الأسماء الحسنی : ١ / ٤٢ ، والتوحيد : ٤٣٨ باب بيان علّة إرادته
تعالى ، والبحار : ١٠ / ٣١٦ باب ١٩ ح ١ ، عيون أخبار الرضا عليه
السلام : ٢ / ١٥٦ .

(٥) في نسخة أخرى : عنك .

(٦) في نسخة أخرى : عنك .

(٧) في نسخة أخرى : مسألة رؤية الكتابة .

وهو وقت الأظلة أعني النفوس من يوم الجمعة أي وقت اجتماع النفوس بأفعالها مع الأجسام وهو وقت العصر ، يعني أنّ عند تعلق النفوس بأفعالها بالأجسام حتى تعلقت بها تعلق التدبير عصر منهما^(١) أي خلق مما اجتمع منها^(٢) الإنسان الذي هو محل ذلك الذكر وذلك الإدراك الذي هو الوقت المذكور هو وقت إدراكه وذكره بعد الأذان أعني الإعلام في الدعوة بقوله : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمحمد نبيكم وعلي وليكم ؟)^(٣) .

(١) في نسخة أخرى : منها .

(٢) في نسخة أخرى : منهما .

(٣) عن حرمان ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إنَّ الله - تبارك وتعالى - حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً ، وماءً مالِحاً أجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون : إلى الجنّة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ . ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وأنّ هذا محمّد رسولي ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ ، فثبت لهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولي العزم أنّي ربكم ، ومحمّد رسولي ، وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولاة أمري ، وخزّان علمي ، وأنّ المهديّ أنتصر به لديني ، وأظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا ربّ وشهدنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، ومختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : (أنت الذي احتجّ الله بك في ابتداعه الخلق حيث أقامهم أشباحاً ، فقال لهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا : بلى ! =

والصلاة هي الصدق ، في قوله : ﴿ بَكَى ﴾ ، يعني بلسانه وقلبه عارفاً بذلك مصدقاً مسلماً وبالتسليم تمت الصلاة ، فإن كنت ممن لطف حسّه ودقّ فهمه وأجاب علمه عمله^(١) حين هتف به كما قال صلى الله عليه وآله : (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه ثبت وإلا ارتحل عنه)^(٢) ، إذا نظرت إلى كلّ شخص عرفته أمره هل صلّى هناك ، أي أجاب بقلبه ولسانه مصدقاً مسلماً أم لا ؟ .
وهذه المسألة ذكرتها استطراداً عند ذكر وقت الذكر لا أنها^(٣) مما نحن .



- = وقال : محمد رسولكم ؟ قالوا : بلى . قال : وعلي أمير المؤمنين ؟ فأبى الخلق جميعاً إلا استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين) أمالي الصدوق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .
- (١) في نسخة أخرى : أجاب عمله علمه .
- (٢) عوالي اللآلي : ٤ / ٦٦ ح ٢٦ ، وانظر الكافي : ١ / ٤٤ ح ٢ رواه عن الصادق عليه السلام ، وشرح أصول الكافي : ٢ / ١٣٦ ، ميزان الحكمة : ٣ / ٢٠٩٣ .
- (٣) في نسخة : لأنها .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث
- الفهرس الموضوعي
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الرقم	الآية
سورة البقرة		
٤٧	٢٠	﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾
٩	٢٩	﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
٢٧٢	٧٩	﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾
٢٧٧	٨٨	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾
٨٩	١٠٥	﴿ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾
١١٤	١٦٤	﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

- ١٤٦ ، ١٤٩ ١٨٧ ﴿ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ ﴾ -
 ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ
 مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾

سورة النساء

- ٥٨ ١ ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ -
 ٢٣٢ ٨٠ ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ -
 ١٦٧ ، ٣٨ ١٥٥ ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ -
 ٢٧٧ ، ٢٦٧ ، ١٧٠

سورة المائدة

- ٣٢ ٥٤ ﴿ أَعَزُّوا عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴾ -

سورة الأنعام

- ١٣٧ ٧ ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ﴾ -
 ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ
 ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي
 السَّمَاءِ ﴾
 ٢٩٩ ١٢٥ ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ
 عَلِيمٌ ﴾

١٧٠ ، ٨٦ ١٣٩

سورة الأعراف

- ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا
ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
- ٢٧١ ٢٨
- ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
- ٢٣٨ ٢٩
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ﴿٥٤﴾
- ١٣٠ ٥٤
- ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴿٥٤﴾
- ١٩٤ ٥٤
- ﴿سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿٥٧﴾
- ١١٠ ٥٧
- ﴿سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ ﴿٥٧﴾
- ١١٤ ٥٧
- ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴿١٧٢﴾
- ١٦٦ ، ١٥٨ ، ٦٧ ١٧٢
- ١٧٧ ، ١٧٤ ، ١٥٨
- ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴿١٧٢﴾
- ٢٧٣ ١٧٢
- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ
وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
- ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٥ ١٧٩

سورة الأنفال

- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾
 ٢٦٨ ، ٢٣٠ ١٧
- ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾
 ٢٦٧ ٤٣

سورة التوبة

- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
 ٢٠٤ ٣١
- ﴿لَا يَرَأَىٰ بُنْيَانُهُمُ اللَّذَىٰ بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾
 ٢٠٣ ١١٠
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾
 ٢٩٩ ١١٥
- ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾
 ٢٨٨ ١٢٩

سورة يونس

- ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾
 ١٣٦ ٤٩
- ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾
 ٢١٩ ٦٦

سورة هود

- ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾
 ٢٨٨ ، ٢٨٤ ٧

- ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

٢٧٤ ١١٨ ، ١١٩

سورة الرعد

- ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

٢٧١ ، ٢٦٦ ١٦

- ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ يَقْدَرُهَا فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ﴾

٢٩٧ ١٧

- ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾

٢٠٧ ٣٩

سورة إبراهيم

- ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾

٢٩٧ ٢٤

- ﴿ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾

٢٩٧ ، ٢٩٥ ٢٦

سورة الحجر

- ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ ١٩ ١١٠ ، ١١٣
- ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا
نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ ٢١ ٢٦٥ ، ١٣٤
- ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ ٢١ ٢٧٩
- ﴿ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ ٢١ ٢٩٢

سورة الإسراء

- ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ٨٢ ٩٠
- ﴿ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ ﴾ ٨٦ ٢٣١ ، ٢٠٦

سورة مريم

- ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ ٦٧ ٢١٨

سورة طه

- ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
سَعَىٰ ﴾ ١٥ ٨٦

- ﴿ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيْةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ ﴾
- ٢٢٣ ٢٠ ، ١٩
- ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾
- ٣٠٣ ٥١
- ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾
- ٣٠٣ ٥٢

سورة الأنبياء

- ﴿ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾
- ٨٦ ١٨
- ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسْحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْرَءُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾
- ٢٣٣ ٢٠ ، ١٩
- ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾
- ٢٢٨ ٢٣
- ﴿ لَا يَسْأَلُونَكَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾
- ٢٣٢ ٢٧
- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾
- ١١٤ ، ١١٣ ٣٠

سورة الحج

- ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾
- ٢٩١ ٤٦

سورة المؤمنون

- ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُفَضِّلَ عَلَيْكُمْ ﴾
- ١٦٦ ٢٤

- ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ
أَيَّبْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ
ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾

١٧٣ ، ١٧١ ٧١

- ﴿ بَلْ أَيَّبْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ
ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾

٢٩٨ ٧١

سورة النور

- ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ ﴾

٢٨٤ ، ١٩٤ ، ١١ ٣٥

- ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

٢٢٧ ٣٩

سورة النمل

- ﴿ وَجَدْتُمْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ﴾

١٥٥ ، ١٥١ ٢٤

- ﴿ وَجَدْتُمْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ﴾

٢٩٧ ٢٤

سورة العنكبوت

- ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانِ ﴾

٢٩ ٦٤

سورة الروم

- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾
 ٢٥ ١٨٣
- ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
 ٤٠ ١٣

سورة لقمان

- ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً ﴾
 ٢٨ ٢٣٩ ، ١٣١

سورة السجدة

- ﴿ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾
 ١٢ ٢٩٥ ، ٣٨
- ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾
 ٢٧ ١٠٥
- ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾
 ٢٧ ١٠٩

سورة يس

- ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾
 ٣٨ ١١٢ ، ١١٠

سورة الصافات

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ - ١٦٤ ، ٨١ ، ٢٨١

سورة غافر

﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ - ٦٠ ، ١٣٨

سورة فصلت

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ - ٣٠ ، ٢٢٥

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ - ٤٦ ، ١٧٥

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ - ٥٣ ، ١٠١ ، ١٣٠

سورة الشورى

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ - ١١ ، ١٥٣

سورة الزخرف

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ - ٦٠ ، ٢٣١

﴿ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ - ٨٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠

سورة الجاثية

﴿ كُلُّ أُمَّةٍ نَدَعَىٰ إِلَىٰ كِنَانِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ ﴾ -

تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ
بِالْحَقِّ ﴿٤﴾

٢٣٩ ٢٨ ، ٢٩

سورة ق

- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا نَنْقُصُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا
كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾

٣٠٣ ٤

- ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

٥٠ ١٥

- ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ
شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾

١٣٤ ، ٦٤ ٣٧

سورة الذاريات

- ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

١٨٩ ٤٩

سورة الطور

- ﴿وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ
مَنْشُورٍ ﴿٣﴾

١٣٧ ٣ ، ٢

سورة القمر

- ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾

٢٣٩ ٥٠

سورة الواقعة

- ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٦٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ
أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ ﴿٦٤﴾
- ٢٦٨ ٦٤ ، ٦٣

سورة الحديد

- ﴿ وَظَهَرُوا مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ ١٣
- ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ٢١
- ٣٢ ١٣
- ٨٩ ٢١

سورة الملك

- ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١
- ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّكُمْ عَلَيْهِ
بِدَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللطيف الخبير ﴿١٤﴾
- ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيف الخبير ﴾
- ١٣١ ١
- ٢٦٦ ، ٢٥٨ ١٤ ، ١٣
- ٩ ١٤

سورة الحاقة

- ﴿ وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَمِينٌ ﴾ ١٧
- ٢٨٨ ، ٢٧ ١٧

سورة نوح

- ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ ١٤
- ١٣٣ ١٤

سورة المطففين

- ٩٩ ٧ ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ -
- ﴿ ٧ ﴾ ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ -
- ١٦١ ٩ ، ٧ ﴿ ٨ ﴾ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ﴿ ٩ ﴾ ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ -
- ٩٩ ١٨ ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلْتَيْنَ ﴾ -
- ﴿ ١٨ ﴾ ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلْتَيْنَ ﴾ -
- ﴿ ١٩ ﴾ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلْتُونَ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ -
- ٣٠ ٢١ - ١٨ ﴿ ٢٠ ﴾ ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿ ٢١ ﴾ -

سورة الانشقاق

- ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَيَّ رَبِّكَ ﴾ -
- ٨٦ ٦ ﴿ كَذَّبًا فَلَمَلَيْتِيهِ ﴾ -

سورة الزلزلة

- ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ -
- ﴿ ٧ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا ﴾ -
- ٨٧ ٨ ، ٧ ﴿ ٨ ﴾ ﴿ يَرَهُ ﴾ -

سورة الإخلاص

- ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ -
- ٤٦ ١

فهرس الأحاديث

حرف الألف

- (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ٦٥ ، ٢١٥
- (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، يعني بنوره الذي خُلِقَ
منه) ٦٦
- (إذ كان الشيء من مشيئته) ١٢٣
- (إلا أنهم عبادك وخلقك) ٢٣٢
- (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف) ٢٤٥
- (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف) ٢٤٩
- (السعيد من سعد في بطن أمه) ٥٨
- (السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي
في بطن أمه) ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٧٠
- (العبوديةُ جوهرةٌ كُنْهها الربوبيةُ) ٥٤ ، ١٩١

- (العُبوديةُ جَوْهرَةٌ كُنْهها الرُّبوبيَّةُ فَمَا فُقِدَ في العُبوديةِ وُجِدَ في الرُّبوبيَّةِ، وما خَفِيَ في الرُّبوبيَّةِ أُصِيبَ في العُبوديةِ) .. ١٠٢ ، ١٣٠
- (العلمُ نقطةٌ كَثُرَها الجاهلون) ١٣٩
- (العلمُ يهتَفُ بالعملُ فإنَّ أجابَهُ ثَبِتَ وإلَّا ارتحلَ عنهُ) ٣٠٩
- (الفقرُ سوادُ الوجهِ في الدارينِ) ١٥٣
- (إنَّ اللهَ خلقَ المؤمنينَ من نورهِ) ٦٥
- (إنَّ اللهَ خلقَ المؤمنينَ من نورهِ وصبغَهُم في رحمتهِ فالمؤمنُ أخو المؤمنِ لأبيهِ وأمهُ أبوهُ النورِ وأمهُ الرحمةُ) ٦٤
- (إنَّ اللهَ خلقَ المؤمنينَ من نورهِ وصبغَهُم من رحمتهِ فالمؤمنُ أخ المؤمنِ لأبيهِ وأمهُ، أبوهُ النورِ وأمهُ الرحمةُ) ٥٧
- (إنَّ اللهَ قد خلقَ ألفَ ألفِ عالمٍ وألفَ ألفِ آدمٍ ونحنُ في آخرِ العوالمِ وآخرِ الآدميينِ) ٥٠
- (إنَّ اللهَ لم يخلقْ شيئاً فرداً قائماً بذاتهِ دونَ غيرهِ للذي أرادَ من الدلالةِ عليهِ) ١٤٨
- (إنَّ اللهَ في كلِّ يومٍ ثلاثةَ عساكرٍ : عسكرٌ ينزلونَ من الأصلابِ إلى الأرحامِ، وعسكرٌ يخرجونَ من الأرحامِ إلى الدنيا وعسكرٌ يرتحلونَ من الدنيا إلى الآخرةِ) ٨
- (إنَّما تحدُّ الأدواتُ أنفسها وتشيرُ الآلاتُ إلى نظائرها) ... ١٥٤
- (إنَّ نبيّاً من أنبياءِ اللهِ تعالى ناجى ربَّهُ فقالَ : يا ربِّ كيف الوصولُ إليك ؟ فأوحى اللهُ تعالى إليه القَ نفسك وتعالِ إلي) ٢٢٣

- (أبوه النور وأمه الرحمة) ٦٥
- (أربعة من الأولين : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام : وأربعة من الآخرين : محمد صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام) ٢٨٨
- (ألت بربكم ومحمد نبيكم) ١٥٨
- (ألت بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم) ٣٠٨
- (أنه دعا أبا ذر لضيافته فأتى له برغيفي شعير يابسين فأخذ أبو ذر يقلبهما فقال له سلمان : أراك تقلبهما يا أبا ذر أتدري من أين أتياك ؟ والله لقد عمل فيهما الماء الذي حمل العرش حتى ألقاهما على العرش ، وعمل فيهما العرش حتى ألقاهما على الملائكة وعملت فيهما الملائكة حتى ألقتهما على الرياح وعملت فيهما الرياح حتى ألقتهما على السحاب وعمل فيهما السحاب حتى ألقاهما على الأرض وعملت فيهما الأرض والماء والنار) ٢٨٠
- (أول ما خلق الله العقل) ٩٨ ، ١٢٠
- (أول ما خلق الله روعي) ١٠٠
- (أول ما خلق الله عقلي) ١٠٠ ، ٩٨
- (إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش) ٩٩
- (أول ما خلق الله عقلي) ١٠٠
- (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك

- متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى
تكون الإشارة هي التي توصل إليك عميت عينٌ لا تراك ولا تزال
عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً (٤٠
-) أيها الإنسان اعرف نفسك تعرف ربك ظاهره للفناء وباطنك
أنا (٢٣٧)

حرف الباء

- (بدؤها منك وعودها إليك) ٢٣٢
- (بنوره الذي خلق منه) ٦٦

حرف التاء

- (تثبيت الثابت) في تفسير الهاء من (هو) في : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ٤٦
- (تجلّى لها بها) ٢٣٦
- (تدلج بين يدي المدلج من خلقك) ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣

حرف الشاء

- (ثم رجعهم إلى الطين) ١٧٤
- (ثم قال : أنى لك ؟ وشكر هذا يا أبا ذر) ٢٨٠

حرف الجاء

- (جعل فيهم ما إذا سُئلوا أجابوا) ١٦١

حرف الخاء

- (خلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد) ٨٠
- (خلقهم من نوره) ٦٧

حرف السين

- (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ١٣

حرف الصاد

- (صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد) ١٩

حرف الفاء

- (فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم) ٢٦٩
- (في أدق معانيه) ٢٧٠

حرف القاف

- (قد علم أولو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلا بما هاهنا) ٤٢ ، ٥٣ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ٣٠٧
- (قيمة كلّ امرئ ما يحسنه) ٤٤

حرف الكاف

- (كلّ شيء سواك قام بأمرك) ١٨٣

- ٢٧٠ (كلّ ما ميزتموه بأوهامكم) -
 - (كلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم
 ٢٦٩ (مردود إليكم) -

حرف اللام

- (لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز ولا تقع صورة في وهمٍ أحدٍ إلا
 وقد خلقه الله تعالى عليها خلقاً لئلا يقول قائل : هل يقدر الله
 تعالى أن يخلق صورة كذا وكذا ، لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلا
 وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى ، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه
 ٢٦١ (أنه على كلّ شيء قدير) -
 - (لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها
 ٢٣٦ ، ٢٣٤ (حاكمها) -
 - (لأنها لا يؤلف منها ثلاثة حروف أو أربعة أو أقل من ذلك أو
 ١٢٢ (أكثر إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك) -
 - (لقد دوّرتم دورات ثم كوّرتم كورات) ٨
 - (للجنة ولا أبالي وللنار ولا أبالي) ١٧٦
 - (لنا مع الله حالات) ٢٣٣
 - (لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو نحن وهو هو ونحن
 ٢٢٩ (نحن) -

حرف الميم

- (ما اختلفوا في الله ولا فيّ وإنما اختلفوا فيك يا عليّ) ... ٢٧٤

- (محو الموهوم وصحو المعلوم) ٢٢١
- (مخلوق مثلكم مردود إليكم) ٢٦٩ ، ٢٧٠
- (من عرفنا فقد عرف الله ومن جهلنا فقد جهل الله ومن أطاعنا
- فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله) ٢٣١
- (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ٤٥ ، ١٥٢ ، ٢١٤ ، ٢٢١

حرف الهاء

- (هذا قول ضرار وأصحابه فإنهم يقولون إن المشيئة تأكل
- وتشرب وتنكح وتحبى وتموت) ١٤١

حرف الواو

- (والكون السادس أظلة وذّر) ٢٨٦
- (وصبغهم في رحمته) ٦٨
- (ومحمد نبيكم) ١٥٩
- (وعلي وليكم) ١٥٩
- (ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من
- عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك فتقها ورتقها
- بيدك بدؤها منك وعودها إليك، أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد
- وحفظة ورواد فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله
- إلا أنت) ٤٤ ، ٢٢٩
- (وهو منشىء الشيء حين لا شيء) ١٢٣

حرف الياء

- (يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت) ٢١٨
- (يا من هو قبل كل شيء يا من هو بعد كل شيء) ٢١٧
- (يسط لنا فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم) ٢٣٢
- (يعني بنوره الذي خُلِقَ منه) ٦٥

الفهرس الموضوعي

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
مراتب التوحيد	
بيان ميادين ومراتب التوحيد	٣٦
مراتب التوحيد الخمسة الباطلة	٣٦
١ - أن الله جسم كالأجسام	٣٦
٢ - أن الله صورة ومثال	٣٦
٣ - أن الله مادة الأشياء	٣٧
٤ - أن الله طبيعة وحقائق الأشياء	٣٧
٥ - أن الله تعالى نفس	٣٧
٦ - أن الله تعالى معنى كسائر المعاني	٣٩
٧ - أن الله تعالى شيء واحد	٤٠
٨ - أن الله تعالى معنًى عند أهل العقول	٤١
بيان معنى بقیة مراتب التوحيد	٤٢

خزائن الله تعالى

- ٢٧٩ بيان أعلى خزائن الله تعالى
- ٢٩٤ بيان أقسام الخزائن : خزائن الذوات وخزائن الصفات
- ٢٩٣ في أن الخزائن كلها من الوجود الخارجي
- ٢٩٦ بيان الخزائن الثماني عشر
- ٢٩٢ في كل ما ينزل من الحضرة الإلهية ينزل بإذن وأجل وكتاب

الحقيقة المحمدية

- ١١٣ بيان الحقيقة المحمدية
- ٥٢ تقوم المشيئة بالحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله

معنى الحياة في الآخرة

- ٢٨ في بيان الحياة في الآخرة

بيان العوالم وعددها

- ٧ في بيان تعدد العوالم وأقسامها

في بيان العوالم الثلاثة

- ١٠ ١ - عالم الأزل والوجوب
- ١٠ ٢ - عالم الرجحان
- ١٢ ٣ - عالم الجواز

١٢ في بيان العوالم الأربعة

في بيان العوالم الخمسة

١٥ ١ - عالم الأزل

١٥ ٢ - عالم السرمد

١٦ ٣ - عالم الجبروت

٢٠ ٤ - عالم الملكوت

٢٠ ٥ - عالم الملك

بيان العوالم الستة

٢١ ١ - عالم العقول

٢١ ٢ - عالم النفوس

٢٢ ٣ - عالم الطبائع

٢٣ ٤ - عالم جواهر الهباء

٢٣ ٥ - عالم المثال

٢٣ ٦ - عالم الأجسام

بيان العوالم السبعة

٢٥ ١ - عالم النار

٢٥ ٢ - عالم الهواء

٢٥ ٣ - عالم الماء

- ٤ - عالم التراب ٢٥
- ٥ - عالم الجسم ٢٥
- ٦، ٧ - عالم النفس والروح ٢٦
- بيان العوالم الثمانية ٢٦

بيان العوالم التسعة

- ١ - عالم محدد الجهات ٢٩
- ٢ - عالم النفوس الجزئية ٣٠
- ٣ - عالم العقول الجزئية ٣٠
- ٤ - عالم العوالم ٣١
- ٥ - عالم الأوهام ٣١
- ٦ - عالم الوجودات الثانية ٣٢
- ٧ - عالم الخيالات ٣٣
- ٨ - عالم الأفكار ٣٣
- ٩ - عالم الحياة الحيوانية الحسيّة ٣٣
- بيان الحياة الحيوانية الحسية ٣٤
- بيان العوالم العشرة ٣٥
- بيان العوالم الأحد عشر ٣٥
- خلاصة العوالم الأحد عشر ٤٧
- بيان العوالم الاثني عشر ٤٨
- بيان أن آدم أبو العالم ٤٩

٥١ بيان معنى آدم الأكبر

مراتب التكوين

٢٩٩ بيان مراتب التكوين الأربع

بيان الأكوان الستة

٢٨٣ ١ - الكون النوراني

٢٨٤ ٢ - الكون الجوهري

٢٨٥ ٣ - الكون الهوائي

٢٨٥ ٤ - الكون المائي

٢٨٥ ٥ - الكون الناري

٢٣٦ ٦ - كون الأظلة

الأيام الست لخلق السماوات والأرض

١٣١ ١ - يوم الكم

١٣٢ ٢ - يوم الكيف

١٣٢ ٣ - يوم الوقت

١٣٢ ٤ - يوم المكان

١٣٣ ٥ - يوم الجهة

١٣٣ ٦ - يوم الرتبة

كيفية خلق الأشياء

- ٢٥٧ أن الله سبحانه خلق الأشياء بفعله وإبداعه
- ٢٩٠ بيان أن الشمس أول ما خلق من الأفلاك السبعة

خلق المعاصي

- ٢٧١ بيان من خلق المعاصي والكفر وسائر القبائح
- ٢٧٨ في أن الله خلق الحديد يقطع ولا يقطع إلا بالله

المادة والصورة

- ٥٣ في أن المادة هي الأب والصورة هي الأم
- ٥٦ بطلان قول المتقدمين والحكماء في المادة والصورة
- ٦١ الدليل على أن الصورة هي الأم
- ٦٢ في أن الصورة مناط الأحكام
- ٦٤ في أن النور هو المادة
- ٦٥ المراد بالمادة هو الوجود الذي هو أول صادر عن فعل الله
- ٦٧ في أن الرحمة هي الصورة
- ٧٢ مادة الإنسان والحيوان تجمعهما حقيقة واحدة في الظاهر
- ٧٢ ذكر اختلاف الحصة الحيوانية التي في الإنسان والفرس
- ٧٣ تفاضل حصص الإنسان والحيوان دليل على اختلاف أصلهما
- ٧٦ تفاضل حصص الإنسان والحيوان بما تكتسب من الصورة

- ٧٨ في تفاضل حصص الإنسان والحيوان في المادة والصورة
- ٨٣ الحصة حيوانية الفلكية الحساسة لا تقبل الصورة الإنسانية
- ٨٧ الحصة الناطقة القدسية لا تقبل الحيوانية
- ٨٨ بيان الحصص القدسيّة في الإنسان
- ٨٩ بيان الحصة الملكوتية الإلهية
- ٩١ الربط بين الحصة الحيوانية الفلكية والناطقة القدسية
- ١٤٦ هل كلّ ممكن زوج تركيبى مركب من مادة وصورة؟

الوجود والماهية

- ١٣٩ بيان حقيقة الشيء وفرقه عن الوجود والماهية
- ١٤١ ١ - الشيء هو الوجود والماهية عرض حال بالوجود
- ١٤٢ ٢ - الشيء هو الماهية والوجود عرض
- ١٤٤ ٣ - الشيء هو الوجود والماهية إنما هي بتبعية الوجود
- ١٤٥ ٤ - الشيء مركب من الوجود والماهية

أقسام الموجودات

- ٩٧ أ - وجود حق
- ٩٧ ب - وجود مطلق
- ٩٨ ت - وجود مقيد

الوجود المقيد

- أقسام الوجود ٩٧
- ١ - الوجود الحق ٩٧
- ٢ - الوجود المطلق ٩٧
- ٣ - الوجود المقيد ٩٨
- بيان أول الوجود المقيد العقل وآخره الثرى ٩٩
- كيفية تكوين الوجود المقيد ١٠١
- بيان الظلمات الثلاث التي تسقي الوجود المقيد ١١٠

الوجود الذهني

- بطلان قول من أنكر الوجود الذهني ٢٥٩
- في أن الوجود الذهني ثابت وهو ظلي منتزع من الخارجي ٢٦٢
- هل ما في الذهن أصلٌ لما في الخارج ؟ ٢٦٥
- في أن الله خالق كل شيء والذهن شيء ٢٦٥
- في كل قوى الكائنات بيد الله والنفس كائن ٢٦٨
- في أن الشبح الذي في الذهن كلّه ظلي انتزاعي ٣٠٠

معاني الوجود

- ١ - الوجود الأول الجنسي ١٥١
- ٢ - المعنى الثاني : ١٥٢

- ١٥٦ معنى الهيولى المركبة من الوجود والماهية
- ١٦٠ العلاقة بين الوجود التشريعي والوجود التكويني

نزول الماء الأول على أرض الجرز

- ١٢٩ بيان تكون كل الأشياء في ستة أيام

عالم الذرّ

- ١٥٨ أقسام الخلق في عالم الذرّ
- ١٦٣ ذكر من أنكر التوحيد في عالم الذرّ
- ١٦٧ ذكر من آمن بالتوحيد بلسانه فقط في عالم الذرّ
- ١٦٩ بيان الطينة والأُم في عالم الذرّ
- ١٧١ في تنافي خُلُق المنكرين والمقرين في الذرّ
- ١٧٤ بيان الخلق الثاني في الذرّ تحت النور

بيان سجين وعلين

- ١٦٥ بيان سجين وهو مكان كتاب الفجار
- ١٦٥ بيان علين وهو مكان كتاب الأبرار

مراتب المشيئة

- ١٨١ كل شيء لا يجاوز وقته
- ١٨٤ في بيان مراتب المشيئة
- ١٨٦ في بيان نسبة الإمكان إلى المشيئة

- ١٨٨ في بيان مراتب العقل الأول
- ١٨٨ بيان الأكوار والأدوار
- ١٩١ القبضات العشر التي خلق منها الإنسان
- ١٩٣ بيان أن الصادر الأول هل هو من الوجود المطلق أم المقيد؟
- ١٩٦ بيان أطوار الكسر والامتزاج والعقد
- ١٩٧ كيفية تحقق برزخية المثال
- ١٩٨ في أن كل شيء قابل عن الله من كل جهة ووقت
- ٢٠١ في أن كل الشيء لا يسرع في حركاته المحددة له من المبدأ
- ٢٠٢ محذور سرعة الشيء عن حركاته المحددة له من المبدأ
- ٢٠٣ محذور حصول عكس مقتضى ذات الشيء
- ٢٠٨ المستحيل لا تتحقق له شيئية أصلاً
- ٢٠٩ الواجب لذاته عزٌّ وجلٌّ هو الشيء

مقامات ومراتب الإمكان

- ٢٠٦ ١ - ممكن في نفسه
- ٢٠٦ ٢ - ممكن وسيكون فيما بعد
- ٢٠٦ ٣ - الممكن كان ولا يزال أبداً
- ٢٠٧ ٤ - كان وسوف يعدم
- ٢٠٧ ٥ - الممكن ربما قد كان وجوده
- ٢١٣ كل شيء لا يدرك ما وراء مبدئه
- ٢١٦ ترقي الإمكان في سير كماله نحو الحق

٢١٩ وجود الحدوث الذاتي والحدوث الزماني

الروح

١٠٠ بيان المراد بالروح

تعارف الأرواح

٢٤٤ بيان الأرواح وتألفها

٢٥٠ في بيان معنى تعارف الأرواح وتناكرها

بيان العرش

١٤ في أن العرش محل جميع مبادئ الأكوان

٢٨٧ إطلاقات العرش ومعانيه

النفس

٢٢١ النفس وتجردها

٢٦٠ هل للنفس قوة على إحداث ما شاءت

٢٦٨ في كل قوى الكائنات بيد الله والنفس كائن

مقامات التجلي

٢٢٥ كيفية حصول المحو والصحو للعبد

٢٢٧ تجلي الجبار عز وجل لصاحب المعرفة

٢٢٨ مقامات الله التي لا تعطيل لها

- ٢٢٩ بيان مقامات الله تعالى التي تجلّى بها لعباده
- ٢٣٤ في أن مقامات الله تعالى لعباده مظهره وصفته
- ٢٣٧ في بيان المتجلي وفعله بالتجلي
- ٢٣٩ في بيان تساوي الخلق في الاستدارة
- ٢٤١ بيان الاستدارة على فعل الله سبحانه
- ٢٥٢ بيان معنى وكُنْه الكرة
- ٢٥٣ بيان الحركات الوجودية
- ٣٠٤ بيان أن لكل شيء غيب وشهادة

فهرس المحتويات

الصفحة

الموضوع

شرح الفائدة الخامسة:

في تعداد وأقسام العوالم في تنمة الملحقات

- ٧ .. شرح الفائدة الخامسة: في تعداد وأقسام العوالم في تنمة الملحقات
- ٧ في بيان تعدد العوالم وأقسامها
- ١٠ في بيان العوالم الثلاثة
- ١٠ ١ - عالم الأزل والوجوب
- ١٠ ٢ - عالم الرجحان
- ١١ أقسام الموجودات
- ١٢ ٣ - عالم الجواز
- ١٢ في بيان العوالم الأربعة
- ١٤ في أن العرش محل جميع مبادئ الأكوان
- ١٤ في بيان العوالم الخمسة
- ١٥ ١ - عالم الأزل

- ٢ - عالم السرمد ١٥
- ٣ - عالم الجبروت ١٦
- ٤ - عالم الملكوت ٢٠
- ٥ - عالم الملك ٢٠
- بيان العوالم الستة ٢١
- ١ - عالم العقول ٢١
- ٢ - عالم النفوس ٢١
- ٣ - عالم الطبائع ٢٢
- ٤ - عالم جواهر الهباء ٢٣
- ٥ - عالم المثل ٢٣
- ٦ - عالم الأجسام ٢٣
- بيان العوالم السبعة ٢٤
- ١ - عالم النار ٢٥
- ٢ - عالم الهواء ٢٥
- ٣ - عالم الماء ٢٥
- ٤ - عالم التراب ٢٥
- ٥ - عالم الجسم ٢٥
- ٦ ، ٧ - عالما النفس والروح ٢٦
- بيان العوالم الثمانية ٢٦
- في بيان الحياة في الآخرة ٢٨
- بيان العوالم التسعة ٢٩

- ٢٩ ١ - عالم محدد الجهات
- ٣٠ ٢ - عالم النفوس الجزئية
- ٣٠ ٣ - عالم العقول الجزئية
- ٣١ ٤ - عالم العوالم
- ٣١ ٥ - عالم الأوهام
- ٣٢ ٦ - عالم الوجودات الثانية
- ٣٣ ٧ - عالم الخيالات
- ٣٣ ٨ - عالم الأفكار
- ٣٣ ٩ - عالم الحياة الحيوانية الحسية
- ٣٤ بيان الحياة الحيوانية الحسية
- ٣٥ بيان العوالم العشرة
- ٣٥ بيان العوالم الأحد عشر
- ٣٦ بيان ميادين ومراتب التوحيد
- ٣٦ مراتب التوحيد الخمس الباطلة
- ٣٦ ١ - أن الله جسم كالأجسام
- ٣٦ ٢ - أن الله صورة ومثال
- ٣٧ ٣ - أن الله مادة الأشياء
- ٣٧ ٤ - أن الله طبيعة وحقائق الأشياء
- ٣٧ ٥ - أن الله تعالى نفس
- ٣٩ ٦ - أن الله تعالى معنى كسائر المعاني
- ٤٠ ٧ - أن الله تعالى شيء واحد

- ٤١ ٨ - أن الله تعالى معنى عند أهل العقول
- ٤٢ بيان معنى بقیة مراتب التوحيد
- ٤٧ خلاصة العوالم الأحد عشر
- ٤٨ بيان العوالم الاثني عشر
- ٤٩ بيان أن آدم أبو العالم
- ٥١ بيان معنى آدم الأكبر
- ٥٢ تقوّم المشیئة بالحقیقة المحمدية صلى الله عليه وآله
- ٥٣ في أن المادة هي الأب والصورة هي الأم
- ٥٦ بطلان قول المتقدمين والحكماء في المادة والصورة
- ٦١ الدليل على أن الصورة هي الأم
- ٦٢ في أن الصورة مناط الأحكام
- ٦٤ في أن النور هو المادة
- ٦٥ المراد بالمادة هو الوجود الذي هو أول صادر عن فعل الله
- ٦٧ في أن الرحمة هي الصورة
- ٧٢ مادة الإنسان والحيوان تجمعهما حقيقة واحدة في الظاهر
- ٧٢ ذكر اختلاف الحصة الحيوانية التي في الإنسان والفرس
- ٧٣ تفاضل حصص الإنسان والحيوان دليل على اختلاف أصلهما
- ٧٦ تفاضل حصص الإنسان والحيوان بما تكتسب من الصورة
- ٧٨ في تفاضل حصص الإنسان والحيوان في المادة والصورة
- ٨٣ الحصة حيوانية الفلكية الحساسة لا تقبل الصورة الإنسانية
- ٨٧ الحصة الناطقة القدسية لا تقبل الحيوانية

- ٨٨ بيان الحصص القدسيّة في الإنسان
- ٨٩ بيان الحصّة الملكوتية الإلهية
- ٩١ الربط بين الحصّة الحيوانية الفلكية والناطقة القدسية

شرح الفائدة السادسة: في الإشارة

إلى القسم الثالث: وهو الوجود المقيد: أوله الدّرة وآخره الذرّة

- ٩٧ شرح الفائدة السادسة: في الإشارة إلى الوجود المقيد
- ٩٧ أقسام الوجود
- ٩٧ ١ - الوجود الحق
- ٩٧ ٢ - الوجود المطلق
- ٩٨ ٣ - الوجود المقيد
- ٩٩ بيان أول الوجود المقيد العقل وآخره الثرى
- ١٠٠ بيان المراد بالروح
- ١٠١ كيفية تكوين الوجود المقيد
- ١١٠ بيان الظلمات الثلاث التي تسقي الوجود المقيد
- ١١٣ بيان الحقيقة المحمدية

الفائدة السابعة: لما نزل الماء الأول المسقى بالوجود المقيد

- ١٢٩ الفائدة السابعة: نزول الماء الأول على أرض الجرّز
- ١٢٩ بيان تكون كلّ الأشياء في ستة أيام
- ١٣١ الأيام الستة لخلق السماوات والأرض

- ١ - يوم الكم ١٣١
- ٢ - يوم الكيف ١٣٢
- ٣ - يوم الوقت ١٣٢
- ٤ - يوم المكان ١٣٢
- ٥ - يوم الجهة ١٣٣
- ٦ - يوم الرتبة ١٣٣
- بيان حقيقة الشيء وفرقه عن الوجود والماهية ١٣٩
- أقسام الخلق ١٤١
- ١ - الشيء هو الوجود والماهية عرض حال بالوجود ١٤١
- ٢ - الشيء هو الماهية والوجود عرض ١٤٢
- ٣ - الشيء هو الوجود والماهية إنما هي بتبعية الوجود ١٤٤
- ٤ - الشيء مركب من الوجود والماهية ١٤٥
- هل كلّ ممكن زوج تركيبى مركب من مادة وصورة؟ ١٤٦
- معاني الوجود ١٥١
- ١ - الوجود الأول الجنسي ١٥١
- ٢ - المعنى الثاني ١٥٢
- معنى الهيولى المركبة من الوجود والماهية ١٥٦
- أقسام الخلق في عالم الذرّ ١٥٨
- العلاقة بين الوجود التشريعي والوجود التكويني ١٦٠
- ذكر من أنكر التوحيد في عالم الذرّ ١٦٣
- بيان سجين وهو مكان كتاب الفجار ١٦٥

- ١٦٥ بيان عليين وهو مكان كتاب الأبرار
- ١٦٧ ذكر من آمن بالتوحيد بلسانه فقط في عالم الذرّ
- ١٦٩ بيان الطينة والأُم في عالم الذرّ
- ١٧١ في تنافي خَلْق المنكرين والمقرين في الذر
- ١٧٤ بيان الخلق الثاني في الذرّ تحت النور

الفائدة الثامنة: كل شيء لا يجاوز وقته

- ١٨١ الفائدة الثامنة: كلّ شيء لا يجاوز وقته
- ١٨٤ في بيان مراتب المشيئة
- ١٨٦ في بيان نسبة الإمكان إلى المشيئة
- ١٨٨ في بيان مراتب العقل الأول
- ١٨٨ بيان الأكوار والأدوار
- ١٩١ القبضات العشر التي خلق منها الإنسان
- ١٩٣ بيان أن الصادر الأول هل هو من الوجود المطلق أم المقيد؟
- ١٩٦ بيان أطوار الكسر والامتزاج والعقد
- ١٩٧ كيفية تحقق برزخية المثال
- ١٩٨ في أن كل شيء قابل عن الله من كلّ جهة ووقت
- ٢٠١ في أن كل الشيء لا يسرع في حركاته المحددة له من المبدأ
- ٢٠٢ محذور سرعة الشيء عن حركاته المحددة له من المبدأ
- ٢٠٣ محذور حصول عكس مقتضى ذات الشيء
- ٢٠٥ مقامات ومراتب الإمكان

- ١ - ممكن في نفسه ٢٠٦
- ٢ - ممكن وسيكون فيما بعد ٢٠٦
- ٣ - الممكن كان ولا يزال أبداً ٢٠٦
- ٤ - كان وسوف يعدم ٢٠٧
- ٥ - الممكن ربما قد كان وجوده ٢٠٧
- المستحيل لا تتحقق له شيئية أصلاً ٢٠٨
- الواجب لذاته عزَّ وجلَّ هو الشيء ٢٠٩

الفائدة التاسعة: كل شيء لا يدرك ما وراء مبدئه

- الفائدة التاسعة: كل شيء لا يدرك ما وراء مبدئه ٢١٣
- ترقي الإمكان في سير كماله نحو الحق ٢١٦
- وجود الحدوث الذاتي والحدوث الزماني ٢١٩
- النفس وتجردها ٢٢١
- كيفية حصول المحو والصحو للعبد ٢٢٥
- تجلّي الجبار عزَّ وجلَّ لصاحب المعرفة ٢٢٧
- مقامات الله التي لا تعطيل لها ٢٢٨
- بيان مقامات الله تعالى التي تجلّي بها لعباده ٢٢٩
- في أن مقامات الله تعالى لعباده مظهره وصفته ٢٣٤
- في بيان المتجلي وفعله بالتجلي ٢٣٧
- في بيان تساوي الخلق في الاستدارة ٢٣٩
- بيان الاستدارة على فعل الله سبحانه ٢٤١

٢٤٤ بيان الأرواح وتألفها
٢٥٠ في بيان معنى تعارف الأرواح وتناكرها
٢٥٢ بيان معنى وكُنه الكرة
٢٥٣ بيان الحركات الوجودية

الفائدة العاشرة: اعلم أن الله سبحانه:

خلق الأشياء بفعله وإبداعه

٢٥٧ الفائدة العاشرة: إن الله سبحانه خلق الأشياء بفعله وإبداعه
٢٥٩ بطلان قول من أنكر الوجود الذهني
٢٦٠ هل للنفس قوة على إحداث ما شاءت
٢٦٢ في أن الوجود الذهني ثابت وهو ظلي متزع من الخارجي
٢٦٥ هل ما في الذهن أصلٌ لما في الخارج ؟
٢٦٥ في أن الله خالق كل شيء والذهن شيء
٢٦٨ في كل قوى الكائنات بيد الله والنفس كائن
٢٧١ بيان من خلق المعاصي والكفر وسائر القبائح
٢٧٥ الله خلق العاصي والمطيع على مقتضى سبب إيجاده وقبوله
٢٧٧ فساد النظام إذا منع الله قتل المؤمن بالسيف من الظالم
٢٧٨ في أن الله خلق الحديد يقطع ولا يقطع إلا بالله
٢٧٩ بيان أعلى خزائن الله تعالى
٢٨٢ بيان مراتب التكوين الأربع
٢٨٣ بيان الأكوان الستة

- ٢٨٣ ١ - الكون النوراني
- ٢٨٤ ٢ - الكون الجوهري
- ٢٨٥ ٣ - الكون الهوائي
- ٢٨٥ ٤ - الكون المائي
- ٢٨٥ ٥ - الكون الناري
- ٢٨٦ ٦ - كون الأظلة
- ٢٨٧ إطلاقات العرش ومعانيه
- ٢٩٠ بيان أن الشمس أول ما خلق من الأفلاك السبعة
- ٢٩٢ في كل ما ينزل من الحضرة الإلهية ينزل بإذنٍ وأجلٍ وكتابٍ
- ٢٩٣ في أن الخزائن كلها من الوجود الخارجي
- ٢٩٤ بيان أقسام الخزائن : خزائن الذوات وخزائن الصفات
- ٢٩٦ بيان الخزائن الثماني عشرة
- ٣٠٠ في أن الشيخ الذي في الذهن كلّه ظلي انتزاعي
- ٣٠٤ بيان أن لكل شيء غيباً وشهادة

الفهارس

- ٣١٣ فهرس الآيات القرآنية
- ٣٢٧ فهرس الأحاديث
- ٣٣٥ الفهرس الموضوعي
- ٣٤٧ فهرس المحتويات

